هكذا تَوافَقَتْ

أَخْلاقُنَا

تأملات

منصور عامر

بإجازة كريمة من

فضيلة أ. د/ نظير عياد
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

نيافة المطران
الأنبا /مُرْقُس

تقديم
المفكر الدكتور / مصطفى الفقي

رقم الإيداع : ٨٨٧٠ / ٢٠٢٠
الترقيم الدولى **I.S.B.N: 978-977-13-0524-8**

تقديم

المفكر الدكتور / مصطفى الفقي

يطل علينا بين حينٍ وآخر رجل القانون والأعمال البرلماني الأسبق منصور عامر بمقطوعة من فكره المستنير، ومعزوفة من رؤيته الثاقبة، حيث يسكب في عقول الشباب، من أبناء الأجيال الجديدة، رحيقاً من فكره وخبراته وقناعاته، والأمر الذي يستحق التقدير أنه يفعل ذلك دائماً مدعوماً بالوثائق، محاطاً بالبراهين، حتى يجعل المسألة أمام القارئ مكتملة الأركان، تبدأ بالفرضية يسبقها فهم محدد، سعياً للوصول إلى نتائج محققة، وعندما دفع إليّ بكتابه الأخير (هكذا توافقت أخلاقنا) رحبت به ترحيباً كبيراً، لأنني ممن يؤمنون بأن كل مشكلاتنا وأخطائنا وتجاوزاتنا تصطدم - في النهاية - بما يمكن تسميته «أزمة أخلاقية»، فخطاب الكراهية، ورفض الآخر، وتسفيه الغير، هي كلها مظاهر لأزمة الأخلاق التي تجتاح حياة الإنسان المعاصر في كل مكان، ولكن نختص بنصيب وافر منها في بلادنا العربية والإسلامية، رغم أننا نقع في بؤرة نزول الديانات السماوية والشرائع الإلهية؛ ولكن غلبت علينا أخطاء

موروثـة، وتقاليـد بالية، وأفـكار لا تَمُـتُّ للمنطق السـليم بِصِلة، فضلاً عـن أنها تجـافي دعوة الديانـات الإبراهيمية الثـلاث إلى الفضيلة والحضّ عليها، والابتعاد عن الرذيلة، ومقاومة السـقوط فيها، وقد خلق الإنسان ابنـاً للخطيئة، واقترنت مسـيرته بكثير من المعـاصي، والبعد عن الطريق السَّـويّ، فجـاءت كلـمات منصور عامـر، وأمثالـه من المفكريـن الذين ضربوا بسـهم وافر في دراسـات تاريخ الأديان وحكمة الشرائع وقوانين الحياة الطبيعية والوضعية، لكي تدفعنا نحو مسار يجب أن تسلكه الأجيال الجديـدة؛ ولذلك فقد عدَّد المؤلف أكثر من مائة وأربعين بنداً تجتمع فيها الأخلاق الفاضلة والتصرفات السـليمة، وبرغـم أن الكاتب الصبور قد عكف على كتابه في دقة ومثابرة وتمحيص، مع احترام النصوص المقدسة، وآيـات الذِّكـر الحكيـم إلا أنه لم يغلـق الباب أمـام كل الإيجابيـات التي تضمنتها الشرائع الأخرى، فنشعر - في كل سطر مما كتب - أنه قد اطَّلع عـلى النصوص المقابلة للذِّكر الحكيم من خـلال احترامه أيضاً للديانات الأخرى، والشرائع السابقة، خصوصاً أن الإسلام يؤكد ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾- سورة البقرة.

ولقـد اختار الأسـتاذ منصور عامر عنـوان كتابه اختياراً مثـيراً ورائعاً فجعله (هكذا توافقت أخلاقنا) في دعوة مباشِرة إلى رفض ما دخل علينا

من خطايا، وما أصابنا من شوائب مثل التنمر والسخرية والاستخفاف بالغير، فضلًا عن التعصب والتشدد والغلو والإقصاء، ولقد كنا نتحدث في العقود الأخيرة عن ضرورة تدريس مادة مشتركة للأخلاق في مدارسنا يدرسها أبناؤنا وبناتنا جميعاً بلا تفرقة بين الديانات، وأن نعتبر المادة الجديدة هي مادة الأخلاق المستقاة من المشترك الديني الداعي إلى الفضائل، والرافض لكل الرذائل، لذلك فإن حفاوتي الشخصية بهذا الكتاب هي حفاوة مزدوجة، فالكاتب صديق عزيز جمعتني به ظروف العمل البرلماني لعدة سنوات، فضلاً عن الحوار المشترك بيننا في قضايا البلاد والعباد على مر السنين، وإذا كان قد كتب من قَبل أطروحات واضحة في الإصلاح الاقتصادي والاندماج الاجتماعي إلا أنه - هذه المرة - يطرق جوهر الأمر كله باختراق منظومة الأخلاق لدينا، ومحاولة إصلاحها قبل فوات الأوان، وأنا أظن - أحياناً - أن غضب الطبيعة علينا من تغييرات الطقس، وندرة الطاقة، وشح المياه، فضلاً عن الأوبئة الفتاكة وآخرها (الكورونا) التي زحفت على البشرية في كل مكان وبدون استثناء، أظن أن ذلك كله هو نذر من الله - سبحانه وتعالى - إلى البَشر في كل مكان، ولأتباع كل دين، في دعوة واضحة نحو صحوة أخلاقية تعيد الاعتبار للقيم السامية، والمبادئ النبيلة، والأخلاق الرفيعة.

.. تحية للمفكر المصري منصور عامر المهموم بقضايا أمته ومشكلات وطنه، الحريص دائماً على أن يكون إيجابياً فيما يفعل، وقادراً على اختيار

البوصلة الصحيحة في ظل الأعاصير العاتية، والعواصف القاسية، إيماناً منه بأن الإنسان خليفة الله في الأرض، خلقه لإعمارها، والنهوض بها، معتمداً على مكارم الأخلاق التي بعث نبي الإسلام ليكون متمماً لها، ومكملاً لدعوة مَن سبقوه مِن الأنبياء، وناقلاً لكلمة الله الأخيرة إلى البشر في كل زمان ومكان .

د. مصطفى الفقي

مدير مكتبة الإسكندرية

إبريل ٢٠٢٠

كلمة الدكتور / نظير عياد
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجميع رسل الله أجمعين

وبعد،،،

فمما لا خلاف فيه أننا نعيش اليوم في عالم شديد القسوة مفرط في الواقعية بل يكاد يكون خاليًا من العواطف والرحمة، ولا ريب أن هذا يتطلب من اعلماء والباحثين والمفكرين فتح عقولهم وتغليب الموضوعية على الذاتية، بحثًا عن القواسم المشتركة بين الأديان وإنقاذاً للبشرية من مغبة ما هي عليه، وما يمكن أن يقودها إلى الفناء والهلاك.

فالبحث عن المشتركات بين الديانات واتخاذ الحوار اساسًا لها والبحوث العلمية طريقًا لكشفها أصبح ضرورة حياتية وإنسانية خصوصًا مع وجودنا في عالم سقطت فيه الحواجز، واختفت فيه المعالم وتشابكت فيه المصالح وازدادت فيه حاجة الإنسان لأخيه الإنسان.

ومما ينبغي التنبيه إليه والافتخار به أن الحضارة الإسلامية التي أسعدت البشرية قرونًا طويلة وأزمنة عديدة كانت محضنًا آمنًا للديانات والثقافات وعاش أصحاب الديانات المختلفة والمذاهب المتعددة محافظين على عقائدهم وحريتهم دون تطاول عليها أو ازدراء لها أو حجر لتعاليمها.

والكتاب الذي نقدم له اليوم أحد هذه البحوث المهمة التي ركزت على إبراز هذا الجانب من خلال البحث عن المشتركات الدينية بين الإسلام والمسيحية في الجانب الأخلاقي.

ولا شك أن عملًا كهذا يستحق منا الثناء والشكر خصوصًا وأن أزمة أمتنا ومجتمعاتنا هي أزمة أخلاقية في المقام الأول، ومن ثم جاء هذا الكتاب الذي ركز على جملة من القيم الأخلاقية بعضها ينبغي أن يتحلى بها الإنسان، والبعض الآخر ينبغي أن يتخلى عنها، فعرض لمائة وأربعين خلقًا طوف فيها المؤلف بين نصوص القرآن الكريم والسنة المباركة، كما تطرق لنصوص الكتاب المقدس تأكيدًا منه على أن الحق واحد لا يختلف باختلاف الشرائع.

والكتاب في جملته يحمل رسالة هادفة لبيان قيمة الأخلاق، وضرورة التركيز عليها، والعناية بها والأخذ بتعاليمها والعمل على تطبيقها في شتى مناحي الحياة باعتبار أن وجودها ضرورة حياتية. ومن يمن الطالع أن اسمه جاء معبرًا عن محتواه فجاء بعنوان (**أخلاقنا**).

فنشكر الله لمؤلفه **أ. منصور عامر** وجزاه خير الجزاء وجعل عمله في ميزان حسناته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الأمين العام

لمجمع البحوث الإسلامية

أ.د/ نظير محمد عيَّاد

كلمة نيافة المطران
الأنبا /مُرْقُس

يمر المجتمع – هذه الأيام – بظاهرة تراجع أخلاقي، فما نراه ونسمعه من أخبار كل يـوم مـن إيذاء وقتل وتحرش وتنمر وأنانية وغيره ...، إنما يبث فينا القلق على مستقبل الأجيال القادمة، ونحتاج أن نتكاتف لنرسخ فيهم أخلاقنا الأصيلة .

والصديق المحامي والبرلماني الغيور الأستاذ منصور عامر في مبادرة من مبادراته القوية، يجمع بين صفحات هذا الكتاب أنواعاً هامة من الأخلاقيات الشرقية التي تربينا عليها، وقد بذل مجهوداً رائعاً في محاولة تأصيل هذه الأخلاقيات من الإسلام والمسيحية معـاً، حيث قـدم بجوار شرحه الإسـلامي الـذي يتميز فيـه – بطبيعة الحال– بعضاً من آيات الكتاب المقدس، مؤكدًا أن المجتمع المصري كله يتفق على هذه الأخلاقيات السامية .

وإن كان عمل مثل هذا يحتاج إلى مشروع كبير ليخرج في صورة كاملة متوازنة، إلا أننـا نثمـن هـذا التوجه الترابطـي، ونأمل في المزيـد من الأعمال التـي فيها مجال ومسـاحة أكبر، ليطل المسـلم على المسيحية، والمسـيحي على الإسـلام، من نافذة حقيقيـة صادقة ليسـت من خـلال صور نمطيـة (stereo type) كاذبة تشـيع الفُرقـة والتباعد، وسـوف يتحقق ذلك حـين نكرس الجهد لعمـل تقاربي جماعي مشترك على غرار هذه المبادرة الفردية المشكورة .

ولا يسعنا إلا الشكر والدعاء لكاتب هذا الكتاب حيث أطلق الصيحة الأولى ووضع أساساً وتأسيساً للعمل والثقافة المشتركة والعيش الجماعي .

حفظ الرب مصرنا ورئيسها المحبوب عبد الفتاح السيسي، وشعبها المبارك، بصلوات قداسة البابا تواضروس الثاني.

الأنبا مرقس

مطران شبرا الخيمة

فكرة الكتاب

بُعث سيدُنا محمد - صلى الله عليه و سلم - رحمةً للعالمين، وكما قال - عليه الصلاة والسلام -: «إنما بُعِثتُ لأتممَ مكارم الأخلاق» .

والسؤال: ما هي الأخلاق التي يُحِب الله تعالى أن يرى عباده عليها، فبعث لهم رسولاً تلو الآخر - عليهم الصلاة والسلام أجمعين - إلى أن أنهى رسالته لعباده بنَبِيّنا محمد صلى الله عليه وسَلَّم ؟

في هذا الكتاب سأحاول أن أعرض لهذا المبحث بطريقة مُبَسَّطة، محاولاً رصد ما أستطيع مِن الخُلُق الكريم الذي وَرَدَ في القُرْآن الكريم أو السُّنة الشريفة .

وإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال: «إنما بُعِثتُ لأتممَ مكارم الأخلاق»، والإتمام يستلزم أن يكون قد سبقه في ذلك رسلٌ سابقون عليهم الصلاة والسلام، لهذا رأيت أن أعرض - كلما تيسَّر - آيات من الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل)، والتي وجدتُ أنها توافقت مع ما حاولت أن أحصيه في هذا الكتاب من أخلاق كريمة .

وإذا كانت لغة القُرْآن الكريم (العربية الفُصْحَى) هي بعيدة - نوعاً ما - عن قطاع كبير من المجتمع العربي اليوم - وبالذات الأجيال الجديدة، فقد وَجَدْتُّ

لزاماً عليَّ أن أقوم بصياغة ما أحصيه من الأخلاق بلُغةٍ مُبَسَّطة، وبطريقة مُيَسَّرة، ليصل المعنى للقاريء بيُسْر .

ولهذا، أود أن يسامحني العلماءُ والفقهاء ورجال الدين، لتبسُّطي في أسلوب الكتابة أثناء شرحي المقصود من كل خُلُق، وأبعاده المبدئية لينتفع به عموم الناس، وليكون بدايةً لفتح الباب أمام أهل العلم ليكتبوا لنا الكثير والكثير في هذا الموضوع .

أتوجه بالشكر والعرفان لأستاذي الدكتور مصطفى الفقي لتقديمه هذا الكتاب، كما أتوجه بالشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ الدكتور أحمد الطيب لتوجيه فضيلته مجمع البحوث الإسلامية بمراجعة الكتاب، والشكر والعرفان للأستاذ الدكتور نظير عياد الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية لمقدمته الراقية وإجازته هذا العمل، وإلى الأخ والصديق الغالي نيافة المطران الأنبا مرقس أتوجه بخالص الشكر والعرفان لتقديمه الكريم وإجازة هذا العمل.

وفيما يأتي أعرض المئة والأربعين خُلقاً التي وفقني الله تعالى لإحصائها .

والله الموفِّقُ والمستعان

منصور عامر

١ - خُلق الإِنْفَاق

الإنفـاق خُلُـق كريـمٌ، دعانـا الله تعـالى إليه عبر رسـالاته، وهـو خُلُق فيـه معنى المشارَكة، وفيه معنى الإحساس بالغير ، وفيه معنى الشُّكر لله تعالى على نِعَمِه، فالمنفِق إنسانٌ قد تحلَّى بهذا الخُلُق، فأثمر ذلك إنفاقاً ينفع الناس .

والله تعـالى يُحِب أن يرى عبـاده)مُنْفِقين(، حتى أنَّه قد حَذَّر أنَّ الأمر قد يصل أن يستبدل قوماً بغيرهم بسبب عدم إنفاقهم، وبُخلهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ - سُورة محمد .

وينبهنـا الله تعالى على عِظَم أجر الإنفـاق، فقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ - سورة المنافقون، فقدْ بيّن الله تعالى أن إنساناً - بعد وفاته - قد علِم بفضل الإنفاق والصدقة، وكيف أنه من أعظم الأخلاقيات، وأكثرها حسـناتٍ عند الله، فيقـول تعـالى: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾، وكأن الله تعـالى يعلمنا أن فضل الإنفاق ليس كمثله فضـل، فلم يَرَى المتوفى - كما تَقُصُّ علينا

الآية – أمامه خيراً من الإنفاق، كفعلٍ يفعله، فطلب إمهاله بعض الوقت ليتصدق، بعد أن أحاط علماً بفضل الإنفاق .

وأياتٌ كثيرةٌ جداً تُحدثُّنا عن الإنفاق . والإنفاق جزءٌ منه هو وفاءٌ بالعهود، إذ إن للسائل حقاً معلوماً، عليه أن يأخذه، وعلينا أن نسدده، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ – سُورة المعارج، والحَقّ المعلوم هو الزَّكاة، وهذا هو الحد الأدنى، ومن وجهة نظري أن الإنفاق هو ما زاد عن ذلك لمن كان يريد رضا الله تعالى ورضوانه .

في الكتاب المقدس وجدتُ آيات كثيرة في فضل الإنفاق، أذكر منها على سبيل المثال: «**ابسط يدك للفقير لكي تكمل بركتك**» (سفر يشوع بن سيراخ ٧: ٣٦)، وأيضاً: «**لا تكن يدك مبسوطة للاخذ مقبوضة عن العطاء**» (سفر يشوع بن سيراخ ٤ : ٣٦)، وكذا: «**صالحةٌ الصلاة مع الصوم، والصدقة خيرٌ من ادخار كنوز الذهب**» (سفر طوبيا ١٢ : ٨)، وكذلك: «**تَصَدَّق مِن مالَك، ولا تُحَوِّل وجهك عن فقير؛ وحينئذٍ فوجه الرب لا يُحَوَّل عنك**» (سفر طوبيا ٤ : ٧) .

علمتني أمي – رحمها الله – أن لا ننسى فقراءنا، كانت تدعوهم (الناس الطيبين)، وكانت دائماً تقول: ماذا فعلتَ للناس الطيبين؟ وهل كان لهم نصيبٌ من لعب الأطفال التي لديك ؟ ومن الملابس ؟ حتى من الأموال النقدية – إذا ما أُتيحت – أم لا ؟!، وكانت تحثني على ذلك، وأجمل ما نصحتني به هو الحَسَنَة في البيع والشراء، وكانت حينما تشتري من أحد الباعة الجائلين تعطيه أضعاف ما يطلبه، وتقول لي: الحَسَنَة المخفية في البيع والشراء، هذا رجُلٌ خرج يسعى على أولاده، وإعطاؤه بسخاء – لمن يستطيع – فيه تشجيع له على السعي والعمل .

والإنفـاق هـو طريقٌ إلى البرّ من الله تعالى للإنسـان، وما أعظم أن يكون الإنسـان موضـع برٍ من الله تعالى، فهذه درجـةٌ عاليةٌ خصَّها الله تعالى للذين ينفقون مما يُحِبون، في قوله تعالى :﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾- سورة آل عِمْران، وهذه دعوةٌ أن لا نُنفق أو نُعطي مما لا نُحب، وإنما الجميـل أن نُعطي مما نحب، فيكون فيها معاني الإيثار والأخوة، وأعلى درجات الثقة بالله تعالى، والشكر له على ما أنعم به علينا .

وخُلُق الإنفاق ينتج عنه إنسانٌ يُحِبه الناس، لأنه يَشْعُر بالناس، ويشاركهم رغيفه، ويُحِبه الله تعالى لأنه إنسانٌ شكورٌ، يقول تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ سُورة آل عمران. فالشُّكر ليس بالحمد فقط، وإنما بأن تصل نِعَم الله إلى عباد الله .

خُلُق الإنفاق لابد أن يكون في مناهجنا الدراسية، فقد لا يكون أهل البيت قادرين على تعليم أبنائهم ذلك، فيأتي - هنا - دور المدرسة، وإذا كانت الدولة تريد أن تجني مشـاركةً مجتمعيـةً مِن القادر لغـير القادر، فعليها أن تزرع منهـج الإنفاق في التعليم، حتى تكون الأجيال على علمٍ ويقينٍ بعِظَم هذا الخُلُق، وفضله المجتمعي .

وتُعَلِّمُنـا الآيـة الكريمـة :﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ - سـورة آل عِمْـران، أنَّ فضـل الإنفـاق في الضَّراء أعلى درجةً مما يُنْفَق حال اليُسْر، لأنه ربما كان أحوج إلى هذا المال، لكنه كان على يقينٍ أنها تجارةٌ لن تبور مع الله، وربما في هذا الإنفاق مَخرجٌ له من هذا الضيق الذي يمر به .

وقـد لا يكـون الإنفاق مالاً، بمعنى المال، وهذا الرأي أميل إليه حتى لا يُحرَم أحد مـن فضل الإنفاق فتتكافأ الفرص، ولو حتى في النوايا، فقد يكون الإنفاقُ مشـاركة وتقاسـم الخير ، وفي مساعدة الضعيف، والسعي معه لأخذ حقه، وقد يكون الإنفاق مـن طبيـبٍ بعلاج غير القادر ، وفي مسـاعدة تلميذٍ في فَهْم دروسـه . عموماً الإنفاق ليـس شرطـاً أن يكون مادياً، وإنما هو مشـاركة نِعم الله على العبد مـع الغير، مادياً أو معنوياً، بكافة أوجه المشاركة، كما أوضحتُ مثلاً لها .

الإنفاق هنا هو خُلُق المشـارَكة والإحساس بالغير، وخُلُق المبادرة إلى الوقوف مع الغير، وأن نُعطيهم مما أعطانا الله، فهنيئا لمن اتَّخذ مِن الإنفاق خُلُقاً يتحلَّى به .

الخلاصـة، أن خُلُـق الإنفاق يجب أن نُحفِّـز عليه، ونَحُثّ عليـه، ويجب أن نُعَلِّم أنفسنا ومجتمعاتنا أن ما نُنفقه يقع في يد الله، وهو الباقي، وأن ما نُحبُّه هو ما سنتركه، ولن يكون من نصيبنا .

جميـلٌ أن تكون هناك جوائز لأفضل مُنْفِق في الخير، وجميلٌ أن تُكَرِّم الدولةُ أفضلَ عملٍ تطوعي، أو مشاركة تطوعية للأفراد والشركات في هذا الشأن .

٢- خُلُق الإتْقَان

الإتقان مِن مكارم الأخلاق، وهو خُلُق أمرنا به الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، فالنبي – عليه الصلاة والسلام – يقول: «**إنَّ اللَّهَ يُحِب إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَـــه**»، على هذا فالإتقان في العمل أمانـة، وتقرُّب إلى الله تعالى، وحينما يقول الله تعـالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ – سُورة الأعراف، هذا هو الإتقان في الاستعداد للصلاة .

يُعلِّمُنا رسـول الله الصلاةَ ونحن مطمئنون، في قوله: «**إِذَا قُمْتَ إِلى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ ما تيَسَّـــرَ معـــكَ مِنَ القُرْآن، ثُمَّ ارْكَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًـــا، ثُمَّ ارْفَعْ حتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْـــجُدْ حتَّى تَطْمَئِنَّ سَـــاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًـــا، وافْعَلْ ذلكَ في صَلَاتِكَ كُلِّهَا** »، فهكذا يكون التركيز أفضل، ليُتْقِن المُصَلِّي صلاتَه .

وإذا كانت الجَنَّة درجات، كما أخبرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولكل درجـة أهلهـا، فإن من أهمِّ معايـير الترقي من درجة لأخرى هـو الإتقان، الإتقان في الطاعـة، في الصـلاة، في الزكاة، في ذِكر الله تعـالى، الإتقان في فِعلِ الخيرات، كل ذلك يُعطي درجات ومراتب أعلى في الجَنَّة .

وآيـاتٌ أخرى كثيرةٌ في مواطن متعـددةٍ تُحدِّثنا عن الإتقان، فيقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ سُـورة الحَـج، فهذا يتقن حجه. ويقول سبحانه: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ – سُورة

الذاريات، وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ – سُورة الزُّمَر، فهذا يقوم الليل يُصَلِّي لله، ليُتْقِن تقربه من الله سبحانه وتعالى .

ويقـول تعالى عن إتقان الإنفاق في الـبِر: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ – سُـورة آل عِمْـران، فللإنفـاق إتقـانٌ – أيضاً – كما توضِّح الآية الكريمة أن نعطي الناس الشيء الذي نحبه بالفعل إخلاصاً منا في سماحة إنفاقنا وسعادتنا به .

بـل دعانـا الله تعالى للتنافُس في الإتقـان لننال درجات أعلى، يقـول تعالى: ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ – سُورة المطففين .

وأذكـر هنـا من الكتاب المقـدس بعض الآيـات التي تحدثت عن فضـل الإتقان، منها: «**لا نفشـل في عمل الخير، لأننا سـنحصد في وقته إن كُنَّا لا نكلّ**» (غلاطية ٦ : ٩)، وكذلك: «**مَن يزرع بالشُّح فبالشُّح يحصد، ومَن يزرع بالبركات فبالبركات أيضًا يحصد**» (رسالة كورنثوس الثانية ٩ : ٦) .

إنهـا دعـوةٌ للمنافسـة في الإتقان، إتقـان العبادة والعمـل، أو ما شـابه، هي دعوةٌ للتنافس في أن نتقن ما نفعل .

والأمـم التي سـبقتنا، هي الأمـم التي عرفت قدر هـذا الخُلُق، وجعلتـه منهاجاً، وربَّـت الأجيال عليـه، فتميزت بضاعتهم، واشـتراها العالَم، لإتقانهـا وتميزها، ومَن أتقنوا دراساتهم وأبحاثهم تفوقوا علينا، وسبقونا في الاختراعات والابتكارات .

إنه خُلُق كريمٌ، نحن مدعوُّون إليه، ومن حُسْـن إتقان تربيتنا لأولادنا أن نُعلمهم ونؤصل فيهم هذا الخُلُق، خُلُق الإتقان .

٣ـ خُلُق إثقال الموازين

خُلُـق إثقـال الموازين، هـو من مـكارم الأخلاق، فصاحبـه عرف أن هنـاك ثواباً وعقاباً، وعَلِم أن هناك يوم الحسـاب، وأنه سـيُعرض على الميـزان، وأن فرصته في أن يزيد في ميزان حسناته بالعمل الصالح، وتقوى الله، وكل ما يرفع من رصيد حسناته هي سارية حتى نهاية عمره، أو نهاية إدراكه، فإذا ذهب هذا أو ذاك انقطع عمله، فالله تعالى يقول: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾- سُورة القارعة، ويقول تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ – سُورة المؤمنون .

وإلى ذلك ذهبت آيات الكتاب المقدس، أذكر منها: «**فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَـنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلّ**» (غلاطية ٦ : ٩)، وكذلك: «**اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ. اسْـكُنِ الأَرْضَ وَارْعَ الأَمَانَةَ**» (المزامير ٣٧: ٣) ، وأيضاً : «**تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ.**» (إشعياء ١ : ١٧) .

صاحب هذا الخُلُق يكون حريصاً أن يضع في رصيد حسناته – كل يوم – الجديد من الحَسَنَات، مَثَلُه كَمَثَل الذي يرفع رصيده المالي في البنك، فيذهب إلى البنك – مثلاً – ويضع في حسابه مالاً جديداً، كلَّ يوم، كذلك رصيد الحَسَنَات، فهو حريص على حسنات جديدة، كل يوم تزيد من رصيد حسناته .

والحَسَنَات بسيطة، فالتبسُّم في وجه الناس حَسَنَة،، وإلقاء السلام حَسَنَة، والتصدق، ومساعدة الغير، وإتقان العمل، وحُسْن الكلام، كل ذلك – وغيره الكثير والكثير – أمثلة بسيطة لإيداعات في ميزان الحَسَنَات، تُثْقل ميزان الحَسَنَات يوم القيامة .

هذا الخُلُق يُبَيِّن لله تعالى أن صاحبه عرف أن الله حَقّ، وأن الحساب حَقّ، وخاف الله، وأحب دخول الجَنَّة، ووجده الله تعالى مجتهداً في أن يزيد من رصيد حسناته بأعمال يرضى عنها الله فاحتسبها الله له، والله يضاعف لمن يشاء .

صحيح لا يدخل الإنسانُ الجَنَّة، بعمله فقط، وإنما حالة الاجتهاد في جَمْع الحَسَنَات، يُحِب اللهُ أن يرى عباده عليها، وهي بإذن الله تعالى شفيع له أن ينال رحمة الله، ويفوز بالجَنَّة، بإذن الله تعالى .

المهم أن حصيلة التحلي بهذا الخلق أن نجد إنساناً سليماً في معاملاته مع الناس، إنسانية كانت أم مالية، أم غير ذلك، لأنه لا يحب أن يخصم من رصيد حسناته، وإنما يحب أن يضيف إليها، فمثلاً يؤدي الأمانة التي عليه ليُكتب في حسناته أنه أدَّى الأمانة، وهكذا .

فهذا خلق أفلح من تحلى به، وسعِد من جاور صاحبه، أو تعامل معه، ولهذا هو من مكارم الأخلاق .

٤ـ خُلُق الاحترام

وأقصد بهذا الخلق أن نُعطيَ كلَّ ذي قَدْر قَدْرَه، فيلتزم الغير أن يُعطينا قدرنا كذلك، وصولاً إلى الاحترام المتبادَل .

ولهذا الخُلُق صور عدة . فهناك صورة حدثتنا عنها الآية رقم ١٠٨ من سُورة الأنعام، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

فقد نكون سبباً رئيسياً في أن يَسبنا أو يَسب أهلنَا آحادُ الناس، إذا قمنا نحن بسبِّه. وذلك لأننا لم نتحلَّ بخُلُق احترام الغير في معاملاتنا، ولهذا علينا أن نعرف أنه في المقابل لن يحترمنا هذا الغير .

والآية الكريمة تضع القاعدة: أنه علينا دائماً أن نعتبر أن الأمر يبدأ مِن عندنا، فعلينا أن نبدأ باحترام الغير، ليس – فقط – بعدم سَبِّهم، بل علينا أن نبدأ باحترامهم في أسلوب كلامنا، وفي أسلوب الزِيّ الذي نرتديه، ففي قوله تعالى: ﴿ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ – سُورة الأعراف، يحدثنا الله تعالى عن تزيننا لدخول المسجد، والوقوف بين يدي الله – سبحانه وتعالى – احتراماً للوقوف بين يدي الله، واستعداداً لذلك، ونتعلم من هذه الآية الكريمة، أنَّ لكل لقاء، أو خروج، أو ما شابه، زيَّاً يتعين أن نحترمه تأدباً واحتراماً للغير لكي نكون في هيئة أو صورة تفرض على من يتعامل معنا الاحترام .

أذكـر – هنـا – عندمـا عُيِّنـتُ في النيابـة العامة، عـام ١٩٨٢م، حاضَـرَنـا المرحوم الجليـل المستشـار سـمير ناجي (أسـكنه الله فسـيح جناتـه)، وكانـت أول كلمة قالها لنا: «**prestige oblige**»، «برسـتيج أوبليج»، وهي عبارة باللغة الفرنسـية ، ولم يفهم أيٌّ مِنا ماذا يقصد ؟!، فشرح لنا – رحمه الله –: أن «بريسـتيجك»، أي صورتك وهيئتـك، وطبيعة حركتك، وكلامك، التي تظهر بها على الناس . أما كلمة «أوبليج» فتعني: أنها تُجْبِر مَن يتعامل معك، على التعامل معك بصورة معينة . وحثَّنا أنه علينا أن نبدو في وقار عضو النيابة العامة – طالما كنا أمام الناس، وخلال تقابلنا أو تعاملنا مع أيّ شـخص – في الملبس، وأن رُقِي التصرف والعقلانية والوقار ، هو ما يُجبر المتَعامل معنا على ألا يتجاوز في تصرفه، وأن يحترم الشخصية التي بدأت باحترام الغير .

وحينـما يغضب – مثـلاً – أحد الآباء أن معلماً قد تجاوز في حَـقِّ ابنه التلميذ، فإن الخطـأ ربـما كان مـن التلميذ، أو مـن الأب ذاته، فربـما الأب لم يُعلِّـم ابنه كيف يحترم الكبير، وأن يُوَقِّر مُعلمه ؟!، فلو عَلَّم الأبُ ابنَه هذا، ربما لم يكن هناك سبب ليتجاوز المُعَلِّم مع ابنه .

الاحـترام أيضـاً أوصى به الكتاب المقـدس في عدة مواضع، أذكـر منها: «**من قال لأخيه رقا يكون مسـتوجب المجمع . ومن قال يا أحمق يكون مسـتحقًا لنار جهنم**» (متى ٥: ٢٢)، وكذلك أن نكرم شتى الناس و ألا نطعن في أحد (١ بطرس ٢:١٧؛ تيطس ٣:٢)، وكذلك: «**لاَ يَسْـتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ**» رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٤: ١٢، وأيضاً في سفر الأمثال ٤: ١٣ «**تَمَسَّكْ بِالأَدَبِ، لاَ تَرْخِهِ. احْفَظْهُ فَإِنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ**» .

خُلُـق الاحـترام، خُلُـق غير مُـدْرَج في مناهجنا الدراسـية، على الرغـم من أهميته وقيمته الاجتماعية الكبرى، وعلى هذا فالبداية مِنَّا، وليست مِن الغير .

احترامنـا للغـير قد يُجبره على مبادلتنـا الاحترام، والعكـس صحيح، فعلينـا أن نتابع تصرفاتنـا مـن الآن، وأن نُراجع أنفسـنا وتصرفاتنا وأقوالنا وأسـلوب التعامل مع الغير، وأن نتخَلَّـق بخُلُـق الاحـترام . والإنسـان المحترَم الكلُّ يُحِـب أن يتقرب إليـه، يُصاحبه، يُناسـبه، يَتعامـل معه، لأنه إنسـان مُقـدَّرٌ مجتمعياً، والبدايـة أن الاحترام خُلُـق يحتاج إلى تدريب وتأهيل وعمل جاد لنفوز به، ويحتاج مِنَّا أن نفهم أن البداية مِنَّا وليست من الغير .

الاحـترام مبادرة نبدأ بها مع مَن حولنا، وسـيفرض نفسـه (الاحترام) على طبيعة العلاقة، ولو أخذ بعض الوقت .

وصور الاحترام المطلوبة كثيرة، على سـبيل المثـال: احترام مَن يخدموننا، واحترام العاملين معنا، ومراعاة ظروفهم، كالتعامل مع ذوي الإعاقة، فعلينا احترام قدراتهم، والتعامل معهم على هذا الأساس، واحترام السائل فلا ننهره . المحصلة أنني أتحدث عـن أن الاحـترام خُلُق يمشي بـه صاحبه بين الناس، فيكون حاكـماً له في كل مناحي حياته، بدءًا من احترام المواعيد، إلى احترام الخصوصية، إلى احترام ظُروف الآخرين، إلى احترام الصغير والكبير ، فهو خُلُق مَن يحترم الناس، ليحترمه الناس .

واحـترام الغير لا يكـون حال حياتهم فقط، بل حتى بعد موتهم بأن نصلي عليهم، ونمشي في جنازاتهم، ونحسن دفنهم أو قبرهم، ونترحم عليهم، بل ونفعل الحسنات والخيرات باسـمهم تخلقاً بخلق الاحترام، لنجد من يفعل معنا هذا بعد موتنا، ولهذا فهو خلق ما أكرمه .

٥- خُلق الاحتساب

وصاحب هذا الخُلُق لا يمكنه الاستعانة إلا بالله، فهذا ما يدعو به في صلاته كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ - سورة الفاتحة، وقد أدرك قول رسول الله - عليه الصلاة والسلام - «**فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»، أي: إذا كان هناك أَمْرٌ استشعرت أنه أكبر من قدرتك، فقل حسبي الله ونعم الوكيل، أي استعن بالله ولا تعجز، واطلب منه العون والنُّصْرة.

وفي ذلك آيات عدة منها، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾ - سورة آل عِمْران، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ - سُورة الطَّلاق.

ومعنى ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، أي: الله كافينا . أي أن الله – سبحانه وتعالى – قادر أن يكفي العبد، ويدفع عنه ما أصابه، وقوله: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، هو ثناءٌ على الله تعالى، وأننا لا نرى غيره قادراً على ذلك، سبحانه . فصاحب هذا الخُلُق يشعر أنه فقيرٌ إلى الله، ويُعلن أنه استغنى عن كل ما يستطيع الناس أن يخدموه به، وقد أوكل أمره إلى الله – سبحانه وتعالى – نِعْم الوكيل .

إلى ذلك أيضاً ذهبت آيات الكتاب المقدس، أذكر منها: «**انظروا إلى الأجيال القديمة وتأملوا هل توكل أحد على الرب فخزي ؟!**» (سفر يشوع بن سيراخ ٢: ١١)، وكذلك: «**ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ! طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ**» (سفر المزامير ٣٤: ٨)، وكذا: «**كَثِيرَةٌ هِيَ نَكَبَاتُ الشِّرِّيرِ، أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ فَالرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ**» (سفر المزامير ٣٢: ١٠)، وأيضاً: «**تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ**» (سفر الأمثال ٣: ٥) .

ومن زاويةٍ أخرى، فإن خُلُق الاحتساب له وجهٌ آخر، وهو أنه إذا أَلَمَّت بالإنسان مصيبةٌ، فإنه يحتسب صبره في ميزان حسناته عند الله، أي ثوابه عند الله . أي هو يُدرك أنه سيثاب على صبره هذا، ولهذا يطلب من الله تعالى أن يحتسبها له، فهو يدخل فيمن قال فيهم الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾– سُورة البقرة ، فقَبِلَ وصَبَرَ، كذلك هو الوجه الآخر من خُلُق الاحتساب.

(خُلُق الاحتساب)، خُلُق كله إيمانٌ وتسليم بقدرة الله تعالى، وتفويضُ وتوكيلُ الأمورِ كلها له .

وميزة هذا الخلق – في المعاملات بين الناس – أنه يعطي الإنسان قدرة على مواجهة الصِّعاب، وتقبُّل الصدمات، وبهذا يكون أقل انفعالاً وأكثر ثباتاً، فتأتي ردود أفعاله متوازنة لا تزيد الأمور تعقيداً، فينعم صاحبه بحياة أكثر هدوءًا، ويكون مرحباً به في المعاملات .

٦ - خُلق الاحْتِشَام

أنـا هنا لا أتحدث عن أحكامٍ شرعيةٍ، ولكني أعـرض لخُلُق من مكارم الأخلاق، هـو خُلُـق الاحتشـام، أي: حُبُّ أن يكون اللباس سـاتراً - (له) أو (لها) - بالشـكل الذي يُرضي الله تعالى، وبقدر ما يستطيع بالطبع .

فصاحـب أو صاحبة هذا الخُلُق أمامهما آياتٌ كثيرةٌ في القُرْآن الكريم، أذكر منها، على سـبيل المثال، قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ - سُـورة الأعـراف، وقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾- سُورة النور .

وقـد ورد في الكتاب المقدس: «وَكَذلِكَ أَنَّ النِّسَــاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ، مَــعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِــئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ» (تيموثاوس الأولى ٢ : ٩) .

صاحبة هذا الخُلُق عرفتْ كيف توازن بين تزينها في بيتها، ولأهلها، ولمن أُحِلَّ لها أن تتزيـن أمامهم ؟! وكذلك، كيف تحتشـم - أمام الغيـر - على الوجه الذي يُرضي الله تعالى ؟!، فهي تعرف أنها مطالَبَةٌ بستر نفسها لتتقي فتنة الآخرين، وكذلك تدرك أن ذلـك ليـس حرماناً لها، بل هو تكريـمٌ لها، ولذلك، فهي في حالـة محاولةٍ دائمةٍ أن تتقرب إلى الله بخُلق الاحتشام، وأنها لا يُهِمُّها شيءٌ سوى رضا الله عنها في هذا المقام، ورضائها عن نفسها .

فخُلُـق الاحتشـام - هنـا - هو الذي يجعلهـا لا تُحب أن يراها الغـير في موضعٍ أو مظهـر غـير لائقٍ، وكذلـك ألا تكون موضع نظر الآخرين بسـبب تزينهـا أو طريقة لبسها أو ما شابه، فهي تحب أن يحبها الناس لشخصها ولأخلاقها ولحسن معاملاتها، وليس لإبراز مفاتنها .

كذلـك، فإن خُلُق الاحتشـام يتخَلَّق بـه الرجال، فيُحِب صاحب هـذا الخُلُق ألا يكون لافتاً لنظر الغير، وأن تكون ثيابه لائقةً متمشيةً مع رغبته في عدم لفت الانتباه .

فقـد أوصى رسـول الله - صلى الله عليه وسـلم - بعض أصحابـه - وهم قادمون مـن سـفر - بالاعتناء بالنظافة، وحُسْـن المظهر قائلاً : «إنكـم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رِحالكم وأصلحوا لِبَاسـكم حتى تكونوا شــامة في الناس، فإن الله لا يُحِب الفُحْش ولا التَّفَحُّش» .

خُلُق كريمٌ يتعامل به الإنسان مع ربه، فحينما تكون المقارنة أمامه بين الناس وبين الله سبحانه وتعالى، يكون الاختيار مرضاة الله، وهذا هو خُلُق الاحتشام، من وجهة نظري .

ويؤخذ في الاعتبار أنني لم أتعرض لشكليات معينة في طريقة الاحتشام، فإذا كان في الإسلام الاحتشام بالحجاب واجباً على المرأة، مثلاً، إلا أنه في المسيحية – وهي تلزم أبناءها بالحشمة بالقطع – فإنه لا يوجد إلزام بزيٍّ أو غطاء معين .

وعلى كلٍّ، فإنني أتحدث هنا – كما سبق أن قُلت – عن خُلق مبعثه الضمير والوازع الداخلي للإنسان، والرغبة الداخلية في أن يتحلى بهذا الخلق ، وهو خلق توافقت عليه الأديان السماوية، بغض النظر عن بعض الاختلافات الشكلية في الزيّ الواجب .

٧- خُلُق الإحْسَان

الإحسـان، خُلُـق وَرَدَ في مواضـع كثيرة من القُـرْآن الكريم، وللمحسـنين ثواب وأجر عظيم .

والإحسـان هو فِعل المعروف عن طريق الإنعام على الغير، بما ينفعه، بحيث يُغَيِّر حالة هذا الغير للأحسن، كإطعام الجائع، وإعطاء المال للفقير، وإيواء الضعيف .

وعلى هذا فالإحسان لغةً: ضدّ الإساءة، والمحاسن في الأعمال: ضدّ المساويء من الأعمال، وحسّـن الشّيء تحسيناً: أي زيّنه، واختصاراً، كلمة «الإحسـان» بمفردها، تعني: فِعْل كل شيء حَسَن .

وقد شرح لنا النّبيّ – صلّى الله عليه وسـلّم – الإحسـان بــــ : «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لّم تكن تراه فإنّه يراك**» . وهنا، كلمة الإحسان تعني: حُسْن الطّاعة ؛ وهو تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ – سُورة النَّحل ٩٠، وثواب الإحسـان كبير عند الله، فقال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ – البقرة ١٩٥، وقال عزَّ وجَلَّ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ – سُـورة الرحمن ٦٠، أي ما جزاء مَن أحسن في الدّنيا إلّا أن يُحْسَن إليه في الآخرة .

أمّا الإحسان في المعاملة مع الناس، فيكون فيما زاد على الواجب شرعاً، فالواجب شرعاً في الزكاة – مثلاً ٥ , ٢٪، والإحسان أن يزيد الإنسان عن ذلك، لحُبِّه الأحسن

للناس ،ويدخل فيه جميع الأقوال والأفعال، والإحسان يكون - أيضاً - في العفو عن الحقوق الواجبة، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ - سُورة آل عِمْران ١٣٤، وكما قال رسولنا الكريم - صلّى الله عليه وسلّم - لسيدنا عليّ بن أبي طالب: «**ألا أدلّك على أكرم أخلاق الدّنيا والآخرة؟ أن تصل مَن قطعك، وتعطي من حرمك، وذاك هو الإحسان**» .

ولقد أشار القُرْآن الكريم إلى هذا الخُلُق في مواضع كثيرة، منها:

مواجهة الشدائد بالصّبر عليها، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ - سُورة هود ١١٥، أي أنه من الأفضل لك عند الشدائد أن تصبر .

أداء الدّية لوليّ القتيل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾ - سُورة البقرة ١٧٨ .

معاملة المطلّقات، قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ... مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ - سُورة البقرة ٢٣٦ ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾ - سُورة البقرة ٢٢٩، أي يكون بالترفع والمنح، وليس بالمشاحنات وما شابه .

كظم الغيظ، والعفو عن الناس، عند المقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ - سُـورة آل عمـران ١٣٤ . وتتضمّـن هذه الآية الإحسـان إلى المُسيء بالعفـو عنه، فكظم الغيـظ مرتبةٌ عاليـة، ولكنّ المرتبة الأعلى هـي العفو عند المقدرة، وتلك درجة الإحسان.

والإحسـان قد يكون في القـول، قال تعـالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ - سُـورة الإسراء ٥٣ ،وقولـه تعـالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ - سُـورة العنكبـوت ٤٦، أي فليكـن كلامنـا إلى الغير أحسن من كلامهم هم لنا، وإذا قلنا فلنقل خيراً أو لنصمت .

وكذلـك في الخصومـة والخلافـات، قـال الله تعـالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ - سُـورة فُصِّلَـت ٣٤، أي ابـدأ أنـت بكلمة طيبة أو فعل طيب يذيب الخلاف .

وفي معاملـة اليتامـى والضّعفاء، قال تعـالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ - سُورة الأنعام ١٥٢، أي بما تسعى به إلى زيادة هذا المال والحفاظ عليه .

وكذا في تبادل التّحيّة وردّ السّلام، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ ﴾- سُورة النساء ٨٦ .

وكـذا في الحفاظ على سلام المجتمعـات بالإحسـان،فيقـــول الله سبحانـــه وتعـالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾- سُورة البقرة ١٩٥ ،فالآية تحثنا أنّ بالإحسان تتقرب القلوب، وهذا شأنه سلامة المجتمع وترابطه.

بالإحسان يكون الأجر العظيم، كما بيَّنت لنا الآيات، الله تعالى يُحِب المحسنين، وما أجمل أن يُحِب اللهُ إنساناً، فيكون قد فاز بالدنيا والآخرة.

وآيات الكتاب المقدس في أمر خلق الإحسان كثيرة، أورد منها: «وَإِنْ ذَهَبْتَ مَعَنَا فَبِنَفْسِ الإِحْسَانِ الَّذِي يُحْسِنُ الرَّبُّ إِلَيْنَا نُحْسِنُ نَحْنُ إِلَيْكَ» (سفر العدد ١٠: ٣٢)، وكذلك: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُم» (إنجيل متى ٥: ٤٤)، وكذلك: «طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ. فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبّ» (سفر المزامير ٤١: ١)، «لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي» (إنجيل متى ٢٥: ٣٥).

يسمو هذا الخلق أكثر وأكثر بصاحبه إذا كان من داخله لا يبغي شكراً من أحد، ولا يحركه سوى شعوره بالمحتاج وتعاطفه معه، وتحركه لمساعدته سراً. وكلها أمور ترتبط بالنوايا لا يعلمها إلا الله، ولها درجاتها الأعلى بالقطع.

خُلُق كريم، يستحق أن يكون أولى الأخلاق التي نتعلمها، ونتعامل بها، ونُعلمها لأولادنا، فخُلق الإحسان يُعلِّم صاحبه الإتقان والسعي للإجادة، وهو - بالقطع - يُفرز لنا إنساناً يحبه الناس، ويُقبلون على التعامل معه، وهو موضع حبهم ودعائهم، ومن منا لا يحب أن يكون خُلقه في هذا الطريق، وأن يتعلم أولاده فضل هذا الخلق الكريم.

٨- خُلق الإخْلاص

الإخلاص هو أن يكون العمل من القلب، وليس شكلياً، فيتفق الظاهر مع الباطن في العبادة، وفي المعاملات، وما إلى ذلك .

وصاحب هذا الخُلُق، قلبه لايعرف الخيانة، وإذا عاهد أحداً على شيء أوفى بعهده، وإذا غاب عنه حافظ على عهده، فلقد عرف أن الله – سبحانه وتعالى – يُحِب أن نخلص في كل شيء، فيقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ – سُورة غافر ٦٥ ، ويقول تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ – سُورة يُونُس ٢٢ .

وهو (صاحب هذا الخُلُق) يُحِب أن يُحِبه الله تعالى، وأساس تديُّنِه هو في إخلاص العبودية لله تعالى، فالله يقول في سُورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، أي يُحِب أن نقول ونؤمن: بأن الله أحد، وأن الله صَمَد، وأنه لم يَلِد، ولم يولَد، ولم يكن له كفواً أحد، وإننا لا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدِّين . هذا هو الإخلاص مع الله – سبحانه وتعالى –، ومن قال لا إله إلا الله، فقد نجا وفاز .

والإخـلاص – وهـو الثبات عـلى العهد والوفاء بـه – له أعظم الثـواب عند الله، يقـول تعـالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ – سُورة البقرة ١٧٧ .

والإخـلاص منهج حياة، فنقول: هذا مخلصٌ لعملـه، وهذا مخلصٌ لفريقه، وذاك مخلصٌ لوطنه، وهكذا .

وكذلـك وردت أحاديـث شريفـة عـن النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – حول الإخـلاص، منهـا: قوله – صـلّى الله عليه وسـلّم –: «إنّ الله لا يقبل من العمل إلّا ما كان له خالصاً وابتُغِي به وجهُه»، وقوله – صلّى الله عليه وسـلّم –: «إذا صلّيتم على الميّت فأخلصوا له الدّعاء»، فإن هذا دليل احترامنا وإخلاصنا في حبه .

ومن آيات الكتاب المقدس أذكر هنا: «لأَنَّنَا لَسْنَا كَالْكَثِيرِينَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، لكِنْ كَمَـا مِنْ إِخْلاَصٍ، بَلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمَامَ اللهِ فِي الْمَسِـيحِ» (كورنثوس الثانية ٢: ١٧)، وكذلك: «إِذًا لِنُعَيِّدْ، لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ، وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ، بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٥: ٨) .

وعـلى هـذا، علينـا أن نُنَقِّي أنفسـنا، فتكـون أعمالنـا نابعة من إحسـاس حقيقي، ومشاعر حقيقة، ليس فيها مواربة، وإنما مصارحة ونقاء .

كذلك حث الكتاب المقدس على خلق الإخلاص، في الآية: «كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢: ١٠)، لتحث على الإخلاص في الإيمان، وكذلك: «تَمَسَّـكْ بِمَـا عِنْدَكَ لِئَلاَّ يَأْخُـذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ» (سـفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣: ١١)

كما تحـدث الإنجيل عن الإخلاص في العلاقات، مثـل إخلاص يوحنا والمريمات مع المسيح، وإخلاص راعوث لحماتها .

ألا تتفقـون معـي أن هذا خُلُق رائع تسـمو به النفوس والمعامـلات والمجتمعات والدول والعالَم أجمع ؟

ألا تتفقون معي أن هذا خُلُق نحتاج أن نجتهد كثيراً، ونربي أولادنا عليه، لنحصده في المسـتقبل؟ فما نزرعه الآن هو ما سـنحصده غداً، ولا يمكن أن نكون مربين أَكْفَاء إلا إذا كنا قدوة لأبنائنا، كذلك في عملنا فلنعطِ القدوة، ونَكُن نموذجاً .

الإخلاص شأنه كشأن أخلاق كثيرة يحتاج إلى تدريب، فلنُدرِّب أنفسنا أن نقول ما نشـعُر بـه، وأن يكون كلامنا من القلـب، فحينما ندعو الله تعالى ندعـوه من قلبنا، ونركز ونحن ندعوه في صلاتنا، نخشع لله تعالى، ونستمتع بهذا الخشوع .

وفي بِـرِّ آبائنـا نكون مسـتمتعين بـأن الله تعالى قـد أطال في عمرهما حتى نسـتطيع رد الجميـل لهم، وندخـل الجَنَّة من هذا الباب الواسـع الكبير، فلنجتهـد ونبدأ في أن نسـتحضر نية الإخلاص فيما نقول أو نفعل أو نصنع، فإن نتاج هذا سـعادة في الدنيا والآخرة، وما أجمل أن يكون هذا هدفنا .

٩- خُلق الأخُوَّة (الإخاء)

الأخُـوَّة حال مـن أحوال الدنيا، إذا ما أخذناها بالمعنـى البيولوجي، أي أن تكون هناك علاقة تربط شـخصين عـن طريق الأم أو الأب أو كليهـما معاً، وقد يكون غير بيولوجـيِّ كالصّديق أوالصّاحب، ويقال للأصدقاء وغير الأصدقاء إخوة وإخوان، مثـل قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ - سُـورة الحُجُـرات ١٠، وكـما جاء أنّ النّبـيّ - صلّى الله عليه وسـلّم - آخى بين المهاجرين والأنصـار، أي ألّف بين الأعلى والأدنى، ليرتقي الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى .

ولقـد أورد القُرْآن الكريم فضل الأخوة في مواضع متعددة، وبمعانٍ مختلفة، أذكر منها للتمثيل:

الأخـوة من العائلة أو القبيلة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾- سُـورة الأعراف ٦٥، وقوله تعالى : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ﴾- سُورة الأعراف ٧٣، وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾- سُورة هود ٨٤ .

الأخوة في الدِّين والمتابعة: ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ - سُورة آل عمران ١٠٣ ، وقولـــه تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ - سُورة الحُجُرات ١٠ .

الأخوة في المودّة والمحبّة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ - سُورة الحِجْر ٤٧ .

الأخوة بمعنى الصّاحب: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾- سُورة ص ٢٣ .

أما معنى الأخوة مجتمعياً - فكما نعرفه - هو التراحم والقرب والتواصل والرجولة، والوقوف بالجانب، ومشاركة الحزن قبل الفرح .

ولعِلم الله تعالى بفضل هذا الخُلُق بعث أنبياءه، وآخرهم سيدنا محمد - صلى الله عليهم وسلم أجميعن - ليعلموا الناس هذا الخُلُق الكريم .

لقد حثنا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن نتفانى لنكون أخوة، فقال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يُحِب لأخيه ما يُحِب لنفسه**» .

وعلَّمَنا القُرآن الكريم أن ندعو لإخواننا، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ - سُورة الحشر ١٠ .

بل حثَّنا الله تعالى أن نُحسِن إليهم، وأن نقف بجانبهم في الضراء، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾- سُورة التوبة ٤٠ .

أما في الكتاب المقدس، فإن للأخوة شأناً كبيراً، وآيات كثيرة تحدثت عن فضل الأخوة، أذكر منها: «**أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ**» (رسالة بطرس الرسول الأولى ١ : ٢٢)، كذلك: «**طَهِّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ**» (رسالة بطرس الرسول الأولى ١ : ٢٢)، وكذا: «**وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**

بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٠)، وأيضاً: «أَحِبُّوا الإِخْوَةَ. خَافُوا اللهَ» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٢: ١٧)، وكذلك: «وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الأَخَوِيَّةُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لأَنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ مُتَعَلِّمُونَ مِنَ اللهِ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٤: ٩).

الإنجيل قد جعل جميع الناس إخوة، حيث ذكر ذلك في مثل السامري الصالح الذي خدم عدوه وأنقذه من الموت (لوقا ١٠).

فلنعرف حَق الأخ، ولنصل رحمنا حَق الصلة، أي نتواصل معهم، ونتراحم، ونقف بجانبهم مخلصين، وكذلك فالأخ الصديق أو الصاحب له ذات الحقوق، والأخوة بجميع عزوة، أي بها تشعر بالأمان والقوة، وأنك لست وحدك.

فاحرِصْ على أن تكون أخاً - كما يُحِب الله تعالى أن يراه - كريماً خلوقاً داعياً إلى الخير، ناصحاً مكاشفاً متواصلاً، مُتحملاً مسئولية هذه العلاقة مع إخوتك بمعناها الواسع، فالأخوة خليط من خُلُق المعاونة والإغاثة والتراحم والمواساة والتسامح والعطاء وصلة الرحم، وغيرها الكثير من مكارم الأخلاق.

هو خُلُق جامع، فاحرص أن تكون أخاً كما ينبغي حتى يرزقك الله بمن يتقي الله في علاقته معك، ويكون نِعْم الأخ، المهم أن ندرك أنه خلق كريم علينا أن نتخلق به.

١٠ - خُلق الأَدَب

الأدب هو قلب الأخلاق، وهو درجة رفيعة من مجموعة أخلاق حميدة، فالإنسان المؤدَّب قد تجاوز مراحل مُعتبَرة من مراحل حُسْـن الخُلُق، ومعنى الأدب اصطلاحاً: هو ترويض النّفوس على عمل محاسن ومكارم الأخلاق، أو أيّ فضيلة من الفضائل، فالأدب هو اسـتعمال الخُلُق الجميل الّذي يترك في نفس سامعه أو قارئه أو متلقيه أثراً يقوده إلى مكارم الأخلاق .

أما معناه البسيط – كما نفهمه – هو أنه إنسان يحترم الغير، ويعطيهم قدرهم، وقد بلغ من ضبط النفس في سـلوكياته مرحلة متميزة، فيتعامل بها مع الغير، ويلحظ مَن يتعامـل معه أن هذا الشـخص يحترم مَن حوله ولا يتجـاوز، كما أن كلامه منضبط لا يخرج عن أدبيـات الحوار، وهو في الأغلـب ينتظر من الغير أن يبادلـه ذات المعاملة، أي: أدبـاً بأدب ، ولقـد وردت آيات عديدة تحث على ذلك، بل وتُبين مظهر المؤدب، منهـا قولـه تعـالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ – سُورة البقرة ١٨٩ ، وما أعظم هذا من مبدأ، ففيه ما فيه من احترام خصوصية الغير، وليست البيوت – على ما أرى – المباني فقط، وإنما – أعتقد أنها – تُطبَّق على المواضيع والمواقـف، بمعنى أن يكون الإنسـان مراعيـاً لخصوصية الغـير، ولا يتدخل فيها إلا بإذن صاحبها، أو بِنَاءً على طلبه .

وقول سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ – سُورة المائدة ١١٦، وسيدنا عيسى – عليه السلام – ممَّن أدبهم الله فأحسن تأديبهم، فيقول مخاطباً الله تعالى: ما كان له إلا أن يقول قولاً حسناً، أمره به الله تعالى، وليس له أن يزيد على ذلك .

والمؤدَّب هو الذي لا يلغو في حديث (أي: الكلام لمجرد الكلام)، بل إن كلامه يمر من خلال (فلتر) يُصفِّي الكلمات، فيخرج من فمه ما يصح أن يقال، ويستبقي ما لايصح أن يقال، وهكذا، فلنحرص أن نُقيم هذا الفلتر في أذهاننا لفرز ماذا يتعين أن يقال، وما يتعين أن نستبعده أو نتفاداه من الكلمات .

ثم نأتي إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ – سُورة الأعراف ٢٠٤، هنا يعلمنا الله تعالى أدب الاستماع إلى القُرْآن الكريم، والإنصات إليه، وتبيُّن المعاني، وعدم الحديث أثناء الاستماع إلى القُرْآن الكريم، ولي رأي – مجرد رأي يحتمل الخطأ بالطبع – أنه أدب الاستماع بصفة عامة، فحينما يحدثنا شخصٌ ما، فمن الأدب أن نستمع وننصت، إذا كان أستاذاً في مدرسة، أو جامعة أو غير ذلك، في حياتنا أبٌ أو أمٌ يُحدثان أولادهما، أو صاحب عمل يُحدِّث مرؤوسيه، وهكذا هناك أدب الاستماع والإنصات، وعدم قطع الحديث إلا بإذن، وكلها أمور لا تكون إلا من إنسان مؤدَّب يحترم الغير، ويعطيه قدرَه .

ثم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ – سُورة الرعد ٢٢،

هنا إشارة إلى علامة أخرى من علامات الأدب، وهي الصبر، فالصبر سِمة المؤدب، لأنه يعرف أنه أمام ابتلاء، وأن عليه ألا يعترض أو يُبدي استياءه، ولكن مِن أدبه يحترم الموقف، ويقدر أنها إرادة الله تعالى، وعليه بتقبلها دون اعتراض .

وكذلك الصبر على أذى الآخرين، فمن الأدب أن تعطي لهم الفرصة لمراجعة أنفسهم، وهنا صفة الحِلم أي يكون حليماً صبوراً من أدبه، وليس عن عجز أن يواجه ويعترض، ولكنها العقلانية والتريث والهدوء، كلها من علامات الأدب .

كذلك، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ - سُورة فاطر ٢٩، أي أن المؤدَّب يشكر الله تعالى على نعمته، وشكره ليس بكلمة (الحمد لله) فقط، وإنما بالإنفاق، وإن مِن أدبه أنه لا يرجو شكراً من الناس، وإنما يرجو أن يشكر الله تعالى، فينفق سراً لأنه لا يهمه إلا رضا الله تعالى، ثم ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾، أي: إنه قد يُسيء إليه الناس فلا يردُّ الإساءة بالإساءة، بل يردُّ الإساءة بالحَسَنَة، وهذا قمة الأدب في المعاملات، حيث يدفع بالتي هي أحسن، فإذا بالله تعالى يهدي بها مَن حوله، ويعيدهم إلى الطريق المستقيم، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾- سورة فُصِّلَت ٣٤، وهذه الآية فيها ما فيها من سمو وأدب وأخلاق يجب أن يرى الله تعالى عليها عباده .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ ﴾ - سُورة الإسراء ٥٣، جاء رسول الله

برسالة يعلمنا فيها أن نتحرى الدقة في أقوالنا، فمن الأقوال ما قد يؤذي الناس، أو يؤدي إلى صراعات أو خلافات، ومنها ما قد تلتئم به الجروح، ويعمُّ بها الخير .

نعود هنا إلى (الفلتر) الذي يجب أن نتحلى به، فلتر الكلام ليخرج منه فقط ما هو أحسن، وقد جاء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، « فليقل خيراً أو ليصمت»، هذا هو الأدب بعينه، إما قول الخير أو الصمت .

نأتي إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ - سورة فُصِّلَت ٣٤، فيها يعلمنا الله تعالى الفارق الكبير بين الإساءة والإحسان، فإذا أردنا أن يكون أدبنا وخُلُقنا الإسلام فلندفع بالتي هي أحسن في معاملاتنا مع الغير، حتى الذي أساء إلينا، فالأدب هنا عدم ردِّ الإساءة بالإساءة، وإنما ردّ الإساءة بالإحسان .

أنتقل إلى سمة أخرى للمؤدَّب، وهي الاستئذان، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ - سُورة النور ٦٢، وفيها يعلمنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه إذا اجتمعت على شيء مع جماعة فلا تنصرف حتى تستأذنهم، فربما كان لوجودك قيمة معينة يفتقدونها بانصرافك، فلتسمح لهم بإحضار البديل مثلاً، وهذا ينطبق في حياتنا على أمور كثيرة، فالموظف الذي ينوي أن يترك شركته إلى مكان آخر، عليه - من باب الأدب - الاستئذان من شركته، وإعطاؤهم فرصة مناسبة للاتفاق مع غيره، فتصرُّفه بهذا تصرف الإنسان المؤدب الذي يحترم ما أُمِر به .

هنـاك أيضـاً أدب عدم الإيذاء، ففـي قوله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ - سُورة الأحزاب، فمـن يُـؤذي مَن حولـه ليس مـن الأدب في شيء، والـذي يُؤذي قد خـرج عن صفة الأدب، بل نحن مطالبون - كما سبق وأوضحت - أن نرُدَّ أذى الغير لنا بالإحسان، ومطالبون ألا نؤذي أحداً أصلاً، سواء أكان جاراً أو صديقاً أو حتى ممن لا نعرفهم .

ثم ننتقل إلى أدب التحية، بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ - سُورة النِّساء، وفحوى هذا أن نكون بُسـطاء في التعامل، سمحين مع الناس، يُحيِّي كلٌّ منا الآخر، بل ويحييه بتحية أحسن ممـا حيـاه بها الغير، وكأننا نتسـابق في أن تكون تحيتنا أفضل، وهـذا هو الأدب بعينه، أدب احترام الناس ورد التحية بأحسن منها .

هناك شـكل آخر للأدب قد يتصل بالمظهـر ، فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ - سُورة الأعراف، هكذا يكون التأدُّب مع بيوت الله تعالى، فلا ندخلهابأي زِيٍّ، ولا على أي وجه، وإنما يجب أن نكون مغتسلين ومتطهرين، وأن يسعى كل شخص أن يأخذ زينته بقدر ما يستطيع، وما يتيسر له عند دخول بيت الله تعالى، أدباً واحتراماً وإجلالاً .

وكذلـك فإن هناك أدباً للأكل، في قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ - سُـورة الأعـراف، فأدب الطعام هنا هـو الاعتدال، فالمؤدَّب إنسـان معتدل يسـتخدم ما أُتيح له دون إسراف، واعتقد أن الأمر ليس فقط منصرفاً على الطعام، بل على كل مناحي الحياة، فما يُتاح ويَحِلُّ لنا يجب أن نتحلى فيه بالاعتدال

وعدم الإسراف، فالمؤدَّب يستخدم حقه دون إفراط أو تفريط، لأنه معتدل في مسلكه حتى في استخدام حقوقه .

أدب آخر علَّمَنا إياه الرسولُ – صلى الله عليه وسلم – من خلال آيات القُرْآن الكريم، وهو أدب النظر إلى الغير، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ....﴾ – سُورة النور، فالمؤدَّب لا ينظر إلى الغير إلا في حدود ما أحله الله تعالى، دون تمعُّن أو تمحيص، لأن المؤدَّب يعلم أنه ليس من حقه هذا، والمؤدَّبة تعلم أنه ليس من حقها هذا، فغضُّ البصر سمة من سمات الإنسان المؤدب .

كذلك، فإن الإنسان المؤدَّب هو من يحفظ فَرْجَه، وتحفظ فَرْجَها إلا فيما أحل الله تعالى، كما جاء في الآية السابقة من سُورة النور، وفي رأيي أن هذه الآية توضح أن البصر وسيلة من وسائل مساعدة الإنسان على حفظ الفرج، فقد تكون البداية بالنظر، ثم يتطور الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك، وعلى ذلك فالإنسان المؤدَّب هو مَن يعلم أنه يجب عليه أن يحفظ فَرْجه، ولا يستعمله إلا فيما صرح به الله تعالى، وأحله له، تأدباً وطاعةً لأوامر الله تعالى، وهذا – بالطبع – عين التقوى، فالمؤدَّب تقي ينال أجر تقواه .

ثم أدب الزيِّ – مرة أخرى – بعد أن عرضناه فيما سبق، أن نأخذ زينتنا عند كل مسجد، أيضاً هناك من الآيات ما نَظَّم ذلك صراحة، ففي قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

ظَٰهَرَ مِنْهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ – سُورة النور، فيها أدب الاحتشام بصفة عامة، وأن تكون المرأة بأدبها حريصة على ألا تُظهِر من جسدها لمن لا يحق له ذلك، لأن أدبها يجعل عندها من الحياء ما يدفعها للاحتشام بطريقة واجبة، حتى لا ينظر إليها أحد إلا بطريقة تحافظ على حيائها وأدبها كمبدأ عام، وأعتقد هنا – وهذا رأي يحتمل الخطأ – أن الرجل عليه كذلك، فإذا أراد أن يكون مؤدباً في ملبسه فلا يظهر بملابس كاشفة أكثر من اللازم أمام العامة، من غير مقتضى، وإنما يكون زِيُّه – أيضاً – مراعياً ذات المبدأ، فالمؤدب هو مَن يعرف ماذا يلبس ؟ بما يليق، وعليه أن يعمل على غضِّ البصر، وليس العكس، تأدباً مع مَن يتعامل معهم .

إذا كان هدفنا هو أن نتأسى برسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما أمرنا الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ – سُورة الأحزاب، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ – سُورة القلم، فعلينا بخُلُق الأدب، فهو الخُلُق الجامع لكريم مكارم الأخلاق .

وبالقطع فإن خلق الأدب كان محور الرسالات السماوية جميعها، وهنا يتعين عليَّ أن أذكر أن آيات الكتاب المقدس عديدة في أمر خلق الأدب لعِظم هذا الخلق،

فهـو خلق جامع لأخلاق عديدة، أذكر منها: «**تَمَسَّـكْ بِالأَدَبِ، لاَ تَرْخِهِ. احْفَظْهُ فَإِنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ**» (سـفر الأمثـال ٤ : ١٣)، وكذلك: «**الْوَصِيَّةَ مِصْبَاحٌ، وَالشَّـرِيعَةَ نُورٌ، وَتَوْبِيخَـاتِ الأَدَبِ طَرِيقُ الْحَيَاةِ**» (سـفر الأمثـال ٦ : ٢٣)، وأيضـاً: «**وَجِّهْ قَلْبَكَ إِلَى الأَدَبِ، وَأُذُنَيْكَ إِلَى كَلِمَاتِ الْمَعْرِفَةِ**» (سـفر الأمثال ٢٣ : ١٢)، وكذا: «**اِقْتَنِ الْحَقَّ وَلاَ تَبِعْهُ، وَالْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ وَالْفَهْمَ**» (سـفر الأمثـال ٢٣ : ٢٣)، وكذلك: «**الجاهل يتطلع من الباب إلى داخل البيت أما الرجل المتادب فيقف خارجا**» (يشـوع بن سـيراخ ٢١ : ٢٦)، وأيضـاً: «**هُوَذَا طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدِّبُهُ اللهُ. فَـلاَ تَرْفُضْ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ**» (أيوب ٥ : ١٧) ، وكذلـك: «**أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُـولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ**» (سـفر الخـروج ٢٠ : ١٢)، وكذلك: «**الاِبْنُ الْفَاقِـدُ الأَدَبِ عَارٌ لأَبِيهِ، وَالْبِنْتُ إِنَّمَا تُعْقِبُ الْخُسْـرَانَ**» (سفر يشوع بن سيراخ ٢٢ : ٣)، وكذا: «**الْكَذِبُ عَارٌ قَبِيحٌ فِي الإِنْسَانِ، وَهُوَ لاَ يَزَالُ فِي أَفْوَاهِ فَاقِدِي الأَدَبِ**» (سفر يشوع بن سيراخ ٢٠ : ٢٦) .

الأدب هـو خُلـق جامـع للعديد من مـكارم الأخـلاق، توافقت عليـه الديانات السماوية، وهو خُلق لابد أن تدرك أبعاده مناهجنا الدراسية، فهو طبقة الأساس لبناء الشـخصية، يتعـين ألا تُترك لتوجهـات متباينة تقوم بها الأسرة مـع ابنها، بل لابد أن يكون أحد مفردات الدراسة المدرسية لتؤسس لأجيال قادمة تسعد بها المجتمعات .

١١- خُلُق الإرضاء

صاحب هذا الخُلُق الكريم أُعْجِب بالآية الكريمة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ - سُورة الضُّحى ٥، وتعلَّم أن هناك عطاء، وهذا أمر جليل وحميد، وأن هناك عطاء، حتى الرِّضا، وهذه درجة أعلى من درجات العطاء، وهو يطمع في أمرين:

الأول: أن يكون أهلاً لعطاء الله تعالى له بغير حساب، باتقاء الله، والتخَلُّق بالأخلاق الكريمة في معاملاته الإنسانية والمالية وغيرها .

ثانيا: يريد - حينما يُعطي - أن يرضي مَن يعطيه، فلا يعطي - مثلاً - سائلاً ما يكفيه، - ربما - لوجبة يأكلها، إنما يعطيه - ربما - ما في يده من طعام، أو مَبْلغٍ ليُطعِم به أُسْرَته - مثلاً - بما يتمنون، فهو يريد أن يُرضِي هذا السائل، ويزرع السعادة في قلبه محققاً ما جاء في الآية الكريمة سالفة البيان .

خُلُقٌ كريم، الكل مدعو له، فلنسعَ لنُرضي مَن حولنا، نرفع عنهم العناء، نرفع عنهم حرج السؤال .

ولقد أوصت آيات الكتاب المقدس في مواضع عدة بتحفيز الناس على إرضاء من حولهم، أذكر منها: «**وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟**» (رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣ / ١٧)،

وكذلـك: «وأن يصنعوا صلاحا، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة، وأن يكونوا أسخياء في العطاء، كرماء في التوزيع» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦ / ١٨)، وأيضاً: «أَعْطِهِ وَلاَ يَسُوءْ قَلْبُكَ عِنْدَمَا تُعْطِيهِ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هذَا الأَمْرِ يُبَارِكُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ أَعْمَالِكَ وَجَمِيعِ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ» (سفر التثنية ١٥ / ١٠)، وقوله: «قَالَ لَهُ يَسُـــوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي» (إنجيل متى ١٩ / ٢١) .

إن إسـعاد الناس وإرضاءهم ثوابٌ عظيم عند الله تعالى، ومَن أراد إسـعاد الناس وإرضاءهم، - فإن شاء الله - سيعطيه ربُّه ويرضيه، فسبحانه القائل: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾- سُورة البقرة ٢٤٥ .

فلندرك أن الإرضاء خلق كريم، وهو ليس فقط في العطاء المادي، وإنما في العطاء المعنوي، فإرضاء من حولك من الناس بكلمات تسعدهم، ورد الاعتبار لمن أخطأنا في حقه حتى نرضيه، وحسـن أداء الواجب من جانب التلميذ إرضاءًا لأستاذه، وإتقان العمل من العامل إرضاءًا لصاحب العمل، وحسن معاملة الزوجة للزوج والعكس سـعياً للإرضـاء، كل هـذه صور متعددة لأمثلـة لا عديد لها يتعـين أن ندرك أنها من مكارم الأخلاق فندركها ونسعى أن يكون هذا نهجنا وخلقنا وأسلوب حياتنا .

١٢ـ خُلق الاسْتِئْذَان

الاستئذان هو طلب التصريح بفعل شيء، أو الإحاطة (التعريف) بالبَدْء، لأخذ الموافقة على البدء في شيء بسماحة، واستئناس، أي: رضا من المطلوب منه .

ولا شك أنه خُلُق كريم بمعنى الكلمة، فصاحبه يعلم أنه ليس من حقه الدخول على شيء إلا باستئذان، فلا يدخل على اجتماع إلا أن يستأذن في الدخول، ولا يتدخل في حديث إلا أن يستأذن، ولا يجاوب – حتى – على سؤال المدرس في الفصل إلا بعد الاستئذان في أن يسمح له بالإجابة، ولا يدخل بيتاً إلا أن يستأذن من أصحابه، وهكذا، الآية الكريمة تقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ – سورة النور، فالله تعالى قد طلب منا هذا الخُلُق، وأرسل نبيه عليه السلام ليعلمنا هذا.

تتفقون معي: أننا إذا قابَلْنا شخصاً يتدخل فيما لا يعنيه، أو يفرض نفسه في حديث دون استئذان، فإنه يكون بالنسبة لنا شخصية مزعجة، يتدخل فيما لا يخصه، ولا يحترم خصوصية المتحدثين أو الجالسين، وهو بهذا أبعد ما يكون عن الخُلُق الكريم الذي يُحِب الله تعالى أن يرانا عليه.

والاستئذان صفة من صفات الالتزام واحترام الآخرين، أو احترام الكبير، فترى قائد العرض العسكري يستأذن قائده في بَدْء العرض العسكري، ونرى قائد

الطائرة يستأذن من (بُرج المراقبة) أن يبدأ في الرحلة، ونرى لاعب الكرة عند إصابته، وخروجه خارج الملعب، يستأذن (الحَكَم) في دخول الملعب، وأمثلة الاستئذان في حياتنا لا حصر لها .

كلها أمور حياتية، علم الخالق - سبحانه وتعالى - أن بدونها يغيب النظام، وقد تسود الفوضى، وهو ما لا يَصُبُّ في صالح البشرية، فأراد بنا خيراً أن يعلمنا خُلُق الاستئذان، وأرسل لنا الرسل - عليهم السلام - ليعلمونا ذلك، ويعطونا القدوة .

علينا أن نُعلِّم أبناءنا خُلُق الاستئذان، ونحرص أن يكون هذا الخُلُق مما يميزهم، وليعملوا به كمنهج حياة، فهذا ما أمر به الله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٨ ﴾ - سورة النور، في دلالة واضحة على أن الاستئذان أمر حتميّ، حتى بالنسبة للابن مع أهله، فإذا أراد الابنُ الدخول على أبويه - عليه أن يستأذن ثلاث مرات قبل الدخول، كمنطوق القُرْآن الكريم، حرصاً على خصوصية الأبوين، وتهذيباً لخُلُق الأبناء، وتدريباً وتأهيلاً لهم، ليكون الاستئذان خُلُقهم مع كل الناس .

ولقد توافقتْ على الحث على هذا الخلق الكريم آيات الكتاب المقدس، منها: «تَمَسَّكْ بِالأَدَبِ، لاَ تَرْخِهِ. احْفَظْهُ فَإِنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ.» (أمثال ٤ : ١٣) ، وكذلك: «الجاهل يتطلع من الباب الى داخل البيت اما الرجل المتادب فيقف خارجا» (يشوع بن سيراخ

٢١ : ٢٦)، وكذلك «**هَئَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي**» (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣: ٢٠)، وكذلك: «**وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلًا: سَلاَمٌ لِهذَا الْبَيْتِ**» (إنجيل لوقا ١٠: ٥) .

فلنُعَوِّد أنفسنا أن هذا ما طلبه الله، وأننا نُثاب حسناتٍ بمجرد أن نستأذن قبل دخولنا أو تدخلنا في أيّ شيء، لأننا نلتزم بخُلُق كريم أمرنا به الله تعالى ورسوله – عليه الصلاة والسلام – .

وعلى هذا فعلينا ألا نعتبر أن هذا سلوكٌ بديهيّ من المفترض أن يتحلى به الإنسان دائماً، وإنما هو خُلق بعث الله تعالى الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ليعلموه لنا ضمن أخلاق أخرى كريمة، وبهذا هو يحتاج إلى أن ندركه ونعمله ونرشد إليه أبناءنا، ونصحح لهم إذا ما لم يتحلوا به، وعلينا نحن الكبار سِنّاً أن نُذَكِّر أنفسنا به، فالإنسان يظل متعلماً كل يوم إلى أن يلقى ربه .

١٣ - خُلُق الاسْتعَانة باللَّه

وصاحب هـذا الخُلُق قـد بلغ إيمانُـه مرحلة اليقين بـأن لا أحد في هـذا الكون له قـدرات الله تعـالى، فالله الأكبر ، وهو القاهر فوق عباده . وعلى هذا، فهذا الشـخص لا يمـلأ عينَـه أيُّ إنسـان، وإنما هو يـرى أن لا يمكنه أن يسـتعين إلا بخالـق الخَلْق، وليس في ذلك عدم احترام لأحد، بل هو – فقط – يسـتعين بالأكبر والأعظم، فهو يسـتعين بالله تعـالى تنفيذاً لقولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ – سُـورة البقـرة ، وكذلـك قول النبـي – صلى الله عليه وسـلم – «**احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سـألتَ فاسـألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشـيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشـيءٍ لم يضُروك إلا بشـيءٍ قد كتبـه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ**» .

وقـد وردت آيات عديدة في الكتاب المقدس، في خلق الاستعانة بالله، أذكر منها: «**عَلَـى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الإِنْسَـانُ؟**» (سـفر المزامـير ٥٦ : ١١)، وكذا: «**الاحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى إِنْسَانٍ**» (سفر المزامير ١١٨ : ٨)، وأيضاً: «**هذا عند النّاس غير مسـتطاع ولكن عند اللّه كلّ شـيء مسـتطاع**». متى ١٩ : ٢٦،

وقوله «**الرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ**» (سفر المزامير ٢٣: ١)، وكذلك: «**اَلرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي، مِمَّــنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟**» (سـفر المزامير ٢٧: ١)، و «**الرَّبُّ لِي فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي الإِنْسَــانُ؟**» (سـفر المزامير ١١٨: ٦)، وأيضاً: «**كَثِيرَةٌ هِيَ نَكَبَاتُ الشِّــرِّيرِ، أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ فَالرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ**» (سـفر المزامير ٣٢: ١٠)، وكذلك: «**تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ**» (سفر الأمثال ٣: ٥)

ولاشـك أن الله تعـالى يـرى: ماذا نحـن فاعلون ؟! ويعلـم أن مِنَّا مَـن يرى القوة والنصرة بيد مسـئول كبير، أو رئيس له في العمل، أو ما شـابه، وقد أفلح مَن فهم أن للكـون ربـاً واحداً خالقاً قادراً، فلـماذا لا نطلب منه مباشرة ؟!، أنظن أنه لن يسـمع لنا لأننا أقل مِن أن يسـمع لنا، أو لأننا مقصرون ؟! أبداً والله، إن الله عند حُسْـن ظن عبده به، فسـبحانه، كما سـلفَ البيان في الآية السـابقة، يُخْبِرنَا أنه قريبٌ منهم، تحفيزاً على طلب الاستعانة منه مباشرة، وأكد أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه .

فليكن هذا منهجنا وخُلُقنا، فهكذا نكون قد فهمنا مَن هو الأكبر، مَن هو الأعظم، وهكذا يرى الله أننا لا نُشرك معه أحداً، وهذا مِن أسس العقيدة .

والمسـتعين بـالله قد لا يطلب ذلـك بالدعاء، وإنما هو في حالة تسـليم أن الله تعالى لن يتركه، وسوف يأتي بالفَرَج من عنده، وهذه مرحلة متقدمة من مراحل هذا الخُلُق الكريم أن ترتقي الاستعانة إلى التفويض والتسليم بقدرة الله .

فلنستعن بالأكبر، ولنستعن بالأعظم، ولنستعن بمَن يقول للشيء كن فيكون، ... فلنستعن بالله، وهو خلقٌ كريم وعبادةٌ في ذات الوقت، فما أجمل أن يكون خلقنا عبادة ويكون الأجر أجرين .

١٤ - خُلق الاسْتِعْدَاد

وهـو خُلُـق يدعونا فيه الله - سـبحانه وتعـالى- أن نأخذ بالأسـباب، وأن يكون منهجنا في الاستعداد، حيث تشير الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾- سُورة الأنفال ، على قدر فَهْمي، فإن هذا خُلُق وقائي، أي أننا حينما نتسلح، ونعد عُدَّتنا، فإننا نكون رادعين لغيرنا، وبهذا نتفادى - بقدر الإمكان - الوقوع في الصراعات .

وهـو خُلُـق يعلمنـا العمـل والاجتهـاد، والدراسـة، والأخذ بالأسـباب، وعدم التـواكل، وفيـه العقلانية في فهم الأمر، فلن ندرك ما نريد ونحن قاعدون، وإنما علينا بالعمل والاجتهاد والاستعداد .

والأمـر - مـن وجهـة نظـري - لا يتوقف عـلى المعنـى اللفظي للآيـة، وهو قوة التسـليح والتجهيز العسـكري، وإنما بتشـعب إلى أمور حياتنا، فإنه علينا أن نسـتعد لامتحان المدرسة بمذاكرة دروسـنا، ونستعد لبطولات الرياضة بالتدريب والعرق، ونسـتعد للتقدم بالدراسة والأبحاث، ونسـتعد للمنافسة بالإتقان والجودة، ونستعد للتقدم بالإخلاص والتفاني، وأن نسـتعد لمقاومة الأمراض والأوبئة بالبحث العلمي

وطـرق الوقاية وتطوير الأمصال لمكافحة العدوى، وهكـذا، فإن في حياتنا تحدِّيَّات، وقـد طلب منـا الله تعالى أن نتحلى بخُلُق الحيطة والحذر، والاسـتعداد، وبذل الجهد، والأخذ بالأسباب .

إن تدليـل أطفالنا، وفهمنا أن علينا أن نسـتجيب لطلباتهـم هو أبعد ما يكون عن هذا الخُلُق، فالحياة لن تكون سهلة، متاحة أمامهم، وإنما سيواجهون أمواجاً قد تكون عاتيـة (شـديدة) في حياتهم، فعلينا أن ندربهم – مـن صغرهم – على هذا الخُلُق، بأن يسـتعدوا ويجتهدوا ليصلوا إلى ما يصبون إليه، أو على الأقل أن يحموا أنفسـهم بهذا الاستعداد .

وإذا كان سـيدنا عمـر بـن الخطـاب – رضي الله عنـه – يقول: «عَلِّمُــوا أوْلادَكُمْ السِّــبَاحَةَ والرِّمَايَةَ ورُكُوبَ الخَيْلِ» – أي علموهم الاستعداد أن يتعلموا ويتسلحوا بـما ينفعهـم، وإنهم لن يدركوا مـا يَتَمَنَّوْنَه إلا بالعمل والاجتهاد، والاسـتعداد، فلن ينجحوا في الامتحان إلا بالاسـتعداد لـه، ولن ينجحوا في عملهم إلا بالاجتهاد فيه، وهكذا .

وعـن هذا جـاءت عدة آيـات في الكتاب المقـدس، أذكر منها: «فَكُونُــوا أَنْتُمْ إِذًا مُسْــتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَــانِ». (إنجيـل لوقا ١٢: ٤٠)، وكذلك «ذَكِّرْهُمْ أَنْ يَخْضَعُوا لِلرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينِ، وَيُطِيعُوا، وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِكُلِّ عَمَل صَالِحٍ» (تيطس ٣: ١)، وأيضاً: «بَلْ قَدِّسُــوا الرَّبَّ الإِلهَ فِي قُلُوبِكُمْ، مُسْــتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ» (بطرس

الأولى ٣: ١٥)، وكذلـك: «**اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُو**» (بطرس الأولى ٥: ٨) .

خُلُق كريم يعلمنا العمل والاجتهاد والاستعداد واليقظة .

مـا أجمله من خُلُق، فلنعلمه لأولادنا ولأنفسـنا، وليكن خلقاً نمشي به بين الناس في حياتنا، فنجتهد ونبذل العرق للاستعداد، والبداية أن ندركه ليكون منهجاً لحياتنا، ولنُعِدّ للقاء الله - سبحانه وتعالى -، فهذا اللقاء حَقّ، فماذا أعددنا ؟! هل عملنا على زيـادة رصيد الحَسَـنَات ؟! هل تلافينا (ابتعدنا عن) السـيئات ؟! هـل بعد أن عرفنا فضل الصدقات توسَّعنا فيها لنزيد من رصيدنا الإيجابي ؟!

صاحـب هـذا الخُلُـق عـرف أنـه كـما أن كل شيء سـيقابله في حياتـه يحتـاج إلى الاسـتعداد فتخلَّق بهذا الخُلق ليتمكن من النجاح فيما سيقابله، وكذلك قد عرف أن الحياةَ مرحلةُ اسـتعداد إلى الآخرة، وأن ما عنـد الله تعالى خير وأبقى، فيتخَلَّق بخُلُق الاسـتعداد، ويتسـلح بما يسـتطيع لمواجهة حياته، ويتسلح برصيد الحَسَـنَات لمقابلة خالقه عزَّ وجَلَّ .

والسـؤال: ألا يسـتحق هذا الخلق أن يكون مما ندرسـه لأبنائنا في مدارسهم لنربي الشخصية على التحلي بهذا الخلق، الذي هو في حد ذاته أحد أسرار النجاح .

١٥ - خُلُق الاسْتِقَامة

المعنى اللغوي للاستقامة: هو الاعتدال والاستواء، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾- سُورة فُصِّلَت ٦، أي: في التّوجّه إليه - سبحانه وتعالى - دون غيره، ومعنى الاستقامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ - سُورة فُصِّلَت ٣٠، أي: عملوا بطاعته، والتزموا بِسُنّة نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم-.

فخُلُق الاستقامة، هو: الالتزام بما أمر الله تعالى ورسوله، والانتهاء عما نُهِيَ عنه، ومثال ذلك في حياتنا: الالتزام بالقانون، أو بما أمر به الوالدان ابنهما - مثلاً -، فالاستقامة تعني: أن يكون الإنسان قد عرف أن له حدوداً يتعين عليه ألا يتخطاها، وهو ملتزم بذلك .

ولقد أمرنا الله تعالى بالاستقامة، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾- سُورة آل عمران، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ - سُورة يونس، وغيرها الكثير من الآيات .

وقد ربط الله، سبحانه وتعالى، بين الإيمان وبين الاستقامة، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾ - سُورة النساء .

إن الاستقامة نوع من الهداية والتوفيق من الله تعالى للذي يريد أن يهديه الله تعالى إليها، فسبحانه وتعالى القائل: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾﴾ - سُورة النور، وآيات كثيرة أخرى لها ذات المعنى والمدلول .

ولهذا فالاستقامة لها سعي واجتهاد وطلب، بل ودعاء، ولقد طلب الله تعالى أن ندعوه ليهدينا إلى صراط مستقيم، ويُبيِّن لنا أن المستقيمين هم الذين أنعم الله عليهم ورضي عنهم، بل فرض علينا هذا الدعاء - على الأقل - ١٧ مرة يومياً، من خلال ١٧ ركعة في الصلوات الخمس المفروضة علينا، نقرأ فيها سُورة الفاتحة، ونردد قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ -سُورة الفاتحة، في تأكيد واضح أنه لابد أن نحرص على طلب ذلك من الله تعالى، ليعلم أننا نتمناها، فيهدينا سبحانه وتعالى إلى الاستقامة، وتكون طريقنا إلى الجَنَّة .

وبين الله تعالى فضل الاستقامة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾- سُورة فُصِّلَت، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ - سُورة الأحقاف .

والاستقامة لها آيات عدة في الكتاب المقدس، أذكر منها: «مَنْ يَسْلُكُ بِالاسْتِقَامَةِ يَسْلُكُ بِالأَمَانِ، وَمَنْ يُعَوِّجُ طُرُقَهُ يُعَرَّفُ» (أمثال ١٠ : ٩)، وأيضاً : «حِصْنٌ لِلاسْتِقَامَةِ

طَرِيقُ الرَّبِّ، وَالْهَلاَكُ لِفَاعِلِي الإِثْمِ.» (أمثال ١٠: ٢٩)، وكذلك: «**اِسْتِقَامَةُ الْمُسْتَقِيمِينَ تَهْدِيهِمْ، وَاعْوِجَاجُ الْغَادِرِينَ يُخْرِبُهُمْ**» (أمثال ١١: ٣)، وفي قوله: «**اَلسَّالِكُ بِاسْتِقَامَتِهِ يَتَّقِي الرَّبَّ، وَالْمُعَوِّجُ طُرُقَهُ يَحْتَقِرُه**» (أمثال ١٤: ٢)، وفي: «**اَلْفَقِيرُ السَّالِكُ بِاسْتِقَامَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ مُعْوَجِّ الطُّرُقِ وَهُوَ غَنِيٌّ.**» (أمثال ٢٨: ٦) .

وعلى هذا، فالاستقامة لها فضلها الدنيوي في الفتح والنصر، والتوفيق – في حد ذاته – علامة على رضا الله تعالى عن عبده، بأنه استجاب لدعائه حال حياته، ورزقه الاستقامة التي طالما دعا بها في صلاته ، ثم وعده بعدم الخوف والحزن، ثم بالجَنَّة بكل ما فيها من نعيم .

خُلُق جميل، يأخذ صاحبه إلى الطاعة، فمنبعه الالتزام بقناعة، فجعل من التخلق بالاستقامة، أي بالثبات على الطاعة منهجاً، فما أجمله من خُلُق، هو عون لصاحبه على دخول الجَنَّة، بإذن الله تعالى .

ومن الزاوية الحياتية أليس هدف أي دولة في العالم أن تحفز الشعوب على الاستقامة، وأن تردع مَن يخرج عن هذه الاستقامة . كيف يكون هذا هدفاً أسمى للدولة ولا نبرز فضل هذا الخلق لأبنائنا فيتعلموا في مدارسهم فضل هذا الخلق ليتخرجوا وقد عرفوا وأدركوا أن الاستقامة خلق مفروض وليس اختيارياً لأحد، وأن لكل شيء حدود يتعين الالتزام بها ومراعاتها. أدعو واضعي المناهج أن يعلموا هذا الخلق صراحة لأبنائنا، ولا يتركوه للتعليم المجتمعي، وكذلك الإعلام لابد أن يبرز النماذج المشرفة تحفيزاً للنشء على الاقتداء بها .

١٦ - خُلق الاضْطِبار

هذا خُلُق يُعَدُّ مِن طبقات الأساس لتخطي الإنسان الكثير من أمور حياته، ويقتضي ألا يستعجل الإنسان على تحقيق النتيجة التي يرجوها من نصحيته أو محاولة إصلاحه مع الغير، أو ما شابه، ويمكن أن أسميه (خُلُق الوقت)، يقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ - سُورة طه، أي: لا تستعجل النتيجة، وكُن هادىء النفس، فأنت مُكَلَّف بأن تدعوهم، ودع الوقتَ يعمل أثره في إقناعهم .

ومن الكتاب المقدس أذكر هنا عدة آيات، منها: «**لأَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى الصَّبْرِ، حَتَّى إِذَا صَنَعْتُمْ مَشِيئَةَ اللهِ تَنَالُونَ الْمَوْعِدَ**» (عبرانيين ١٠ : ٣٦) ، وأيضاً: «**وَالَّذِي فِي الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ، هُوَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ صَالِحٍ، وَيُثْمِرُونَ بِالصَّبْرِ**» (لوقا ٨: ١٥) / وكذلك: «**وَلكِنْ إِنْ كُنَّا نَرْجُو مَا لَسْنَا نَنْظُرُهُ فَإِنَّنَا نَتَوَقَّعُهُ بِالصَّبْرِ**» (رومية ٨: ٢٥) .

وفي رأيي أن هذا منهج حياة في حياتنا عموماً، فكثير من الأزواج والزوجات – مثلاً – قد ينشأ بينهم خلاف لأي سبب، ويتصورون أنها نهاية الدنيا، وأن الحياة بينهما أصبحت مستحيلة، ونَسِيَا أن للوقت سِحْره وتأثيره على الأمور لتهدئة النفوس، وإعادة قدرة كل منهما على رؤية النقاط الطيبة في الآخَر، بعد أن كانت العيوب –

فقـط – هـي المنظـورة، ولننظر إلى دول أوربـا الغربية، وكيـف كان حالها في الحرب العالمية الثانية، وإذا بالوقت والاصطبار يحولها إلى الاتحاد الأوربي . عندما يتوفى عزيزٌ تجـد أُسْرَتـه وقد تخيَّلت أن بوفاته، انتهت الحياة، وأن الحياة قد توقفت عند هذا، وإذا بالوقت يعيدهم مرة أخرى إلى ممارسة حياتهم الطبيعية .

الوقـتُ ينمـو فيـه النبـات، ويكـبر فيـه الإنسـان والحيـوان، وتتحول فيـه القوة والقـدرات، والوقت نحتاجـه لإنجاز الأمـور، فالتعليم يأخذ من وقتنا السـنوات، وللوصـول إلى المسـتوى الريـاضي المتميز، يأخذ التمريـن وقتاً طويلاً مِنّـا . كلُّ هذه الأمور تُبيِّن لنا، أن الوقت هو العنصر الحاكِم في حياتنا، وفي رأيي الشخصي أن الآية سـالفة الذِّكْر تدعونا لحُسـن اسـتخدام عنـصر الوقت «بالاصطبـار»، فكلنا أدركنا أن الوقـت يُغـيِّر الأمور، إلا أننا في مشـاكل حياتنا نسـتعجل كلَّ شيء، ونريـــد أن يتحقق فوراً .

مطلـوب مِنَّـا – أيضـاً – أن نتحلى بالاصطبـار، فهو ما أوصانا بـه الله تعالى، وإذا راجعتَ نفسك في مشوار حياتك، ستجد– بالفعل – أن أموراً كثيرة مِن حولك كان الوقت مُغيِّراً فيها إلي الأفضل .

لهـذا، فنحـن مطلوبٌ مِنَّا أن يكـون خُلُقنا الاصطبار أو الإمهـال، فنعطي الأمور وقتها . ولا نتعجل النتائج، فإذا عرضتَ عَرْضاً على آخرين لا تستعجل ردَّهم، فكلما كنتَ هادئاً، وأعطيتَ مزيداً من الوقت، ربما كان ذلك في مصلحتك، ويرشح لردود أكثر إيجابية مِن الطرف الآخر .

فعلى الزوج أن يصطبر على زوجته، والأب والأم مطالبان بالاصطبار على أبنائهما.

خلافاتنا مع الغير مطلوب منا أن نهدأ، ونتحمل بعض الوقت، فالوقت كفيل بأن يدركوا أنهم أخطأوا في حقِّنا، وقد يدفعهم ذلك للاعتذار أو ما شابه .

أنصح نفسي وأنصحكم (بخُلُق الوقت)، أي إعطاء الوقت قيمته، وعدم إخراجه مـن عناصر الأمور في حياتنا، بل نقدمه ونسـتخدمه، لأنَّ مفعولـه فعَّال تمَّتْ تجربته، ونتائجه طيبة للغاية .

أعـود لأذكـر أن ما سـبق خُلق اسـمه الاصطبار، وهـو يحتاج أن ندركـه ونعلمه لأنفسـنا ولمن حولنا، وأن نعمل به ونتـدرب عليه لأنه يحتاج إلى حكمة، والحكمة لا تأتي بين يوم وليلة وإنما هي نتاج تجارب وتعلم سابق، ولهذا إذا ما تسرعنا فلن نعرف - في المرات القادمة - أن نتحلى بخلق الاصطبار، فنعطي الوقت حظه ليفعل مفعوله الفعال . خلق الاصطبار خلق كريم فلنحرص جميعاً عليه .

١٧- خُلق الإِصْلَاح

الإصلاح هو تحسين الشيء وعودتة إلي طبيعته، وهو خلاف الإفساد، وله عدة وجوه، منها: الصلح بين المتخاصمين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ - سُورة الحُجُرات ٩، وقال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴾ - سُورة النساء ١٢٨، وما أجمله خلقاً ؛ لأنّ فيه إطفاء العداوة بين النّاس، ورفع المنازعات والمشاحنات عنهم، وهناك إصلاح حال الشخص نفسه، يقول تعالى: - سُورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ - سُورة آل عمران، فهنا يكون الإصلاح في أمر نفس الشخص وعمله، وما أجمله أيضاً من خُلق .

ولقد أُمِرْنا صراحة بالإصلاح في آيات أخري كثيرة، فهو خُلُق يُحِبه الله تعالى، وكذلك نُهينا عن الإفساد في آيات عدة، أذكر منها قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢ ﴾ - سُورة الشعراء .

وعلى هذا فالإصلاح خُلُق محمود يجب أن نسعى إليه، فلا يقوم بالإصلاح إلا الإيجابي مِنّا، فيحاول الصلح بين المتخاصمين والمتنازعين، ولا يرضى أن يرى خصاماً

أو تشـاجراً، أو ما شـابه، مِن حوله، فهو يريد أن يصلح ذات البَيْن، ويتدخل محاولاً ذلك، وهو يعلم أنه يفعل شيئًا يُحِبه الله ورسوله .

والله – سـبحانه وتعـالي – مـن حُبِّه في هـذا الخُلُق أعطى لنـا سراً في آياته، في قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ – سُورة فُصِّلَت، أي: بادِر بفعل المعروف، ولا تجلس في مجلس المنتظِر، فالمرء يُثاب على مبادرته للصلح، وإن لم ينجح، فالمعروف يُلَيِّن القلوب .

ومـن الكتاب المقـدس، أذكر : «لأَنَّكُمْ إِنْ أَصْلَحْتُمْ إِصْلاَحًـا طُرُقَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ، إِنْ أَجْرَيْتُمْ عَدْلاً بَيْنَ الإِنْسَانِ وَصَاحِبِهِ» (أرميا ٧: ٥)، وكذلك: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا» (رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٦: ١) .

كذلـك، فـإن منهجية الإصلاح – بصفة عامة – مطالَبٌ بهـا الحاكمُ، والرئيسُ في العمـل، ووليُّ الأمـر في أسرته، والصديق مع صديقـه، يحثه على المعروف وينهاه عن المنكر . فهذا من أوضح مسائل الإصلاح، وطريقتُهُ هي: الحكمةُ والموعظةُ الحَسَنَة .

لا خير فينا مالم يكن خُلُقنا الإصلاح، وما أبْعَدَنا عن الله ورسوله لو تخلينا وبعدنا عن خُلُق الإصلاح، فليراجع كل منا نفسه، ويحاسبها قبل أن يُحاسَب .

لمـاذا أخاصـم هذا ولا أبـادر بالاعتـذار أو العفو ؟!، لمـاذا لا أتدخل لأصلح بين إخـوتي وأخواتي – مثـلاً – أو زملائي ؟! هذا تقصير مني، ولابد أن أُغيِّر من شـأني، وأكون من المصلحين .

علِّمـوا أولادكـم فضـل الصلح والإصـلاح، علموهـم الاعتـذار والعفو، حتي يسعدوا في زواجهم وحياتهم، فبالصلح والمصالحه تذوب الخلافات، وتستقر البيوت

والأُسَر، وهو ما يُوفِّر مناخاً لتربية أولادٍ ينفعون أنفسـهم، وأوطانهم، فلنتخَلّق بهذا الخُلُق، ونمشي بين الناس مصلحين بإذن الله .

ومـن زاوية آخرى يكون الإصلاح لمن بيده الإصلاح، كوليِّ الأمر، والمسئول الذي يُصلح من شأن إدارته، وبيئة العمل والإنتاج، والعِلم والتعليم والمعاملات بما يعزز من القدرة على الإنتاج والعمل والنمو والمشارَكة والمشاورَة والتعاون والسعادة بين الناس.

وكذلك إصلاح أخلاقيات المجتمع، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسعي لنشر مكارم الأخلاق، وتعريف الناس بها، والدعوة إلى اتِّباع ما أمر به الله، واجتناب ما نهى الله عنه .

ففـي العمـوم، صاحب هذا الخُلُق لا يُحِب أن يرى شـيئًا وقـد أصابه عيبٌ، حتى أنـه يمكن أن يتوقف بسـيارته وينزل منهـا ليرفع حجراً مِن وسـط الطريق، كان من الممكن أن يوذي إنسـاناً، وهو ما نسميه (إماطة الأذى عن الطريق)، فهو يحاول بهذا أن يُصلح حال الطريق أمام المارِّ به .

وكـما سـبق أن أوضحـت فإن صـورة الإصـلاح الأخرى هـي إصـلاح النفس، وصاحب هذا الخلق يجد نفسـه مقصراً ويسـعى لمزيد من الجهد، فإن كان طالباً أراد أن يصلـح من درجاته، وإن كا عاملاً أراد أن يصلح من مسـتوى إنتاجيته وجودتها، وهكذا، فهو خلق محرك لصاحبه يدفعه لأن يطور ويصلح من نفسه في الدنيا، ويجعله مسـتعداً للآخـرة، ولهذا فهو خلق حافـظ لصاحبه، وعلى هذا فتلعيمـه لأولادنا أمر محمود يساعدهم على النجاح .

خُلُق كريم، يَنمُّ عن إيجابية حميدة، نتمنى أن نرى الناسَ عليها .

١٨ - خُلق إِطْعَام الطَّعَام

إطعام الطعام مِن مكارم الأخلاق، وصاحب هذا الخُلُق هو مُحِبٌّ أن يكون متواصلاً مع مَن حوله بشيء مُحَبَّب إليه، وهو إطعام الطعام، فهو يرى أن إطعام الفقير، والجار، ومَن حوله، أمرٌ يُرضيه ويُريح باله .

عَلَّمَنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن نُطعم الطعام فقال: «أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّة بِسَلامٍ» أي حبَّبنا في إطعام غيرنا، وألا نُفكِّر – فقط – في أَنْفُسِنا . بل إن الله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ – سُورة آل عِمْرَان ٩٢، أي نحن مطالبون – لكي ننال البِرَّ – أن نُطْعِم غيرَنا طعاماً مِمَّا نَأكله ونُحبُّه.

جاءت آيات كثيرة للحضِّ على الإطعام، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ – سُورة الإنسان ٩ .

وقد ورد في الكتاب المقدس: «اَلصَّالِحُ الْعَيْنِ هُوَ يُبَارَكُ، لأَنَّهُ يُعْطِي مِنْ خُبْزِهِ لِلْفَقِيرِ» (أمثال ٢٢: ٩)، وكذلك: «تَصَدَّقْ مِنْ مَالِكَ وَلاَ تُحَوِّلْ وَجْهَكَ عَنْ فَقِيرٍ،

وَحِينَئِذٍ فَوَجْهُ الرَّبِّ لاَ يُحَوِّلُ عَنْكِ» (سفر طوبيا ٤ : ٧) . إن الله سوف يقول للأبرار في يوم الدينونة عن سبب المكافأة والمجد الأبدي: «٣٥ لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. ٣٦ عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. ٣٧ فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ ٣٨ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ ٣٩ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ ٤٠ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ» (إنجيل متى ٢٥)

ومن المعلوم في العقيدة المسيحية أن إحجام الإنسان عن إطعام الفقراء سوف يكون سبباً في بعده عن ملكوت السماوات (متى ٢٥) .

وعلى هذا، فإطعام الطعام خُلُق يتربى عليه الإنسان ألا يأكل بمفرده، ويترك مَن حوله جائعاً، إنما عليه أن يسعى لإطعام مَن حوله، وأن يكون كريماً في عطائه، ويَشْعُر - مِن خلال عمله هذا - أنه أَسْعَدَ الآخرين كما ستره الله، ويشكر الله على نِعَمِه بالحنوّ على عباده .

وفي المقابل لذلك، فإن عدم الإطعام مع القدرة، أخبرتنا آيات عدة أنه من أبواب النار - والعياذ بالله -، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ ﴾ - سُورة المُدَّثِّر، فكما أن إطعام الطعام بابٌ من أبواب الجَنَّة، فإن منعه هو بابٌ مِن أبواب النار .

وإطعـام الطعـام - على ما أعتقد - لا يقتصر عـلى المُحتاجين أو غير القادرين، بل إذا دعـا قـادرٌ أحداً على طعام فَلْيَعْتَنِ به، ويُقدِّم له ما يَشـعُر بـه أنه اجتهد في ضيافته، فلنُعلِّـم أولادنا أن يكونـوا كُرَمَاء مع مَن حولهم، وألا يكونوا بُخلاء وأن يُسـعدهم الاهتمام بغيرهم.

هذه كلها أمور يَشِبُّ النَشْءُ عليها، فإذا رأى هذا الخُلُق في أبويه سيتعلم ذلك.

فلنحرص أن نُقدِّم القدوة، وأن يرى أولادُنا سعادتنا ونحن نقدم أفضل ما عندنا لضيوفنا.

فـما أجمله من خُلُق، فيه معـاني الإيثار (تفضيل الغير)، والمحبة، وحُسْـن المعاملة، وهو - كما أخبرنا نَبِيّنا - صلى الله عليه وسـلم - باب من أبواب دخول الجَنَّة، بإذن الله تعالى .

وإطعام الطعام قد يكون أبسط مما نتخيل تكلفة، فإذا كان سبيل المياه الذي يشرب منـه النـاس، تتاح فيه المياه، وهـي المشروب الأقل ثمناً للناس، فلماذا لا يكون سـبيل الطعـام سـبيل» فـول» مثلاً، وهو أقـل الطعام سـعراً في مصراً مثلاً، وإنـما هو وجبة محببة للمصريين تسد الجوع في ذات الوقت، فلنطعم الطعام ولو بالقليل، فربما إنسان محـدود الدخل إذا مـا أراد أن يطعم فعليه أن يطهو كيلو أو اثنين من الفول ويوزعها إطعاماً للطعام، وعلى هذا فهو أمر متاح للكثيرين، ومبعثه خلق تحلى به الإنسـان ألا يبيت وجاره جائعٌ، بل إن سعادته في إطعام هذا الجار .

خلق تسـعد بـه المجتمعات، وتتألـف، ويُعلِّم معـاني الإيثار، فلنعلمـه لأولادنا، ولنحرص نحن عليه ولو بالقليل .

١٩ ـ خُلق الاعْتِدَال وَعَدَم الإسْراف

ويعني، أن يكون الإنسان متزناً معتدلاً في تصرفاته دون إسراف، (مبالغة أو إفراط، والإسراف في المال يعني تبديده) . ولقد أمرنا الله تعالى ألا نكون من المسرفين قال تعالى:

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾ – سُورة الأنعام ١٤١

وقال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ٣١﴾ – سُورة الأعراف ٣١

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ٢٩﴾ سُورة الإسراء ٢٩

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ٦٧﴾ – سُورة الفرقان ٦٧.

وهذا الخُلُق استنبطتُه من حديث رسول الله – عليه الصلاة والسلام – للثلاثة الذين اعتبروا أن عبادته قليلة، تروي لنا الكتب: » أنَّ رهطًا (الرهط: جماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة) من الصحابَةِ ذهبوا إلى بيوتِ النَّبيِّ يسألونَ أزواجَهُ عن عبادتِهِ فلمَّا أُخبِرُوا بها كأنَّهُم اعتبروها قليلةً ثُمَّ قالوا: أينَ نحنُ مِن رسولِ

اللهَّ وقد غَفرَ اللهُّ له ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأَخَّرَ ؟ فقال أحدُهُم: أما أنا فأصومُ الدَّهرَ فلا أفطرُ وقال الثَّاني: وأنا أقومُ اللَّيلِ فلا أنامُ، وقال الثَّالثُ: وأنا أعتزِلُ النِّساءَ . فلمَّا بلغ (أي: عَلِـم) ذلـك النَّبيَّ بيَّنَ لهم خطأَهم، وعِـوَجَ طريقِهِم (لأنه غير صحيح)، وقال لهم: إنَّما أنا أعلمُكُم باللَّهِ، وأخشــاكم لـه، ولكنِّي أقومُ وأنامُ، وأصومُ وأفطِرُ، وأتزوَّجُ النِّســاءَ، فمَن رغِبَ عن سُــنَّتي فليسَ منِّي»، وفي الواقع، فإن رغب عن (في اللغة) معناها: ابتعد، وأقلع وترك .

وهذا الحديث، يقول فيه رسـول الله: إن الاعتدال هو خُلُق الإسـلام، وضرب – عليـه السـلام – مثلاً بنفسـه، من حيـث إنه يعيش عيشـة طبيعية، يقـوم الليل وينام، ويصـوم ويفطر، ويتزوج النسـاء، وهـذا لا يُعطله عن الطاعـة والصلاة والصيام، في رغبة منه أن يُفسح ويُسهِّل لنا الدِّين، ويُبعدنا عن التشدد، ويأخذ بيدنا إلى الوسطية، فصاحب هذا الخُلُق هو مشـتاق ومحب أن يقتدي بسـنن رسـول الله، وهذا الخُلُق ما أجملـه، فصاحبه أنعم الله تعالى عليه بنعمة الفهم، فحينما فهم، أحب واشـتاق وطمع أن يسلك سُنة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

كلها أمور تنبئ عن خُلُق إنسـان متزن يحسـب تحركاته بعناية، ويكون عقلانياً في تصرفاته، فيحافظ على ما عنده من صحةٍ أو مالٍ أو غيره، نتيجة لتصرفه فيه بعقلانية، وحكمة، ودون إسراف.

أيُّ خلل في هذا الاتزان يؤدي بنا إلى نتائج لا تُرضي، فالبُعد عن التدين الوسـطي قـد يؤدي إلى انفلات الإنسـان، وبُعده عن الالتزام بما أمره به الله ورسـوله، وكذلك التشدد في الدين، قد يؤدي بنا إلى تطرف وتشدد، وربما انتهى بصاحبه إلى ما هو أكثر من ذلك، والعيب – هنا – ليس في التدين أو في الدين، لكن الخلل في عدم الاعتدال

في التدين، وقد جعلنا الله تعالى أمة وسطاً، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ – سُورة البقرة .

وأذكر هنا – للتمثيل – آية من الكتاب المقدس تدعو إلى الاعتدال: «وَالاِعْتِدَالُ فِي الْبَيْعِ بَيْنَ الْمُشْتَرِينَ، وَالْمُبَالَغَةُ فِي تَأْدِيبِ الْبَنِينَ، وَضَرْبُ الْعَبْدِ الشِّرِّيرِ حَتَّى تَدْمِيَ جَنْبَه» – (سفر يشوع بن سيراخ ٤٢ : ٥)، وهناك أيضاً دعوة للاتزان في التدين بلا تطرف يميني أو يساري، فيقول سفر الأمثال: «لاَ تَكُنْ بَارًّا كَثِيرًا، وَلاَ تَكُنْ حَكِيمًا بِزِيَادَةٍ. لِمَاذَا تَخْرِبُ نَفْسَكَ؟» (سفر الجامعة ٧: ١٦)، أي لا تحاول إظهار البر كثيراً أو لا تكن باراً بطريقة تنفر أفراد بيتك عنك مثل الذي يصلي طوال اليوم ولا يتواجد مع أسرته بحجة الصلوات، وهناك أيضاً : «فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢ : ٣) .

فصاحب هذا الخُلُق فَهِم أنه مَدْعوٌّ للوسطية في كل شيء، في الأكل، في الشرب، في حياته، في عباداته، في إنفاقه، ففي هذا الاعتدالُ، وعدمُ الإسراف .

والأمر ليس سهلاً، وإنما يحتاج إلى تربية وقدوة ودروس مستفادة نقتدي بها، فما أكثر الأغنياء الذين أضاعوا أموالهم نتيجة الإسراف – كثرة الإنفاق والتبذير – وعدم الاتزان في الإنفاق، فأدَّى بهم ذلك إلى ضياع ثرواتهم، وبالتالي افتقارهم، وهكذا في الصحة، وفي كل ما قد يُسرف فيه الإنسان فيما رزقه الله به .

فليكن هناك درس للاعتدال وعدم الإسراف في مدارسنا، يتعلم منه أولادنا كيف يحافظون على نِعم الله تعالى، ويصونونها باعتدال وباتزانٍ وعقلانيةِ تصرفاتهم، وبُعدهم عن الإسراف .

وخُلق الاعتدال إذا تحلى به الإنسـان يصاحبه في كل مناحي حياته، ليكون إنسـاناً عقلانياً متزناً، نسـعد بصحبته، ويعطي الأمور قدرها فيحافظ على نفسـه ومن معه، وهذا ما يؤهله للنجاح في حياته، البداية أن ندرك أن هذا خلق يحتاج إلى إدراك وتعلم وتدريب حتى يمكن أن يتحلى به الإنسان، وما أكرمه خلقاً .

٢٠- خُلق الاعْتِذار

الاعتـذار مـن مكارم الأخـلاق، وأعني به: التأسُّـف على ما بدر مِنَّـا . وقد بينتْ الآيـات فضـل الاعتذار ، قـال تعـالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ – سُـورة البقـرة، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾ – سُـورة آل عمران، وغيرها الكثير.

والآيـات تتحدث عن تذكر الله، والاسـتغفار مـن الذنوب والآثـام، وهذا خُلُق كريم، ولا يأتي بهذا الخُلُق إلا مَن عوَّد نفسـه أن تكون لديه نفسٌ لوامة، أي يحاسـب نفسه قبل أن يُحاسَب، ويراجع نفسه فيما فعل، فإن كان على صوابٍ، أكمل، وإن كان على خطأ استغفر واعتذر .

والاعتذار هو: دعوة سلام، فبالاعتذار تهدأ النفوس، وتزول الرغبة في المشاحنة .

وأذكـر هنـا من الكتـاب المقـدس: «**وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَـفُوقِينَ مُتَسَـامِحِينَ كَمَا سَـامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِـيحِ**» (أفسـس ٤ : ٣٢)، وعن تقديم الاعتذار باتضاع ومحبة جاء في مثل الابن الضال: «**أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا**

أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاك» (إنجيل لوقا ١٥ : ١٨ - ١٩)

الإنسان الذي يبادر بالاعتذار هو إنسان خلوق وقوي، فيرى أنه لا يعيبه الاعتذار إذا أخطأ، وأن ذلك لن يُنقص من شأنه، لأنه يؤكد للذي اختلف معه، أو أساء إليه، أنه لم يكن يقصد ذلك - مثلاً -، أو أنه يأسف لما بَدَرَ منه .

وخُلُق الاعتذار ثقافة تنشأ منذ الطفولة، وعلى الأسرة أن تكون متابِعة لما يفعله أبناؤها، وألا تتخلى عن الاعتذار كمبدأ إذا ما أخطأ، كي تعلمه متى يجب عليه الاعتذار، وكيفيته ؟!

وهنا خيط رفيع بين إيجاد الأسباب واختلاق الأعذار ، وبين الاعتذار الحقيقي، فالطالب الذي لم يحل الواجب قد يَخْلُق عذراً غير سليم بمقولة: إنه كان مريضاً - مثلاً -، وتساعده في ذلك الأسرة - ربما - بشهادة مَرَضية، ربما تكون غير حقيقية، وفي هذا نُعَلِّم أولادنا الكذب والبعد عن الاعتذار ، ونشهد نحن شهادة زور . وهي كلها دروس أبعد ما تكون عن تنشئة الطفل على النحو الذي يرضاه الله تعالى .

أما اعتذار التلميذ للمدرس بأنه قد نسي أو أهمل فهو أكرم له، ومن وجهة نظري، أن على المدرس أن يعفو عنه، ويُعطيه فرصة أخرى ليحفزه على شجاعته واعتذاره، وأنه لم يكذب ليبرر خطأه .

وعلى هذا فإن هناك فارقاً كبيراً جداً بين الاعتذار وبين خَلْق الأعذار، فالأول يُنْبِئ عن خُلُق كريم، بينما الثاني: ينبئ عن كذب، وقول غير محمود .

فلنحاول - جميعاً - أن نتحلى بثقافة الاعتذار، حتى لو كان يعرضنا لمساءلة، فهو خُلُق أفضل بكثير من اختلاق أعذار وهمية، أو من عدم الاعتذار، وتفاقم الأمور .

مشـاحنات يومية بين الأزواج قد تتطور إلى طلاق، والعياذ بالله، وضياع الأبناء، بسبب غياب ثقافة وخُلُق الاعتذار، ولو أن مَن أخطأ من الطرفين قد بادر بالاعتذار للآخر، فربما أخمد بركاناً قبل أن ينفجر، وتلافى كل تداعيات الأزمة قبل تفاقمها .

والخُلُق الأعلى من الاعتذار يكون بكلمات يطرب لها الآخر، أو هدية يُحِبها، أو ما شـابه، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ – سُورة فُصِّلَت .

صراعـات دولية، من حولنا، كان الاعتذار كفيـلاً بأن يخمدها في المهد، وحروب يروح ضحيتها مئات الآلاف، ربما لغياب ثقافة الاعتذار.

فلنراجـع أنفسـنا، ونكون على قدرٍ من المسـئولية، أنه كلما أخطأنـا في حق غيرنا، فعلينا أن نعتذر، وألا نتكبر على الاعتذار، فالاعتذار من مكارم الأخلاق .

ومـن أروع القصص القُـرْآني، الذي يحدثنا فيه الله تعالى عـن فضل الاعتذار، هو اعتذار سـيدنا يونُس (والمشـار إليه في الآية الكريمة باسـم: ذا النـون)، وهو في بطن الحـوت، قـال تعـالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ – سُـــــورة الأنبياء .

فلنتعلم ونحفظ هذه الآية، وهذا الاعتذار، فيكون صاحبنا في الدنيا ، وأن نتأسى بسيدنا يونس – عليه السلام – فقد أوضحت لنا الآية الكريمة أن في هذا الدعاء سِراً،

فقد انفرجت الدنيا أمام سيدنا يونُس – عليه السلام – عقب اعتذاره، والذي هو من وحي الله تعالى ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾، فلنحفظ هذه الصيغة للاعتذار لله تعالى، وكلنا أمل – بإذن الله – أنه كما نَجَّى بها اللهُ تعالى سيدنا يونُس – عليه السلام – يُنَجِّينا اللهُ تعالى بإذنه .

٢١- خُلق الاعْتِرَاف بالفَضْل

وأعنـي به أن يدرك الإنسـان ما قُدِّم له ممَّن حوله مِـن خدمات ومعروف، وأعمال جليلة، وأن يستشـعر، في داخلـه، أنه مَدِين لهؤلاء الناس، فيكون شـاكراً لهم على ما قدَّمـوه لـه، سـواء أكان ذلـك في محيط الأسرة مثـل فضْـل الأب أو الأم، أو في حياته العامـة، مثـل المدرس في المدرسـة، أو الطبيب الـذي عالجه، أو صديـق أو حتى غير الصديق الذي قدم له معروفاً أو عملاً طيباً، أو ما شابه .

وهذا الخُلُق يتطلب أن يكون الإنسانُ شاكراً، وليس جاحداً، فهو خُلُق مبنِّي على الشُّـكر، وقد يتطور هذا الخُلُق فيتحول من الاعتراف بالفضل إلى مرحلة ردِّ الجميل المصحـوب بخُلُق الوفاء، أي أن يتحول إلى سـلوك إيجابي، المقصود منه أن يقول من خلالـه: لن أنسـى ما قدمتَـه لي في حياتي، وأنا شـاعرٌ به ومُقَدِّره، والآن، أنا يسـعدني أن أُقدِّم لك – على سـبيل الشُّـكر والعرفان – ما يمكننـي أن أقدمه لك، حتى وإن لم تطلـب، فإني جاهز لأقدم لك أيَّ شيء أسـتطيعه، ليُعبرِّ عـن عرفاني بما قدمته لي من جميل، أو إحسـان . يؤسـس لهذه المعاني الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ – سُـورة الرحمن، وقولـه تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧ ﴾ – سُورة البقرة .

ومـن أعظـم أمثلته برُّ الابـن لوالديه في كبرهما برعايته لهما مِـن قلبه، أي أن يكون مُسـتمتعاً بذلـك، ومُقدِّراً كلَّ ما قدَّماه له، حتـى وإن كان لهما بعض التصرفات التي

قد لا تُرضيه، إنما هو لا ينسى فضْل والديه، ولديه الرغبة في سداد هذا الدَّيْن، اعترافاً بالفضل وردِّ الجميل .

ولِعِظَم هذا الخُلُق أوصانا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بصاحب الفضل خيراً، فقال: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»، وكذلك في القَصَص القُرْآني، نرى في قصة سيدنا موسى – عليه السلام – حين ساعد فتاتين في صَحْراء سيناء على إحضار الماء، أرسل أبوهما إحداهما إليه تقول: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ – سُورة القَصَص ٢٥، (أي: يريد أن يكافئك لأنه مُعترِفٌ بفضلك) .

ومن الكتاب المقدس، أذكر: «**نَشْكُرُ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، ذَاكِرِينَ إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِنَا**» (تسالونيكي الاولي ١ : ٢) ، وكذلك قوله: «**فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ**» (إنجيل متى ٢٥ : ٤٠)، وجاءت آية الشكر لله: «**حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَسْبِقَ الشَّمْسَ إِلَى شُكْرِكَ، وَنَحْضُرَ أَمَامَكَ عِنْدَ شُرُوقِ النُّورِ**» (سفر الحكمة ١٦ : ٢٨)، وكذا لعموم الناس: «**لأَنَّ رَجَاءَ مَنْ لاَ شُكْرَ لَهُ يَذُوبُ كَجَلِيدٍ شَتْوِيٍّ، وَيَذْهَبُ كَمَاءٍ لاَ مَنْفَعَةَ فِيهِ**» (سفر الحكمة ١٦ : ٢٩)، وكذلك: «**عَلَيْكَ بِجَزِيلِ الشُّكْرِ لأُونِيَّا الْكَاهِنِ الأَعْظَمِ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ قَدْ مَنَّ عَلَيْكَ بِالْحَيَاةِ مِنْ أَجْلِهِ**» (سفر المكابيين الثاني ٣: ٣٣) .

إن هذا الخُلُق تُبْنَي به الأُمم، وتتقدم، فالمواطن الذي يستشعر فضل بلده عليه، وأنه مَدِين لها، ويسعى لخدمتها مِن قلبه – مُدافعاً أو مُنَمِّياً فيها – هو إنسان ذو خُلُق كريم، تسعد أُمَّتُه به، فكيف لا يكون في مناهجنا الدراسية، أن نُعَلِّم أولادنا الاعتراف بالفضل، وَرَدّ الجميل ؟!

لنراجع أنفسنا، ونتذكر مَن أحسن إلينا، ومَن كان واقفاً معنا؟! ، ونضع ذلك أمامنا، نُبادله حُبّاً بِحُبّ، وموقفاً كريماً بموقف كريم، ولنشْعُر أن هذا دَيْنٌ في رقبتنا، ولا نهدأ إلا عندما نسدده .

ابحث عن مُرَبِّيَتك، فربما يكون أبناؤها في حاجة للمساعدة، ابحث عن مدرسيك، وبِرَّهُمْ مثل أبيك وأمك، ابحث عمَّن ساعدك في بداية حياتك، وفكِّر كيف تُساعده وتُسعده ؟!، ابحث عمَّن قَدَّم لك معروفاً، وقل له: أنا شاكرٌ أفضالك، ولن أنسى جميلك، ويُسعدني أن تطلب مِنِّي ما أستطيع عمله، هكذا يكون خُلُق تذكُّر الفضْل أو المعروف الذي يُحِب الله تعالى أن يرى عباده عليه .

فمَن تخَلَّق بهذا، هو عبدٌ يعرف فضْلَ الله تعالى ورسوله، ويردُّ ذلك الفضل بالعبادة لله، والطاعة لله ورسوله، والسعي لعمل ما يُرضيهما عنه .

لقد آن الأوان لنقدم تعليم الأخلاق على كل شيء، فكما سُمِّيت الوزارة المختصة «وزارة التربية والتعليم»، فلابد أن تسبق مادةُ الأخلاق الموادَّ الدراسية العادية، بهذا نسير في مسار بناءٍ نتقدم به يوماً بعد يوم .

٢٢- خُلق الاعْتِصام

ويعني هنا التمسك بالله تعالى، وقد أمرنا الله تعالى بالاعتصام به، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾- سُورة النساء، وتُحدِّثنا الآية الكريمة عن الذين جمعوا بين مقامي العبادة، والتوكل على الله في جميع أمورهم، أي تمسكوا بالله، وابتعدوا عمّا يُغْضِبه .

وعدة آيات في الكتاب المقدس أكدت على هذا الخلق، أذكر منها: «**فَاثْبُتُوا إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِالْكَلاَمِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا**» (تسالونيكي الثانية ٢: ١٥)، وكذلك: «**وَإِنَّمَا الَّذِي عِنْدَكُمْ تَمَسَّكُوا بِهِ إِلَى أَنْ أَجِيءَ**» (رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢: ٢٥)، وكذلك: «**يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ**» (إنجيل يوحنا ٦: ٦٨)، وكذلك: «**يَا إِلهَنَا أَمَا تَقْضِي عَلَيْهِمْ، لأَنَّهُ لَيْسَ فِينَا قُوَّةٌ أَمَامَ هذَا الْجُمْهُورِ الْكَثِيرِ الآتِي عَلَيْنَا، وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ مَاذَا نَعْمَلُ وَلكِنْ نَحْوَكَ أَعْيُنُنَا**» (سفر أخبار الأيام الثاني ٢٠: ١٢) .

وخُلُق الاعتصام هو خُلُق الذي فَهِم أن الله – سبحانه وتعالى- بيده مفاتيح كل شئ، وأصبح على يقين أنه لا نافع إلا الله، فتمسَّك بالله تعالى في كل شئ، في حياته، وفي مقاومته لمغريات الحياة في كل شيء، فاعتصامه بالله نابعٌ من عقيدةٍ عنده: أن الله تعالى هو مَن يستطيع أن يُنجيه .

وهـو خُلُـق يُحِـب الله أن يرى عباده عليه، فالله – سـبحانه وتعالى – قد أعطانا من أسرار التحمُّـل والصمود والنجاة بأن نعتصم أو نتمسـك بما أمـر به الله، فهذا يباعد بيننـا وبـين ما يُغضِب الله، وكذلك، بهذا الاعتصـام نَدخل في رحمة الله تعالى وفضله، وبه يَهدينا إلى الصراط المستقيم، أي يَحمينا ويُوفِّقنا للأصلح .

خُلُـقٌ يُصحِّـح مفاهيم كثيرة، ويُعرِّفنا طريقنا في الحيـاة، وأن الخروج عن الطريق الـذي يُحِبـه الله تعـالى، فيـه خسـارة، وأن الفـوز والنجـــاة لمن عـرف طريقــه في الاعتصام بالله .

والسـؤال، كيـف لا نحرص أن يعـرف أبناؤنا أن هذا خلق، وأن نسـلحهم به ؟! فـإن في ذلـك ما يحفظهم من الوقوع في أخطاء كثـيرة في حياتهم، فتكون حياتهم أكثر اسـتقراراً وهـدوءًا وسـلاماً، فنحرص عـلى إدراك هذا الخلق الكريـم، والتحلي بــه صغاراً وكباراً .

٢٣ـ خُلق الإعْرَاض

وهذا الخُلُق يعني التجنب أو الابتعاد عن الشيء غير الحَسَن . وهو سلوك أوضحته آيات القُرْآن الكريم في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٦٨) ﴾ – سُورة الأنعام، وقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ (١٩٩) ﴾ – سُورة الأعراف، وغيرها آيات كثيرة تُبيِّن خُلُق الإعراض أو الابتعاد أو التجنب، ففيه وقاية من الوقوع في الخطأ، فإذا وجدنا أصحاباً – مثلاً – قد انحرفوا عن المسلك المفترَض، أو تخلوا عن أخلاقهم بشُرب خَمْرٍ ،أو تعاطِي مُخدِّرات، أو ما شابه، فإن علينا أن نبتعد عنهم حتى لا نكون مثلهم .

وفي حياتنا يمكن أن نقول: إن الابتعاد خير وسيلة لتفادي أصدقاء السوء، فكثيراً ما رأينا شاباً قد بذل أهلُه مجهوداً كبيراً في تربيته، وهو بالفعل شاب محترَم، ولكن لبَدْء اختلاطه بأصدقاء سوء، بدأ سلوكه في الانحراف، وتغيَّرت أخلاقياته نتيجة استمراره في هذا الاختلاط .

والدرس المستفاد هنا هو حُسن اختيار مَن نصاحبه؟! ومع مَن نجلس أو نتشارك؟! وأن يكون عندنا شجاعة وجرأة البُعد عنهم دون أن نَشْعر بحرج، لأننا بهذا ننجو بأنفسنا .

ولا يظـن أحـدٌ أنه قد كـبر ، ولديه الخبرة، فيقول: لا يمكن أن يؤثروا عليَّ سـلباً، فالنتيجـة شـبه حتميـة، أن السـيِّىء يفرض سـلوكه عـلى غيره بـكل أنـواع الإقناع والإغـراءات، ولهـذا يقول لنا رسـول الله – صلى الله عليه وسـلم – :»المرء على دين خليله فلينظر أحدكم مَنْ يُخَالِل» .

ففـي كل الاجتماعيـات وأنواع الاختـلاط، علينـا بالتعقل والتدبر، وأن نُحْسِـن الاختيـار، وأن نُـسْرع في الابتعاد والإعراض عمَّن نستشـعر أن صحبتهم تُبعدنا عمَّا يُحِبه الله، ولا تُقربنا إليه، إذا ما اكتشفنا خلاف ماكنا نعلم أو نتصور .

فلنُعَلِّـم أنفسـنا أن نقـول «لا»، وأن نعتذر عن حضور أي دعـوة لا تروق لنا، أو مقابلـة أي صُحبـة تحذف من رصيدنا الأخلاقى، ولا نُجاري المجتمع أينما ذهب بنا، فلكل واحد حياته وقناعاته ومبادئُهُ التي يتمسك بها، ولا شأن لنا بغيرنا، ولنحرص عـلى أبنائنـا وزوجاتنـا وبيوتنا مـن هـذه الاجتماعيات التي تهـدم ولا تبنـي، ولتكن صداقاتنـا وصداقـات أُسَرِنـا وأبنائنا لمن نتعلم منهـم ونقتدي بهم في حُسْـن الخُلُق، ومـكارم الاخـلاق، ومَن نخرج مِن مجلسـهم وقد أضفنا إلى رصيدنـا الأخلاقي، أو على الأقل لم نحذف منه شيئًا .

أمـا آيات الكتاب المقدس فقد جاءت عديدة في خلق الإعراض، أذكر منها: «أَمَّا الشَّــهَوَاتُ الشَّــبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّــلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْــبٍ نَقِيٍّ. ٢٣وَالْمُبَاحَثَاتُ الْغَبِيَّةُ وَالسَّــخِيفَةُ اجْتَنِبْهَا، عَالِمًا أَنَّهَا تُوَلِّدُ خُصُومَاتٍ، ٢٤وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًا بِالْجَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَــقَّاتِ» (تيموثاوس الثانية ٢: ٢٢-٢٤)، وكذلك: «وَأَمَّا

الْمُبَاحَثَاتُ الْغَبِيَّةُ، وَالأَنْسَـابُ، وَالْخُصُومَاتُ، وَالْمُنَازَعَاتُ النَّامُوسِيةُ فَاجْتَنِبْهَا، لأَنَّهَا غَيْرُ نَافِعَةٍ، وَبَاطِلَةٌ. ١٠ الرَّجُلُ الْمُبْتَدِعُ بَعْدَ الإِنْذَارِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ، أَعْرِضْ عَنْه» (تيطس ٣: ٩ – ١٠)، وأيضاً: «وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تُلاَحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشِّقَاقَاتِ وَالْعَثَرَاتِ، خِلاَفًـا لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ» (رومية ١٦: ١٧)، وفي: «لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى، وَلكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرِضْ عَنْ هؤُلاَءِ» (تيموثاوس الثانية ٣: ٥)، وكذلك: «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْـلُكْ فِي مَشُـورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ» (سفر المزامير ١: ١)

تعلَّمـوا أن تقولـوا: «لا»، فكلمة «لا» قد ترحمك مِن مشـاكل كثـيرة، لو قلتَها في موضعها، وحافظتَ بها على نفسك، ولندرك أن» لا» خلق يُحصر صاحبه عن مسايرة الآخرين، حتى لا ينزلق في الخطأ، فلنعلمه لأولادنا لنحفزهم ألا يسـتحوا من قولها ما دامت في الطريق الصحيح، فهذا خير وقاية لهم.

٢٤ـ خُلق الإِعْزَاز والإِحْقَاق

صاحـب هـذا الخُلُق لا يُرْضِيـه إلا أن يُعطى كلَّ ذي حقٍّ حَقَّه، فلا يُنقِصْه شـيئًا، و(بِعِزِّيـة) كما نقول، أي بـكل تأدُّب ولياقة في الكلام معه (أي: ومعها كلمة تُرضيه) فدائماً في باله أمران: -

الأول: ألا يقـع في ذَنْـبِ (النَّهر) المنهِي عنه تماماً، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾- سُورة الضُّحى، أي: ألا يقول له كلمة تُغضبه، أو يُحرجه بها، فالسائل له حَقٌّ سيأخذه دون أن ينهره أحد أو يؤذيه بكلمة .

الثاني: ألا يقع في ذَنْبِ (قَهْر) الناس، وقد نهى عنه الله تعالى في مواضع كثيرة، منها قولـه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾- سُـورة الضُّحـى، فهو حريص أن يعطي للناس حقَّها، ولا يقبل الظلم لهم، ولا أن يذلهم أحدٌ، فيتدخل مُعِزّاً ومُناصراً لهم .

ومـن الكتاب المقدس أذكر هنا الآية: «فَأَعْطُـوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَــةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ» (رومية ١٣ : ٧) ، وكذا: «وَكُلُّ مَنْ خَدَمَكَ بِشَيْءٍ فَأَوْفِهِ أُجْرَتَهُ لِسَاعَتِهِ، وَأُجْرَةُ أَجِيرِكَ لاَ تَبْقَ عِنْدَكَ أَبَدًا» (سفر طوبيا ٤ : ١٥)، وكذلك: «فِي يَوْمِهِ تُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ، وَلاَ تَغْرُبْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ، لأَنَّهُ فَقِيرٌ وَإِلَيْهَا حَامِلٌ نَفْسَهُ، لِئَلاَّ يَصْرُخَ عَلَيْكَ إِلَى الرَّبِّ فَتَكُونَ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ» (سفر التثنية ٢٤ : ١٥) .

وعلى هذا، فصاحب هذا الخُلُق «حقَّاني» كما نقول، يُحِق الحَقَّ، بل قد يَظلم نفسَه ليُعِزَّ غيره، ولا يقول له إلا القول الكريم .

خُلُقٌ نفتقده كثيراً في المعاملات هذه الأيام، فغياب الوعي الديني السليم بأخلاقيات المعاملات، أوصلنا إلى ملايين النزاعات القانونية المنظورة بالمحاكم، وكثير منها مرفوعٌ بسبب عدم الالتزام بإعطاء الناس حقوقهم، وبسبب أكل حقوق الناس بالباطل، والله – سبحانه وتعالى – يُحِب أن يأخذ الناسُ حقوقهم غير منقوصة، وأن يصاحب ذلك ترضية لهم، أو كما يقولون» بعزية وكرامة» .

فلنحرص على إحقاق الحقوق، ولنحرص على أن نُنَاصر صاحب الحَقِّ، ونُعزه، ونُعطي له حقه دون أن (نقهره) أو (ننهره) .

فعلى كل موظف مسئول عن مصالح الناس أن يتذكَّر هذا الخُلُق، ويتخَلَّق به، لنملأ القلوب بالرضا والارتياح. أَعِزُّوا الناسَ يُعزكم الله .

وهذا الخلق ليس خلقاً فطرياً، وإنما هو خلق يأتي بالإدراك والتعلم والممارسة والمتابعة، وإذا كان الأمر كذلك فالأحرى بالدولة ألا تتركه ليكون أمراً إما يتعلمه الشاب من دائرة أسرته أم لا، بل يكون منهجاً من مناهج بناء الشخصية المصرية التي تخطط الدولة له وتتبع الخطوة تلو لبنائها .

٢٥- خُلُق إعطاء الغير قَدْره

عَلَّمَنـا نَبِيُّنـا – صلى الله عليه وسـلم – أن نُوَقِّر كبيرنا، وأن يحـترم كلٌّ مِنَّا الآخر، وأن نُنَادي بعضنا بأفضل الأسـماء، فكان – عليه الصلاة والسـلام – يُسمِّي أصحابه بأفضـل مـا يتميزون به مِـن صفات، مثل (الصِّدِّيق) لسـيدنا أبي بكـر، و(الفاروق) لسـيدنا عمر بن الخطاب، أو (تاجر الرحمن) لسـيدنا عبد الرحمن بن عَوْف، و(سيف الله المسلول) لسيدنا خالد بن الوليد، وهكذا .

ولقـد نهانـا القُـرْآن الكريم عن أن نسـخر مِن أحد، في قوله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ – سُورة الحُجُرات .

وأذكـر من الكتاب المقـدس: «**لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه**» (١ تسـالونيكي ٤ : ٦ – ٧)، وكذلك: «**الاِسْـتِهْزَاءُ وَالتَّعْيِيرُ شَـأْنُ الْمُتَكَبِّرِيـنَ، وَالاِنْتِقَامُ يَكْمُنُ لَهُمْ مِثْلَ الأَسَدِ**» (سفر يشوع بن سـيراخ ٢٧ : ٣١)، وكذلك: «**مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢ : ١٠) .

وفي هـذا يَتبَـيَّن لنـا أن (التَّنمُر) أو (السـخرية) هما أبعد ما يكـون عن أخلاقيات الإسلام، التي لا يُحِب اللهُ تعالى أن يرى عباده عليها .

انتشر - للأسف - خُلُق التَّنمُر بين شبابنا، فنجد مجموعة تسخر مِن زميلهم لسببٍ أو لآخر، ومنهم مَن يعتدي عليه لفظياً، أو حتى بالضَّرْب، أو ما شابه، ويكون هذا مصدراً للضَّحِك، فيجعلون مِن زميلهم هذا أضحوكتهم اليومية . ما أبشع هذا عند الله تعالى .

إن الله تعالى يُحِب أن يحترم كلٌّ مِنَّا الآخر، ولا يُحِب أن يرى أو يسمع هذه السخرية مِن أحد، فالشخص موضع السخرية، هو مِن خَلْق الله، وخَلْق الله له احترامه ووقاره، وليس مِن حقِّنا التعقيب عليه، أو الإساءة إليه .

فلندرك هذا جيداً في معاملاتنا، ولنلاحظ أبناءنا وعلاقاتهم، ونُعلِّمهم هذا الخُلُق الكريم، خُلُق احترام الجميع .

وعلى فكرة، فإننا إذا أردنا أن يحترمنا الناس، فالبداية تأتي مِن احترامنا لهم، ففي هذا إحراج شديد للمتعامل معنا، وكما نقول: تكون قد فرضتَّ لُغتك على الحوار، فيكون الحوار بلغة فيها الاحترام، والاحترام المتبادَل، بعيدة تماماً عن الإسفاف، وسُوء الكلام .

كذلك، على الدولة أن تُعطي النموذج الصحيح في الإعلام، فأولادنا يَتعلَّمون مما يشاهدون ويسمعون، فليقل الإعلام - مِن خلال مَن يعملون به وضيوفهم - خيراً، وإلا سنحصد أجيالاً تَعلَّمت ممَّن يشتم هذا، ويَسُبُّ ذاك، والعياذ بالله، وهذا ما لا يُحِبه الله تعالى، ولا يرضى عنه .

ومن زاويةٍ أخرى، فإن الاحترام يشمل - أيضاً - احترام الرأي الآخر، وكذلك احترام صاحب الدِّين الآخر، واحترام صاحب اللَّون الآخر، واحترام ذي الإعاقة،

والمختلف معه، أيّاً كان نوع الاختلاف، فهو يَعلم أنه لا فَضْل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «**لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أبيضَ إلَّا بالتَّقوَى، النَّاسُ من آدم، وآدمُ من ترابٍ** »، وبالتالي هو يعرف أن الله تعالى قد جعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ – سُورة الحُجُرات، والتعارف معناه: الوُدّ، والاحترام المُتَبادَل، والعَيْش السَّليم، وربما لنشهد منافع مشترَكة فيما بيننا، ولهذا فإن خُلُق الاحترام مِن أساسيات الأخلاق، فيكون به التَّعايُش على الوجه الأمثل، وكما يحترم صاحبُ هذه الصِّفة الآخرين وتنوُّعهم، فهو يحترم القانون، والآداب العامة، وخصوصيات الناس، ويحترم مشاعر الآخرين .

فهو خُلُق يمشي به صاحبه، مادام قد تخَلَّق به، فهو حريصٌ أن يكون مُلتزماً، مُحترِماً كلَّ مَن حوله، كمبدأ يُؤمِن به، ويُحِب أن يبادله الناس احتراماً باحترام .

هذا الخلق ترتبط به مناحي الحياة والتعايش بين الناس، ولهذا فلابد أن تعطيه الدولة الأولوية في المناهج الدراسية، وأن تصيغ القوانين الكفيلة بحماية المجتمع من أخطار التنمر والتجاوز فيها، والكفيلة أيضاً باحترام الاختلاف، فبهذا يكون التخطيط لغدٍ أفضل .

٢٦- خُلُق الإغاثة

وأقصد هنا أن يكون خُلُق الإنسان هو المبادرة إلى إنقاذ أو مساعدة مَن يَمرُّ بأزمة، وعدم تركه، فمِن الناس مَن نراه و هو يقول (يا عَم واحنا مالنا) يعني لماذا نتدخل ؟ الله سوف يرعاهم، ومِن الناس مَن لديه النَّخوة، أي الذي تحلى بروح مساعدة الغير .

ورسول الله – صلى الله عليه و سلم – يقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

والإغاثـة من قـدرات الله تعالى وصفاته، فهو يُغيث المضطـر إذا دعاه، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ – سُورة النَّمل .

ولقد نصَّت آيات الكتاب المقدس على فضل الإغاثة، أذكر هنا: «كُلُّ وَاحِدٍ يُسَاعِدُ صَاحِبَهُ وَيَقُولُ لأَخِيهِ: «تَشَدَّدْ»» (سفر إشعياء ٤١ : ٦) ، وكذلك: «وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلاَ تَرْتِيبٍ. شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ. أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ. تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥ : ١٤) .

وعلى هذا، فإنَّ تخَلُّق الإنسـان بهـذا الخُلُق شيء مُحترَم ومعتـبَر، أمرنا به الله تعالى، فكيف يكون الإنسـان خلوقاً ويترك غيره للغرق أو الموت أو في أي موقف يستنجد

فيه به، أو حتى دون استنجاد؟! إنما قد وقعت عيناه، وأحاط أن هناك إنساناً في حاجة إلى إغاثة أو مساعدة، فكيف لا يُقدِّم له المساعدة، وينتشله مما هو فيه من مأزق أو كارثة ؟!.

في حياتنا سوف نشاهد أشخاصاً في حالة ضعف، وفي حاجة إلى مَن يتدخل لمساعدتهم للخروج مِن مأزق، أو تخطِّي أزمة، أو ما شابه، فكيف نتخلى عنهم ؟!، ألا يمكن أن تنقلب الأمور ونكون مكانهم يوماً ما، أو أي من أبنائنا، أو أحبابنا ؟! ألا نحب أن يُرسل لنا اللهُ مَن في قلبه خلق الإغاثة ليُخرجنا مِن أزمتنا ؟!

إن الإغاثة منهج تربية، فعلينا أن نكون قدوة لمن يقتدون بنا، فلنأخذ بالنا مِن جيراننا، وأقاربنا، وأصدقائنا، ومَن حولنا، ربما كانوا في حاجة إلى تَدخُّلنا لمساعدتهم وإنقاذهم من أيِّ أزمة يمرُّون بها، هكذا يكون خُلُقنا الإغاثة .

كثيرٌ مِنَّا يرى كوارث طبيعية أو حروباً أهلية، أو ما شابه، يَنْتج عنها تهجير الآلاف من الأُسَر، ونراهم أمامنا على شاشات الأخبار بلا مأوى أو سكن، أين نحن من هذه المآسي الإنسانية ؟ سنُسأل عنها، بكل تأكيد، كيف نستكمل حياتنا اليومية بعد سماع أو مشاهدة مثل هذه المآسي ؟ ولم نتحرك إيجابياً لمحاولة المساعدة بما نستطيع .

علينا أن نكون مُدركين أنه «كما تَدين تُدان»، وأن «دوام الحال من المحال»، وأن الله تعالى يُحِب أن يرى توادَّنا وتعاطفَنا، وما الإغاثة إلا توادّ وتعاطف بين الناس .

فما أجمله وما أعظمه من خُلُق، فلنسعَ إلى التحلي به، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» .

خلق يربي رجالاً مختلفين، أصحاب نخوة وشهامة، والأمم ذات النظرة البعيدة هي التي ترسم مبكراً سمات الشخصية المستهدفة من التربية والتنشئة والتعليم، وتقدم المقدمات المنطقية التي تؤدي إلى تلك النتائج، فهنيئاً لمن تعلم وتخلق بخلق إغاثة الآخرين .

٢٧- خُلق الإِفْسَاح

وهـو خُلُـق كريم جاءت بـه الآيـة الكريمـة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ - سُـــــــورة المجادلة .

ومفـاد هـذا الخُلُـق، أن نُفسِـح لغيرنـا في المجالـس، في الطرق، في المـكان، في أي مجال، أي لا تأخذ كل الأدوار لنفسـك، بل ينبغي أن تترك أدواراً لغيرك، ليُظْهِـــر مجهـوده، وأداءه .

صاحب خُلُق الإفسـاح إذا دخل على (بوفيـه) طعام، يترك غيره يتقدم عليه، وإذا وقف في (طابورٍ) جعل مَن يُرهقه الوقوفُ يتقدم أمامه، وإذا تواجد في وسـيلة (نقل جماعي) ترك مِقْعَدِه للذي يكبره سِناً، أو لسيدة، ولا يُضيره أن يُوقِف سيارته ويسمح لسـيارة أو لشـخص بالعبور قبله، فهو خُلُقه ألَّا يُزاحم الناس بصفة عامة، وهكذا، خُلُقـه عدم الاسـتئثار بالـشيء، وعدم تقديـم مصلحته على مصلحـة الناس، بل هو حَسَـن العِشْرة والمعاملة، يـترك المجال لغيره إذا مـا طُلب منـه، أو إذا وجـد أن مِن واجبه ذلك .

فلنُعَلِّـم أبناءنا أن يُفسـحوا المجالس لكبار السـن، أو لمن يحتاجون مسـاعدة، أو لذوي الإعاقة، أو ما شابه .

فهـذا الخُلُـق الكريم به معاني الإيثار، أو تفضيل الغير ، وأن نُحب لغيرنا ما نُحب لأنفسـنا، ورسـول الله – صلى الله عليه وسـلم – يقول: «**لا يؤْمِــُن أحَدُكم حتى يُحِب لأخيه ما يُحِب لنفْسِه**»، فهو خُلُق المؤمنين، وهو من مكارم الأخلاق وأحمدها .

والإنجيـل قد جـاء ليحث على هذا الخلق أيضـاً، أذكر هنا الآيـة: «**وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَــلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ هكَذَا**» (لوقـا ٦: ٣١)، وكذلك: «**مِنْ أَمَامِ الأَشْيَبِ تَقُومُ وَتَحْتَرِمُ وَجْهَ الشَّيْخِ**» (سفر اللاويين ١٩: ٣٢) .

وعـلى هذا، فهـو خلق كريم متفق عليـه، فعلينابالتحلي به، وبتعليمـه لأبنائنا، فما أجمله من خلق.

٢٨- خُلق إِفْشَاء السَّلام

السَّـلام هو اسم من أسماء الله تعالى، فسبحانه القائل : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ - سُورة الحَشْر .

والسَّـلام تَحِيَّة أهـل الجَنَّة، قال تعـالى ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾- سُورة يُونُس، وقال تعـالى:﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾- سُورة إبراهيم .

ولقـد أُمرنا أن نُلقي التحيَّة والسَّـلام على مَـن حولنا، وهي تَحِيَّة مـن القُرْآن، قال تعـالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ﴾ - سُـورة النَّمـل، وكذلـك الآيـة: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾- سُورة الفُرْقان، كلها آيات تُعلِّمُنا أن هذه تَحِيَّة الإسلام .

وأمـا عن الكتاب المقدس، فقد وردت آيات تتحدث في ذات الشـأن، أذكر منها: «سَـلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَـةٍ» (رسالة بولس الرسـول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٦ : ٢٠؛ رسـالة بولس الرسـول الثانية إلى أهـل كورنثوس ١٣ : ١٢)،

وكذلـك: «عِيشُــوا بِالسَّــلاَمِ، وَإِلهُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلاَمِ سَــيَكُونُ مَعَكُمْ» (رسالة بولس الرسـول الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣ : ١١)، وكذا: «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَــالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ» (رسالة بولس الرسـول إلى أهل رومية ١٢ : ١٨)، وكذلك: «وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلًا: سَلاَمٌ لِهذَا الْبَيْتِ» (إنجيل لوقا ١٠ : ٥) .

معنـى كلمة السَّـلام هو الأمن والأمـان والطمأنينة، ولذلك نـرى قولـــه تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ ﴾ - سُـورة الصافات، وكذلك قول سيدنا عيسى - عليه السـلام -: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ﴾ - سُورة مريم، حين تحدث - عليه السلام - في المهد، حتى أن الجَنَّة دخولها بسلام بإذن الله، قـال تعـالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ ﴾ - سُـورة ق ، وليلـة القدر، وهـي خير مـن ألـف شـهـر، يقـــول تعـالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ ﴾- سُورة القَدْر .

آياتٌ كثيرة تتحدث عن السَّـلام، وهو تَحِيَّة الإسـلام، يدخل به المُسْـلم على غيره فيقـول له: السـلام عليكم، أي الأمن والأمـان والطُّمأنينة، جئتُك مسـالماً، وهذا هو صُلب الدِّين، وهو اسمٌ من أسماء الله تعالى .

في قريتي (شُـبرَا شـهاب ، بالقناطـر الخَيْرِيَّة)، وكنتُ أقضي بهـا فترة من الإجازة الصيفية سنوياً في صِغَري، لا تستطيع أن تمر على أي شخص، أو تقابله في طريقك إلا وعليـك أن تُلقي عليه السـلام، فيرد عليك بتحيَّة أفضـل منها، وهذه أخلاق القرية، وهذا طَبْع أهلنا في الرِّيف، ولكن للأسف في المُدن يغيب هذا عنَّا، على الرغم من أنه واجب علينا، وخُلُق يُحِب الله أن يرانا عليه .

فلندرب أنفسنا أن نلقي التحية على الناس، وأن نبتسم في وجوههم .

مـن كل مـا تقدم أسـتطيع أن أجزم أن تحيـة الآخرين خُلق شـددت عليه الأديان السـماوية وإن اختلفت كلمات التحية، فإذا كان المسـلمون يُحيُّون بكلمة السلام، فإن المسيحية – مثلاً – لم تفرض عبارات بعينها، ولكنها تفرض تحية الآخرين .

عـلى كلٍّ، فـإن مجرد التبسـم في وجه الآخرين هـو خير تعبير عن الحُـب والتقدير وتبادل المشاعر الطيبة، وهذا هو مغزى هذا الخلق وفحواه .

٢٩- خُلق إعطاء السَّائِل واحْتِرامه

وهذا خُلُق كريمٌ من أخلاق الإسلام، علمه لنا رسولنا- صلى الله عليه وسلم، فالله عزَّ وجَلَّ قد أمرنا أن نحترم السائل . فبدايةً، أخبرنا حقيقة العلاقة، وهي أننا لا نتفضَّل عليه في شيء، وإنما هو صاحب حَقّ، فهل يُعْقَل ألا نَحترم صاحب الحق الذي جاء يطالبنا بحقه، وننهره، أي نؤذيه بالكلام ؟! فصاحب الحق يُكرَم، ويأخذ حَقَّه كاملاً، يقول تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ - سُورة الذاريات، ثم تأتي الآية الكريمة: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾- سُورة الضُّحى، لتعلَّمَنا ألا نُؤذي السائل في كلامنا، وألا نَحتدَّ عليه، ولو حتى بالإشارة، ولكن نُعطيه إن استطعنا، أو نَرده رداً جميلاً، فلا نَلومه أو نُعاتبه ولكن نقول له قولاً معروفاً، فيه إكرامه، وربما الدعاء له .

أذكر هنا من الكتاب المقدس: «**لاَ تَقُلْ لِصَاحِبِكَ: «اذْهَبْ وَعُدْ فَأُعْطِيَكَ غَدًا» وَمَوْجُودٌ عِنْدَكَ**» (سفر الأمثال ٣: ٢٨)، و «**مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ، وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ**» (سفر الأمثال ١٩: ١٧)، و«**ظَالِمُ الْفَقِيرِ يُعَيِّرُ خَالِقَهُ، وَيُمَجِّدُهُ رَاحِمُ الْمِسْكِينِ**» (سفر الأمثال ١٤: ٣١)، و «**أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ. أَحِبُّوا الإِخْوَةَ. خَافُوا اللهَ. أَكْرِمُوا الْمَلِكَ**» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٢: ١٧) .

كثير لا يدركون ذلك، بل يحتدُّون على السائلين، وهذا من مساوىء الأخلاق . فلنأخذ بالنا من كلامنا، ولنُعَلِّم أولادنا احترام وإكرام السائلين، والعطف عليهم

بالقـول، وبـما أمكن من مال، أو طعام، أو مَلْبَـس، أو أيّ شيء آخر، المهم أن يكونوا موضع الاحترام والإكرام، لكي يكونوا قد تخلَّقوا بخُلُق كريم من مكارم الأخلاق .

والبدايـة أن نـدرك أن المال الذي نعطي منه ليس مالنا وإنما نحن مسـتخلفين فيه، أي موكل لنا التصرف فيه، بمعني أبسط، وعلى هذا فأنا أعطي صاحب الحق من مالٍ مُسَلَّم إليَّ من الله لإعطائه لصاحب الحق هذا، إن هذا الفهم – في حد ذاته – يزيد من الجرأة على الإنفاق والتصدق، كما يصحح المفاهيم ويضبط أسـلوب الإنفاق ليصبح مقروناً بالقول الحسن، وهذا هو الُخلق الكريم الذي نبغيه .

٣٠- خُلق إِكْرَام اليَتِيم

وهـذا خُلُق مَن قلبُه ضعيفٌ مع اليتيم، يُحسِـن إليه، ويُكرمـه، ويُعوِّضُه بالعطف والحنان، والكلمة الطيبة، والرعاية عن فقدان أبيه وأمه .

الرسول – عليه الصلاة والسلام – كان يتيماً، مات أبوه ثم أُمُّه، ولهذا شَعُر باليتيم، وتعاطـف معه، وعَلَّـم الأمة الاهتمام باليتيـم ورعايته، حتى قال قولـه المعروف:«**أنا وَكافِلُ اليتيمِ في الجَنَّة هَكذا . وأشار بإصبعيهِ السَّبَّابَةِ والوُسطَى**»، في إشارة إلى عِظم أجر كافل اليتيم عند الله تعالى، فهو في درجة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الجَنَّة، ماهذا السِّر العظيم من أسرار دخول أعلى درجات الجَنَّة ؟! .

إن صاحـب هذا الخُلُـق علِم هذا السِّر، وفهمه، وقرر أنـه طريقُه إلى الجَنَّة، (بقدر مـا يستطيع)، فالكفالـة الكاملـة لايقـدر عليهـا كل النـاس، ولكن عـلى الأقل بدأ بالتعاطـف، والعطـف والإكرام، ولقد جاءت آيات كثـيرة تتحدث عن فضل إكرام اليتيم، والنهي عن الإسـاءة إليه، والدعـوة إلى المحافظة على ماله، وغير ذلك الكثير، مما يعطينا انطباعاً إلى مدى حُبِّ الله تعالى هذا اليتيم، وحُبِّ مَن يرعاه ويكفُلُه، أذكر مـن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ – سُـورة الضُّحى ٦، ويقابلها قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ ﴾ – سُورة الضُّحى ٩، وقوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ – سُورة الماعون .

ولا تقتصر الآيات القُرْآنية على رفض تعنيف اليتيم وقهره وأذيته، بل تدعو إلى إكرامه بالقول الطيب والمعاملة الحَسَنَة، وتَذُمُّ مَن لا يفعلون ذلك به، يقول تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧﴾ - سُورة الفَجْر ١٧ .

وأكثر شيء يؤذَى فيه اليتيم، ويتكرر وقوعه في الناس، هو أكل ماله ؛ لأنه صغير لا يعرف كيف يحافظ عليه، وقد نهى الله تعالى عن ذلك، فقال تعالى : ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾ - سُورة الأنعام ١٥٢ .

وحذرنا الله تعالى من أكل مال اليتيم؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ - سُورة النساء ١٠ .

وأوصانا باليتيم خيراً، فقال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ﴾ - سُورة البقرة ٢٢٠ .

ولقد دعا الله تعالى - في القُرْآن الكريم - إلى رعاية اليتيم والعناية به، فقال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢﴾ - سُورة النساء ٢ .

إن إطعام اليتيم أوْلى من إطعام غيره؛ لأنه صغير لا يكتسب، ولا والد له يُطعمه، والحياء يَمنعه من السؤال، يقول تعالى: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾ - سُورة البلد .

أذكر هنا أيضاً من الكتاب المقدس بعض آيات للتمثيل، اتَّفقت تماماً مع الآيات القرآنية سالفة البيان، من هذه الآيات: «وَلاَ تَظْلِمُوا الأَرْمَلَةَ وَلاَ الْيَتِيمَ وَلاَ الْغَرِيبَ

وَلاَ الْفَقِيرَ، وَلاَ يُفَكِّرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَرًّا عَلَى أَخِيهِ فِي قَلْبِكُمْ.» (زكريا ٧: ١٠)، وكذلك: «**أَبُو الْيَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ، اَللهُ فِي مَسْكِنِ قُدْسِهِ.**» (مزامير ٦٨: ٥)، وأيضاً: «**بل دافعوا عن حق الضعيف واليتيم،انصفوا المسكين والمظلوم.**» (مزامير ٣:٨٢)، وقوله: «ملعون من يحرم حق الغريب أو اليتيم أو الأرملة. ويقول كل الشعب: آمين.» (تثنية ٢٧:١٩).

فلنبدأ - من الآن - كفالة بسيطة، بأن نتبرع لدُور الأيتام، ونزورهم، ونلعب معهم، ونُوَزِّع عليهم الهدايا، ثم مَن يستطيع أن يرقى ذلك، حتى درجة الكفالة الكاملة، أي يُرَبِّيه مثل ابنه، وهذه درجة عالية حدثنا عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

إن التخلق بهذا الخُلُق هو مِفتاح وسِرّ من أسرار الجَنَّة، ومصاحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

بعد أن عرفنا هذا، أما زلنا نُفكِّر ؟! فلنسارع إلى إكرام اليتيم، وكفالته .

٣١- خُلق الأُلْفَة

المعنى اللغوي للألفة يَدُلّ على انضمام الشّيء إلى الشّيء، وكلّ شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألّفته تأليفاً .

والمعنى الذي أفهمه: هو أن يكون الإنسان وديعاً بسيطاً، تأنس الناس إلى صحبته، ولا تنفر منه، فبالقياس – مع الفارق بالطبع – عندما نقول: إن هذا «القِطّ» أليفٌ – أي: صحبته ممكنة – ولا تخاف من شراسته، أو تغيّر مفاجيء في التصرف، وتستطيع أن تأمن بجانبه، كذلك الأمر، فإن الإنسان الأليف هو الإنسان الذي تأمن لصحبته لهدوء طبعه وسلوكياته، واستقرار ردود أفعاله، نحو الهدوء والرويّة والصُّحبة الجيدة .

والأصل أننا قد خُلِقنا على الفطرة مؤلفة قلوبنا، إلا مَن تغيرَّ لبعده عن أدبيات العلاقات الإنسانية السليمة أو حُسن الخُلُق لسبب أو لآخر، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ – سُورة الأنفال .

ولقد وردت آيات عديدة في الكتاب المقدس، تدعو إلى الألفة، أذكر منها: «**اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣ : ٨)، وكذلك:

«هــذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَــا أَحْبَبْتُكُمْ» (إنجيل يوحنا ١٥ : ١٢)، وأيضاً: «الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ» (رسالة بولس الرسـول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣ : ٤)، وكذا: «وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي للهِ فِينَا. اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ» (رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤ : ١٦)، ويقول الكتاب المقدس عن المؤمنين: «وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ» (سفر أعمال الرسل ٤ : ٣٢)، كذلك: «إِنْ كَانَتْ تَسْـلِيَةٌ مَا لِلْمَحَبَّةِ. إِنْ كَانَتْ شَـرِكَةٌ مَا فِي الرُّوحِ. إِنْ كَانَتْ أَحْشَــاءٌ وَرَأْفَةٌ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٢ : ١) .

والأمر – أيضاً – يمتد إلى أن تسـعى لأن تُؤلِّف بين الناس، ولا تُباعد بينهم، فإذا وجدتَّ صديقين قد اختلفا، فحاوِل الإصلاحَ بينهما، وإذا وجدتَّ زوجاً اختلف مع زوجـه، وتسـتطيع – من خلال علاقتك بهـما – أن تصلحهما، افْعَـل، فهذا هو خُلُق الألفة، أي أن تُؤلِّف بين الناس، وتجمعهم ولا تفرقهم .

وعلى هذا، فليحرص كلٌّ منا أن يكون وديعاً – قدر المسـتطاع –، وأن يبتعد – في حياته – عن كل ما يدفعه إلى كثرة الاختلاف والجدال والتنافر، وأن يكون الشخصية المعتدلة العاقلة التي يستطيع لمَّ شمل المتخاصمين بحكمة وذكاء .

وبالألفة تستقيم الصداقات والعلاقات والزيجات، ولقد أوصى الله تعالى للمؤلَّفة قلوبهم بنصيب من الزكاة، لعله تحفيزٌ لهم على ذلك، وفيه – أيضاً – الشكر على أنهم كذلـك، وكذلك تشـجيع على الاسـتمرارية، قال تعـالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ - سُورة التوبة .

فليكن خُلُقنا الألفة، ولنُرَكِّز في ذلك، ولا نعتبره شيئًا طبيعياً، وإنما هو يحتاج إلى كظم الغيظ والعفو والتسامح، ليصل الإنسان إلى الأُلفة .

فلنكن ليِّنين بين بعضنا البعض، ليس عن ضَعْف، وإنما عن تواضع وعقلانية، وإعطاء الفرصة للجميع .

٣٢- خُلق الأمانة

والمعنى الذي أقصده هنا: هو مَن يَصْدُق قولُه مع الآخرين، يحافظ على ما أخذه من الناس من مال أو معلومة أو سِرّ، أو غير ذلك، ولا يعطيه إلا لمن أراد صاحبه أن يُعطيه له، فالشَّيء معه في أمان، وليس موضع خوف من الضياع، وبصفة عامة يكون الإنسان أميناً على ما استأمنته عليه .

و الأمانة خُلُق من أخلاق الأنبياء والرسل، أُعْطِي – هنا – أمثلة، بداية من وصف الفتاتين لسيدنا موسى – عليه الصلاة والسلام –، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ – سُورة القَصص، وقول سيدنا موسى: ﴿ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ – سُورة الدُّخان، وقول سيدنا هود: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ – سُورة الأعراف، وقول سيدنا نوح : ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ – سُورة الشعراء .

وعلى هذا فالأمانة من مكارم الأخلاق التي تَحلَّى بها الأنبياء والرُّسل، وهم نموذجٌ للخُلُق، دلالة على أنها خُلُق كريم .

ولقد أمرنا الله تعالى أن نؤدي الأمانة إلى أهلها، قال تعالى: ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ ﴾ – سُورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ

وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ - سُـورة المؤمنون، وقولـه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾- سُورة الأنفال، وقوله تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ - سُـورة النسـاء ، وغير ذلك من المواضع التي ذُكِرت فيها الأمانة كخُلُق كريم يُحِب الله تعالى أن يرى عباده عليه .

وعـن خلـق الأمانة وجدت العديد من آيـات الكتاب المقدس، أذكر منهـا: «**اَلرَّجُلُ الأَمِينُ كَثِيرُ الْبَرَكَاتِ، وَالْمُسْـتَعْجِلُ إِلَى الْغِنَى لاَ يُبْرَأ**» (أمثال ٢٨ : ٢٠)، وأيضاً: «**نِعِمَّا أَيُّهَـا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْـتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَـى الْكَثِيرِ**» (إنجيل متى ٢٥ : ٢١؛ ٢٣)، وكذلـك: «**اَلأَمِيـنُ فِي الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ، وَالظَّالِمُ فِي الْقَلِيلِ ظَالِمٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ**» (إنجيل لوقا ١٦ : ١٠)، وكذا: «**ثُمَّ يُسْـأَلُ فِي الْوُكَلاَءِ لِكَيْ يُوجَدَ الإِنْسَانُ أَمِينًا**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٤ : ٢) . وكذلك الآية: «**كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ**» (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢ : ١٠) .

وفي الأمانـة اسـتقرار للمعامـلات والعلاقات، فهي سـبيل إلى السِّـلم المجتمعي والأُسَرِيّ، وفي شـتى المعامـلات، لأن خيانـة الأمانـة، أو ضياعهـا من الأمـور التي وجدناهـا - في حياتنا - سـبباً رئيسـياً للصراعـات، والتصادم، والتقـاضي على أقل تقدير، ولهذا كانت الرسالات السماوية - الواحدة تلو الأخرى - حريصة على تعليم الناس الأمانة، وتكليفهم بها .

فليحـرص كلٌّ مِنَّا أن يكون أكثر ما يميزه الأمانة، وهي تحتاج إلى تدريب وتربية، فليكن رَبُّ الأسرة قدوة لمن حوله، ورَبُّ العمل كذلك، وليكون الأصدقاء حريصين على حفظ أمانة أصدقائهم، وهكذا .

صاحب هذا الخُلُق حريصٌ على أداء الأمانة، ولهذا فهو لا يسعده أن يتحمل أمانة جديدة – حتى لو كان فيها تشريف أو تكريم له، ما دام أنه – مِن داخله – يعلم أنه لن يكـون بمقدوره أداء الأمانة على الوجه الذي تعوَّد عليه، فتجده لا يقبلها، أو يتركها إذا كان قد سبق أن قبلها، إذا لم يجد في نفسه طمأنينة أنه سيكون قادراً على أداء الأمانة عـلى النحـو الذي يُرضي الله تعـالى، فهو يعرف قول الله تعـالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ – سُورة الأحزاب .

هو خلق يحتاج لمنهج لنتعلمه، متى يكون الإنسان قد أدى الأمانة، ومتى يكون قد خان الأمانة ؟! وكيف نحفز الناس على أداء الأمانة ؟ وهكذا .

٣٣- خُلق الامْتِثال

وصاحب هذا الخُلُق، يُسعده الامتثال - أي سرعة الاستجابة - إلى أوامر الله تعالى، فهو يعرف ماذا دعا إليه كتاب الله تعالى في هذا الشأن .

وأذكر - هنا - على سبيل المثال وليس الحصر -، قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ - سُورة الأحزاب، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ - سُورة النساء، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ - سُورة لقمان، فهو يُحِب أن يراه الله تعالى سريع الاستجابة، لأنه يعرف أن الله تعالى يراه، ويُحِب أن يكون سريع الامتثال .

تعلَّم صاحبُ هذا الخُلُق من قَصَص القُرْآن، كيف امتثل الأنبياءُ والمرسلون والصالحون لأوامر الله تعالى، وعلِم أن هذا القَصَص ليس إلا لبيان فضل الامتثال عند الله - سبحانه وتعالى -، فكان الامتثال خياراً له كخُلُق يتخَلَّق به .

من هذا القَصَص، أذكر - مثلاً - قِصَّة سيدنا إبراهيم - عليه السلام -، حين قال لنجله، سيدنا إسماعيل: إنه رأى في المنام أنه يذبحه، فامتثل سيدنا إسماعيل - عليه

السلام –، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ – سُورة الصافات .

وامتثال أُمِّ سيدنا موسى – عليه السلام – أن تُلقيه في النَّهر بناءً على وحي من الله تعالى، وكان في هذا إنقاذ له، حتى أرجعه الله تعالى إليها مرة أخرى، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ – سُورة القَصَص، وغير ذلك الكثير من القَصَص القُرْآني في الامتثال .

ومن الكتاب المقدس نجد هذه الآية: «**فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ**» (بطرس الاولي ٢ : ١٣)، وكذلك: «**مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ**» (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣ : ٦)، وكذلك الآية: «**كُنْ سَرِيعًا فِي الاِسْتِمَاعِ**» (سفر يشوع بن سيراخ ٥ : ١٣)، وكذلك الآية: «**اِسْمَعْ يَا ابْنِي تَأْدِيبَ أَبِيكَ، وَلاَ تَرْفُضْ شَرِيعَةَ أُمِّكَ**» (سفر الأمثال ١ : ٨)،

وعلى هذا، فصاحب هذا الخُلُق، يتميز في طاعته بالامتثال، وعدم الجدال، أو محاولة التنصُّل (التزويغ) من الالتزام، فالمرأةُ المُسْلمةُ التي ترتدي الحِجاب – مثلاً – هي تفعل ذلك امتثالاً لأمر الله، والذي يَغضّ البصر، أو يحفظ الفَرْج، ولا يشرب الخمر، فهو امتثال، والفارق هنا كبير بين مَن يلتزم – مثلاً – بما سبق ذِكره لأنه هكذا سَمِع أو تعلَّم، وبين مَن يلتزم امتثالاً، لأن في هذا الامتثال عبودية لله تعالى، ومُنْتَهى الطاعة .

مَن ذهب مِنَّا إلى التجنيد يعرف أن الطاعة والامتثال للقائد من الأمور الحاسمة في العسكرية، لكي ينضبط الأداء، فما بالنا بالطاعة والامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى.

اللهم حبِّبنا في الامتثال، وخَلِّقنا به .

٣٤- خُلُق الإنجاز

البداية، هناك سؤال: هل الإنجاز خُلق ؟

ولأجيب على هذا السؤال يجب أن نقرر أنه إذا كنا نعتبر مَن يعطل مصالح الناس ولا ينجزها إنساناً ذا خلق مذموم، فإن من ينجز مصالح الناس ولا يعطلها لابد أن نعتبره إنساناً ذا خلق كريم، وإذا أردنا أن نصف خُلقه هذا فنصفه أنه منجز، وأنه تحلى بخلق الإنجاز، ولهذا فإن الإنجاز خلق .

وأعني بهذا الخلق: أن يكون صاحبه من أصحاب الهمة، فإذا كُلِّف بشيء همَّ وأنجزه، وخلقه هذا يمشي به في حياته، وسواء في علاقته مع ربه، فإذا جاء موعد إقام الصلاة أقامها لوقتها، وهكذا، أو في حياته العادية، فإذا كان تلميذاً أنجز ما هو مطلوب منه من واجبات في وقتها، وإذا كان في عمل أنجز ما يطلبه منه رئيسه في الوقت وبالكيفية المحددة، أو في معاملاته، فإذا جاءه من يطلب إنهاء أوراق ما وهو مسئول عن ذلك بحكم وظيفته أنجز مصالح الناس بالسرعة والإيجابية المطلوبتان لأنه يعرف أنها أمانة، وإنجازه مصالح الناس بسهولة ويسر هو من مكارم الأخلاق التي يمكن أن يتحلى بها الموظف المسئول في مكانه هذا .

وآيات القرآن الكريم فيها ما يحث على أن يهمّ الإنسان لإنجاز ما عليه دون تأخر، فحينما يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾- سورة الجمعة، فإنها دعوة لترك ما يشغلنا، وأن نهمّ لننجز صلاة الجمعة، وحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حينما سأله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود قائلاً: «سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: **الصَّلاةُ علَى وقْتِها**، قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: **ثُمَّ برُّ الوالِدَيْنِ** قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: **الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ** قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزادَنِي »، وفي هذا خير دليل على أن صاحب الهمة المنجز لصلاته هو صاحب خلق كريم يأتي بأحب الأعمال إلى الله تعالى .

ومن هنا جاء قول الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾- سورة الانشقاق ٦، يبين أن كل إنسان كادح، والأصل أن يكون كذلك عاملاً صاحب كدح، وسيلاقي جزاءه بحسب نوع كدحه يوم القيامة، وبقدر كدحه وتعبه بقدر ما سيكون مُنجزاً، فلا يكدح ويجتهد إلا مَن خلقه الإنجاز .

وبقدر حرص الإنسان على الإنجاز والعمل تكون منزلته في الدنيا والآخرة . ففي قول الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾- سورة الإسراء، نقف عند قوله﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا ﴾؛ فالناس متفاوتون في حب الإنجاز والسعي والإنجاز وطبيعته ونيته .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم قوله لرجلٍ وهو يَعِظُه: «**اغتنِمْ خمسًا قبل خمسٍ: شبابَك قبل هرَمِك، وصِحَّتَك قبل سقَمِك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شُغلِك، وحياتَك قبل موتِك**» ، وكلها مراحل من الإنجاز يمر بها الإنسان .

وقد وقفتُ على مجموعة من الآيات في الكتاب المقدس تتحدث عن ذات الموضوع، أذكر منها:

«كُنَّا نَشْـتَغِلُ بِتَعَبٍ وَكَدٍّ لَيْـلًا وَنَهَارًا، لِكَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي ٣: ٨)

«فَإِنَّكُـمْ تَذْكُـرُونَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ تَعَبَنَا وَكَدَّنَـا، إِذْ كُنَّا نَكْرِزُ لَكُـمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ، وَنَحْنُ عَامِلُـونَ لَيْلًا وَنَهَارًا كَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ» (رسالة بولس الرسـول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٢: ٩)

«تَشَـدَّدْ وَتَشَجَّعْ وَاعْمَلْ. لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ إِلهِي مَعَكَ. لاَ يَخْذُلُكَ وَلاَ يَتْرُكُكَ حَتَّى تُكَمِّلَ كُلَّ عَمَلِ خِدْمَةِ بَيْتِ الرَّبِّ» (سفر أخبار الأيام الأول ٢٨: ٢٠)

«كُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ إِلهُ السَّـمَاءِ فَلْيُعْمَلْ بِاجْتِهَادٍ لِبَيْتِ إِلهِ السَّمَاءِ» (سفر عزرا ٧: ٢٣)
«فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ، فِي أَسْـهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ، فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١١: ٢٧)

إن مـن أخطـر الأمراض على مجتمعنا أن يتربى النشء على عدم الإنجاز، وعدم العمل، وأن يكون شـغلهم الشـاغل: متى تـأتي الإجازات للنـوم والراحة بدون أي إنجازات ؟! .

ولـذا، يتعـين – من وجهـة نظـري – أن تكون دراسـة الإنجاز جزءًا مـن معايير التخرج في مدارسنا وجامعاتنا، لكي يتعلم الطالب كيف يكون مُنجزاً، وكيف يُنظم حياته، فأمةٌ تسـعى للرُّقي والتقدم لابد أن ينشـأ أبناؤها وقـد تعلموا مثل هذا العلم والخُلق الكريم .

٣٥- خُلُق الإِنْذار

الإنذار أي التَّنْبِيه، والإنذار هو خُلُق من الأخلاق الكريمة التي أُرسل بها سيدنا محمد – صلي الله عليه وسلم –، وهو منهج ربَّاني، أراد الله أن نتعلمه، ولهذا فإنه ليس بالخُلُق الاختياري، وإنما هو خُلُق إجباري، فمنهج الله تعالى إنذار الناس ،حتي يَعلَموا الحلال من الحرام، ويعلموا ما يُرضي الله وما لا يُرضيه، قبل يوم الحساب، حتي أن القُرْآن الكريم ذكرها صراحةً في وصفه لسيدنا محمد–صلي الله عليه وسلم– في قولة تعالي: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ١١٩ ﴾ – سُورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ٢ ﴾ – سُورة هود، بل إن الله تعالى أخبرنا أن كل الرُّسل أرسلهم بغرض الإنذار، فيقول تعالي: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ٥٦ ﴾ – سُورة الكهف، فالإنذار ركن أساسي من أركان الرسالات السماوية، يقول تعالي: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٧٠ ﴾ – سُورة يس .

ولقد توافقت آيات عدة من الكتاب المقدس على خلق الإنذار، أذكر منها: «وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلاَ تَرْتِيبٍ. شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ. أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ.

تَأْتُوا عَلَى الْجَمِيعِ» (تسالونيكي الاولي ٥: ١٤)، وكذلك:**«وَلكِنْ لاَ تَحْسِبُوهُ كَعَدُوٍّ، بَلْ أَنْذِرُوهُ كَأَخٍ»** (تسالونيكي الثانية ٣: ١٥)، وكذلك: **«هذِهِ أَكْتُبُهَا الآنَ إِلَيْكُمْ رِسَالَةً ثَانِيَةً أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، فِيهِمَا أُنْهِضُ بِالتَّذْكِرَةِ ذِهْنَكُمُ النَّقِيَّ»** (بطرس الثانية ٣: ١) .

والسؤال الآن: هل الإنـذار خُلُق ؟! نعم، لأنه مَبْدأ مُهـمٌ في المعاملات، فلا يُقام الامتحان أو الاختبار أو الحساب إلا بعد أن تُنذر الناس، أي أن المتخَلِّق بهذا الخُلُق يفهـم أنه يتعين عليه أن يُنذر مَن سيتخذ ضده إجراء، ربما استجاب، فوجب عليه عـدم القيـام بهذا الإجـراء، كأن ينذر الأبُ ابنـه: أنه إذا قام بفعل مُعـين مرة أخري، سيَمنع عنه مصروفه الشهري، وذلك لإمهال الطرف الآخر فرصة العودة والالتزام .

فالإنذار ليس سلوكاً هجومياً، وإنما هو مَسلكٌ فيه كل أنوع الإمهال، أي إعطاء الفُرص للغير، لأنْ يستجيب، ويستلزم أن نُبَيِّن له صراحةً: ما هو المطلوب ؟! حتي يكون على نور، أي يكون الأمرُ واضحاً لا لبس فيه .

هذا الخُلُق لو تمسَّكنا به لتجنبنا كثيراً من الأزمات والمشاكل في حياتنا، فالرجُل – مثلاً – مع زوجته، يغضب، ويثور، ويُطلِّقها، مُدمراً أُسْرةً وأطفالاً، وكان الأوْلى – وفقاً لهذا الخُلُق – أن يتحدث معها، ويُفهمها، ويُمهلها، ويُنذرها، حتي يحاول تجنبَ، ذلك الطَّلاق، فربما ينجح .

أمثلة كثيرة في حياتنا، نقطع العلاقات، ونخاصم بعضنا البعض، ولا نتكلم، ولا نُفهم، ولا نُنذر قبل الفراق . حتي في مجال العمل يتعين الكتابة والإنذار قبل اتخاذ أي إجراءات من شأنها تفاقم الأمور أو التحكيم، أو ما شابه .

تعالـوا – بعد أن فهمنـا أن الإنذار هو منهج القُـرْآن والإنجيل، وأن هذا هو دور الرسل عليهم السلام جميعاً – أن نتعلم ألا نتخذ إجراءً حاسماً إلا بعد إنذار، ويكون الإنذارُ خُلُقَنا، نَحرص عليه، ونتواصى به فيما بيننا، ونُعلِّمه لأبنائنا .

ومـن زاويـة آخرى، فـإن النهي عن المنكـر هو نوع مـن الإنـذار، أو التنبيه، وفيه اسـتكمال لمنهج الرسل – عليهم الصلاة والسلام – في إنذار الناس أنَّ ما قد يفعلونه إنـما هـو مُنكر يـؤدي بهم إلى النـار، وننذرهـم بالحسـنى وبأعقل الكلـمات ليتوقفوا ويفعلوا ما يُحِبه الله ورسوله .

خُلُق نبيل كريم لا يقوم به إلا مَن يُحِب الخير للناس .

٣٦- خُلُق الإِنْصَات والاسْتِماع

خُلُـق الصمت مـن مكارم الأخلاق، وقد أمرنا الله تعالى أن نَسـتمع ونُنصت، جاء ذلك وهو يطلب – سبحانه وتعالى – منا الاستماع والإنصات إلى قراءة القُرْآن الكريم، فقـال تعـالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾– سـورة الأعراف .

وهـو خُلُق يُؤدِّبنا الله تعالى به، ويَدعونا إليه، أن نَسـتمع ونُنصت، لنتمعن ونفهم مـا يقال مِن حولنا، فنتفهَّم أكثـر، ونبني من المعلومات ما يمكننا أن نتحرك به تحركاً مدروساً نحو الأفضل .

وخُلُـق الإنصـات والاسـتماع هو خُلُـق الكبير الذي لا تَسـتهويه كثـرة الكلام، يثـق في نفسـه، ويـرى أنه لا يحتاج لاسـتعراض عضلاتـه بكثرة الكلام، فهـو وقورٌ، يُحسِـن الاستماع، وحُسْـن الاستماع – كما سبق، وقُلْت – مِن أدوات حُسْن استقبال المعلومـات وتحليلها وتفنيدها، ولهذا فإن قليلَ الكلام كثيرُ الاسـتماع قليلاً ما يُخطِئ، وكثـيرَ الكلام قليل الاسـتماع كثـيراً ما يُخطِئ، ولهـذا نجد القاضي عـلى منصته قليل الـكلام، لأنه يُفنِّد ويُحلِّل ويَبحث عن الحقيقة، فيُسعده الإنصات والاسـتماع، لكي يتحـدث الجميع – ادعـاءً ودفاعـاً – بينـما هـو يُفنِّد ما سـمعه وصـولاً إلى الحقيقة، وإصدار حُكْمِه على النحو الذي يرُضيه .

وكثرة الكلام فيها كثرة الأخطاء، ويقول عنها النبي - صلى الله عليه وسلم - لسيدنا مُعاذ بن جبل: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه: قُلْت: بلى يا رسولَ الله قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبَرك بملاك ذلك كله، قُلْت: بلى يا رسولَ الله، قال: فأخذ بلسانه، قال: كُفَّ عليكَ هذا. فقُلتُ: يا نبيَّ اللهَّ، وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: ثَكِلَتك أمُّكَ يا معاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهم أو على مَناخرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم»، كذلك، ونحن في الإحرام للحج أو العمرة، نجد أن الله تعالى قد نهى عن ثلاث، الرفث والفسوق والجدال، قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾- سُورة البقرة ١٩٧، والجدال: هو كثرة الكلام في المخاصمة والمنازعة والنقاش بغير حق، فلا يجوز للمُحرِم للحج أو العمرة أن يُجادل بغير حَقّ، وفي هذا يعلمنا الله تعالى، أن الخيرة في الصمت، وفي الهدوء والاستماع وقِلة الكلام، وإذا تحدثنا فيكون كلامُنا بَنَّاءًا، يضيف للموضوع، وليس الكلام لمجرد الكلام.

آيات عديدة في الكتاب المقدس أكدت ذات المعنى، أذكر منها: «لَيْتَكُمْ تَصْمُتُونَ صَمْتًا. يَكُونُ ذلِكَ لَكُمْ حِكْمَةً» (سفر أيوب ١٣ : ٥)، وكذا «رُبَّ صامتٌ عن فطنة» (سفر يشوع بن سيراخ ١٩ : ٢٨)، وكذلك: «ذُو الْفَهْمِ فَيَسْكُتُ» (سفر الأمثال ١١ : ١٢)، وكذلك الآية : «كَثْرَةُ الْكَلاَمِ لاَ تَخْلُو مِنْ مَعْصِيَةٍ، أَمَّا الضَّابِطُ شَفَتَيْهِ فَعَاقِلٌ» (سفر الأمثال ١٠ : ١٩)، وكذلك: «كُنْ سَرِيعًا فِي الاِسْتِمَاعِ، وَكَثِيرَ التَّأَنِّي فِي إِحَارَةِ الْجَوَابِ» (سفر يشوع بن سيراخ ٥ : ١٣).

وفضلُ القول الحَسَن كبير، جاءت به آيات كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾- سُورة البقرة ٨٣، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ

أَحۡسَنُۚ﴾ - سُـورة الإسراء ٥٣، في إشـارة من الله تعالى إلى القول الحَسَـن، أن نقول قـولاً حسـناً، أو لنصمت، وفي هذا يقـول النبي - صلى الله عليه وسـلم -: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيْرًا، أو لِيَصْمُتْ».

فلنُعَلِّم أنفسنا ومَن حولنا فضلَ الصَّمت والاستماع وقلة الكلام، والمداخلات إلا فيما يُضيف ويَنفع، فبكثرة الكلام يقع الناس في الغيبة والنميمة، وما شابههما، وإنما قلـة الـكلام هي فضيلة يتحلى بها المرء، كما تقول الحكمـة :» إذا كان الكلام من فِضة فإن السكوت من ذهب» .

فلنعـرف أن حُسْـن الاسـتماع، وقلـة الـكلام إلا بالقول الحَسـن، هـو خُلُقٌ نحن مدعوُّون أن نكون عليه، وعلى كل منا أن يجتهد ليُحسِّن من خُلُقه هذا، لعل الله تعالى يرانا، فتكون في ميزان حسناتنا .

وفي حياتنا المتطورة - الآن - من وسائل التواصل الاجتماعي، قد لا يكون الكلام والاستماع بالصورة (البيولوجية) المعروفة، إنما قد يكون عَبْر ما نُرسـله ونَتلقاه على (الواتس آب)، أو (الفيس بوك)، أو ما شابه، وأتعجَّبُ من الناس التي تُرسل رسائل لم تتأكد من صحتها، أو ربما ليس من اللائق إرسالها، أو (تشييرها)، على حسب ما نقـول، أكيد مَن يتلقى ولا يُرسـل هو في وضع أفضـل، إذا أخذنا بهذا الخُلُق كمنهج فيرسـل كلٌّ مِنَّا ما يُحِب أن يقوله أو يعنيه، ولا يرسـل الرسـائل لمجرد الثرثرة التي لا معنى لها لمجرد التواصل .

آليـات التواصل الاجتماعي مثـل أي شيء، يمكن أن نُشغِّلها بالطريقة الحميدة، ونَخدم بها أنفسـنا ومَن حولنا، ونتواصى بالحق، وكذلك يمكن أن تُسـتخدم كعدَّاد ذنوب يُسيء إلينا نتيجة عدم تحكمنا في أنفسنا ونحن نتعامل من خلالها .

الاستماع والإنصات مُقَدَّمٌ على كثرة الكلام، وهذا هو الخُلُق الكريم .

وإذا كان النبي – عليه الصلاة والسلام – قد جاء ليعلمنا مكارم الأخلاق، فالأحرى بنا ألا نترك مثل هذا الخلق للصدفة، ونحن نربي أطفالنا، بل هو أمر لابد أن نعلمه لأولادنا، ونتحدث فيه كثيراً معهم، ونكون قدوة لهم، نرشدهم ونصحح لهم ليفوزوا بهذا الخلق الكريم .

٣٧- خُلُق الإيثار

وَصَفَ الله تعالى المؤمنين بأنهم قومٌ يُحِبون أن يروا الخير في أيدي مَن حولهم، حتي قَبْلَهـم هُم، في قوله تعـالي: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾- سُـورة الحَـشْر، وهذا الخُلُق هو خُلُق الإيثار، وصاحبه إنسان ليس أنانياً أو جشعاً، بل هو يُقدِّم الخير للناس، ولو على حسـاب نفسـه، أي لو حَرَم نفسه مما معه ليعطيه لغيره، فهو يُحِب أن يري النِّعم والخير، على مَن حوله، فيُسعده أن يحرم نفسه، ويُعطي الآخرين .

ومـن الكتـاب المقدس أذكر: «**وَادِّيـنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّـةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ**» (رومية ١٢: ١٠)، وكذلك: «**الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِـدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا**» (كورنثوس الأولى ١٣: ٤– ٧)، وكذلك الآية: «**لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِـهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٢: ٤) .

والإيثـار درجات تصل بصاحبـه إلي مرحلة البِّر حينما يُعطي ممـا يُحِب، فيكون ما يُعطيـه لغيره محبَّباً إلى قلبه، ومع ذلـك يُفضِّل أنْ يعطيه لصاحبه، وفي هذا قمة الإيثار أو التفضيل.

وأمثلـة الإيثـار كثيرة، فقد نجدها في مجال الرياضـة – مثلاً – في كرة القدم، حينما يتقـدم لاعب بكـرة القدم، فيكون هو وحـارس المرمى، فيمرر الكـرة لزميله ليحرز الهدف الذي ربما لو كان أحرزه بنفسه لحقَّق لقب أفضل هدَّاف، فهذا اللاعب خُلُقه الإيثار .

أذكـر – مثـلاً آخـر – منذ سـنوات، كان يُمثِّل مـصرَ – في الأوليمبيـاد – لاعبُ الجودو (محمد رشـوان)، وفي النهائي كان يلعب عـلى الميدالية الذهبية، ولكنه لاحظ إصابـة خَصْمِـه في قدمه، وكان يسـتطيع أن يفوز عليه بسـهولة إذا ما ضربه في القدم المصابـة، ولكنـه آثر ألا يفعـل ذلك، لكي لا يـؤذي زميله، صحيح أنه فـاز بالميدالية الفِضِّية – وليسـت الذَّهبية – لإيثاره ذلك، لكنه أصبح يُعامَل كبطلٍ في كل المحافل الرياضية، ويُقَدَّم كنموذجٍ للإيثار، لأنه كان خلوقاً، وأعطى المثل في الإيثار .

علينا أن نسـأل أنفسـنا: هل فعلاً نُفضِّل غيرنا في مواقع من حياتنا، أم أننا نبحث دائـماً أن نأخـذ أيَّ شيء أولاً ؟ هـل تركـتَ وَجْبَة، كانـت بين يديك، لجائـعٍ لتؤثره عليك؟!

في أي طابـور – كَمَثَـلٍ آخـر – أمام شـبَّاك لإنجاز مصلحة – أو ما شـابه –، هل نُقدِّم غيرنا، الذي نلحظ أن الوقوف يؤذيه؟!، وهكذا .

إذا أردنـا أن نكون ممَّن وصفهم الله تعـالي في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، علينا ألا ننسى أن هذا خُلُق أُولي الفضل .

الإيثـار هـو خُلُق يتعين أن نُمارسـه يوميـاً في حياتنا، نُقـدم الغير علينـا، مِن قبيل التفضيل، وتقرباً إلي الله تعالى، فلا شكَّ أن هذا خُلُق نُثاب عليه، فلتَتْرُك مكان انتظار

السيارة الأقرب لجارك المُسن، واترك الصف الأول في الفصل لمن نظرُه أضعف، كُن ليِّنا بين الناس، وأعطِ القدوة في تصرفاتك . دعهم يتساءلون عن هذا المسلك والخُلُق، خُلُق الإيثار، وأعلِمْهُمْ أنك تعلمتَه من القُرْآن الكريم أو من الكتاب المقدس، وأنك تتقرب به إلى الله تعالى، فتحبب الناس في التخَلّق به .

كن قدوة لأولادك، ولمن حولك، فكيف ستطلب من أولادك أن يتخَلَّقوا بخُلُق الإيثار، وأنت تمارس ألوان الأنانية والجشع أمامهم ؟!، فتخَلَّق بالإيثار، واعلم أنك، في عدم ممارستك لهذا الخُلُق - فإنك لا تُؤذي نفسك فقط، إنما تؤذي مَن يقتدي بك مِن حولك .

إن أُمةً خُلُقها الإيثار، هي أُمةً يُحِبها الله تعالى، ويتفاخر بها، وهي أُمةً لابد أن ترتقي، لأن الإيثار يبعث على الاحترام المتبادَل، والحُبّ، والتعاون، وهذه هي بيئة التقدم والرُّقي .

٣٨- خُلق البِّر

البِّر لغوياً: هو الصدق، والصِّلة، والطاعة، وهو اسم جامع لكل أعمال الخير .

وعن البر تحدثت آيات عدة في الكتاب المقدس، أذكر منها: «**لاَ يَنْفَعُ الْغِنَى فِي يَوْمِ السَّخَطِ، أَمَّا الْبِرُّ فَيُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ ٥ بِرُّ الْكَامِلِ يُقَوِّمُ طَرِيقَهُ، أَمَّا الشِّرِّيرُ فَيَسْقُطُ بِشَرِّهِ. ٦ بِرُّ الْمُسْتَقِيمِينَ يُنَجِّيهِمْ، أَمَّا الْغَادِرُونَ فَيُؤْخَذُونَ بِفَسَادِهِمْ**» (سفر الأمثال ١١)، وكذلك: «**وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٥: ٢٢)، وكذلك الآية «**مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ١: ١١) .

وقد جاءت الآية الكريمة: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ - سورة البقرة، فمن كان خُلُقه البِرّ ، كان خُلُقه جامعاً لكل ما سَبَق .

ويُوضِّح الرسم البياني شرح الآية الكريمة السابقة:

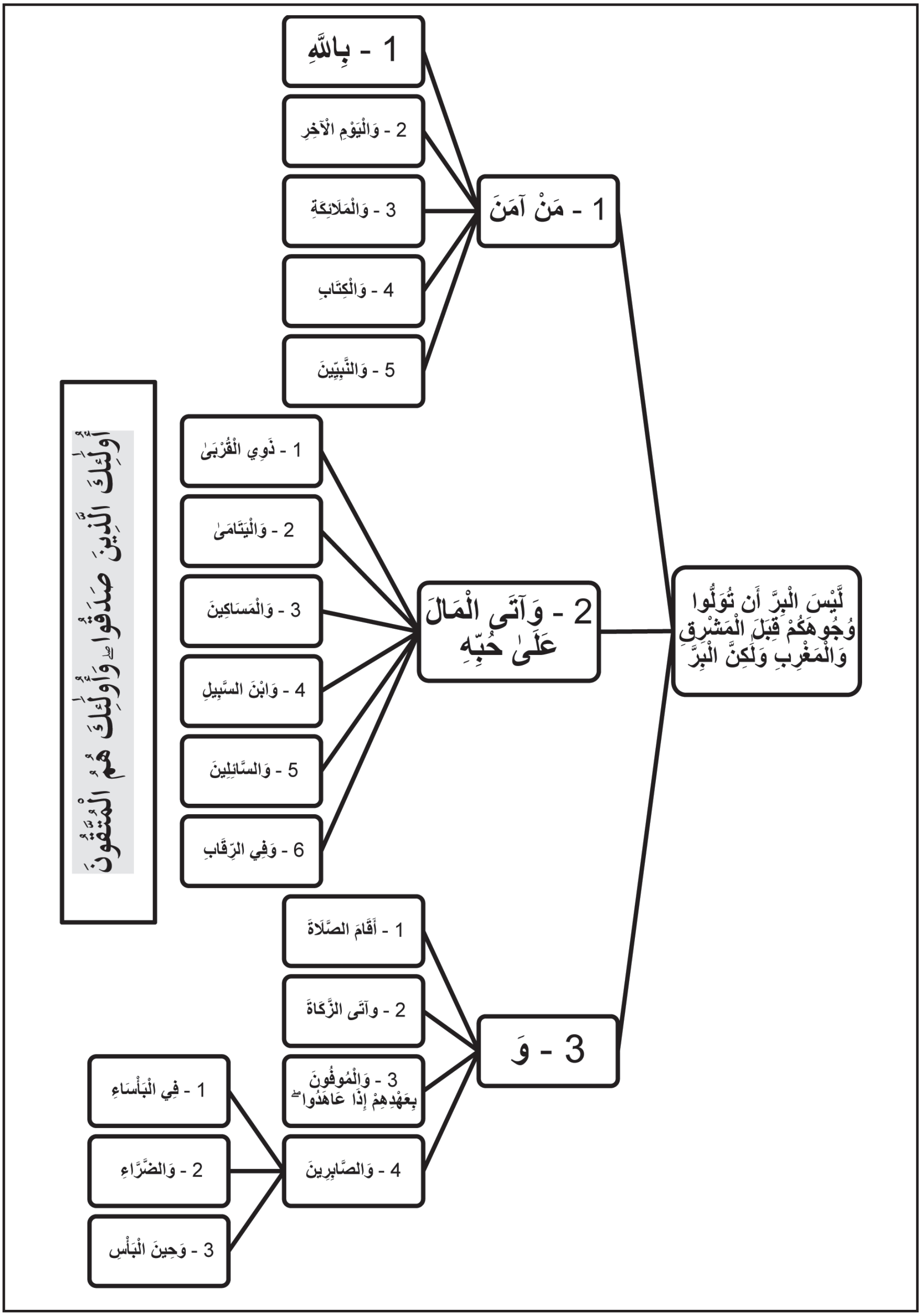
لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ
1 - مَنْ آمَنَ
1 - بِاللَّهِ
2 - وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
3 - وَالْمَلَائِكَةِ
4 - وَالْكِتَابِ
5 - وَالنَّبِيِّينَ
2 - وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ
1 - ذَوِي الْقُرْبَىٰ
2 - وَالْيَتَامَىٰ
3 - وَالْمَسَاكِينَ
4 - وَابْنَ السَّبِيلِ
5 - وَالسَّائِلِينَ
6 - وَفِي الرِّقَابِ
3 - وَ
1 - أَقَامَ الصَّلَاةَ
2 - وَآتَى الزَّكَاةَ
3 - وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
4 - وَالصَّابِرِينَ
1 - فِي الْبَأْسَاءِ
2 - وَالضَّرَّاءِ
3 - وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

وعـلى هذا، فخُلُـق البرّ من أكبر وأهمّ الأخلاق، لأن فيه معاني الإيمان، والإنفاق، والالتزام بالعبادات، والوفاء بالعهد، والصبر، وما أكرمها مِن أخلاقيات .

كذلـك يكون البرّ من الأبناء لأهلهم، فـبر الوالدين، كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾- سُورة الإسراء، إن بِرَّ الوالدين ألَّا نقول لهما (أُفٍّ ولا ننهرهمـا)، وأن نقـول لهما قولاً كريماً، وأن نخفض لهما جنـاح الذُّل رحمةً بهما، أي نكون في خدمتهما، ونكون شـديدي التواضع أمامهما، وأن ندعو لهما بالرحمة والمغفرة كما ربيانا ونحن صغار، ورعونا، وتكفَّلا بنا .

فالبـار هـو مَن يتذكـر كل ذلك، ويكـون الابن الوفي الـذي تُسعده خدمة أبويه ورعايتهـما، لا أن يتنصَّـل منهما، ويُسيء إليهما، بل وقد يضعهما في دار مُسنِّين، أو ما شابه، تخلصاً من المسئولية، وهذا أبعد ما يكون عن البرّ الذي نتحدث عنه .

ونيـل الـبرّ بشَّرنا به الله – سـبحانه وتعـالى – في قولـه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾- سُـورة آل عمران، أي أن الطريق إلى البرّ هو الإنفاق مما نُحب، وأن نُجْزِل العطاء . كذلك، فإن الطريق إلى البرّ يأتي من الصبر في جميع الأحوال، كما سبق أن أوضحنا .

خُلُـق الـبرّ، خُلُق كريم، فلنكُـن قدوة أمام أولادنا ونحـن نرعى أجدادهم، حتى يتعلَّمـوا منـا: كيف يكون الـبرّ ؟!، ولننفق ممَّا نحب حتى يعلـم أولادنا أن ذلك مِن أعظم ما يمكن للإنسان عمله، وأن نُعَلِّمهم الصبر في جميع الأحوال .

ألا تحبون أن يكون البِرّ خُلُقاً ؟! فلنعلمه ولنعمل به .

٣٩- خُلق بِرّ الوالدَيْن

أمرنـا الله تعـالى ورسـوله – صلى الله عليه وسـلم – ببر الوالدين، فهـذا خُلُق مَن يعـرف معنى الوفاء، مَن لديه حُب العطاء، مَن قلبُه قد مُلِئ بالرحمة والإنسـانية، مَن إذا أحسنت إليه أحسن إليك، هذا هو خُلُق بر الوالدين .

كلمـة (أُفّ) أي: أقـل أنواع الاعتراض ممنوعـة، فالطاعة الكاملـة مطلوبة دائماً، وببسـاطة إذا كان لديـك ابن صغير ، وأب كبير، فمعاملتـك لكل منهما تكون بذات العطف والحنان، والرغبة الحقيقة في الاعتناء به، وقد وردت آيات عدة في بر الوالدين منهـا قولـه تعـالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾– سُورة الإسراء، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ – سُورة لقمان .

وآيـات الكتاب المقـدس أكدت على هذا الخلق في مواضع عـدة، منها: «أكرم أباك وأمـك وأحب قريبك كنفسـك» (متـي ١٩:١٩)، وكذلـك: «أَكْرِمْ أَبَـاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لِكَيْ تَطُـولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الأَرْضِ» (التثنية ٥: ١٦)، وأيضـاً: «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُـوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ» (رسـالة بولس

الرسول إلى أهل أفسس ٦: ١)، كذلك: «**أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لأَنَّ هذَا مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣: ٢٠)، وفي «اسمع لأبيك الذي ولدك ولا تحتقر أمك إذا شاخت» (أمثال ٢٢:٢٣)، وقوله: «أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك» (خروج ١٢:٢٠) .

وإذا كان بِـرُّ الوالدين حال حياتهـما مفهوماً، فإن بِرَّهما بعد وفاتهما واجب – أيضاً –، ويكون بعدة أمور، على سبيل المثال:

الدعاء لهما، فالرسـول – عليه الصلاة والسـلام – يقـول:«**إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَعُ به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له**» .

الحج لهما إن لم يكونا قد حجَّا، وباستطاعتك – كذلك – سواء بنفسك، أو بإرسال مَن يحج عنهما .

عمل الخير باسـمهما، أي التصدق على الناس، وأن نُهدي الحَسَنَات لهما، ليكون في ميزان حسناتهما .

التواصل مع أقربائهما وأصدقائهما وإكرامهم .

أن تكـون كـما كانـا يتمنيان أن يشـاهداك في حياتهـما، وكلما حققتَ شـيئًا مما كانا يتمنيان أن يروه عليك، إهدِهِ لروحهما .

تحدث عنهما بصورة صحيحة مع أبنائك .

واظب على الدعاء لهما، خصوصاً في صلاتك .

زيارة قبرهما، والترحم عليهما .

هذه مجرد أمثلة، ولكن الابن البار خيرُهُ لأبويه لا ينقطع .

٤٠- خُلق التَّأسِّي

وأعنـي بهذا الخُلُق الاقتـداء بالنماذج المشرِّفة المضيئة، ولقـد طلب منا الله تعالى في كتابه الكريم أن نتأسى بالنماذج المضيئة من السابقين أي (نقتدي بهم ونعمل مثلهم)، أو نأخذ منهم مثلاً أعلى، ونتعلم الدروس المسـتفادة من الذين يمكن أن يكونوا مثلاً مشرفاً لنـا، ولننظر إلى الآية الكريمة، في قوله تعـالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ .... لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ - سُـورة الممتحنـة، هنا يعلمنا الله تعالى أن نقتدي بالأنبياء الصالحين، والذين سبقونا بالإيمان .

في هـذا الخلق وردت فيه آيات عديدة في الكتـاب المقدس، أعرض هنا منها، على سـبيل المثال،: «**كُنْ قُـدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ**» (رسـالة بولس الرسـول الأولى إلى تيموثاوس ٤ : ١٢)، و «**صِرْتُمْ قُدْوَةً لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ١ : ٧)، وكذلك: «**نُعْطِيَكُـمْ أَنْفُسَـنَا قُدْوَةً حَتَّى تَتَمَثَّلُوا بِنَا**» (رسـالة بولس الرسـول

الثانية إلى أهل تسالونيكي ٣: ٩)، وأيضاً: «مُقَدِّمًا نَفْسَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ قُدْوَةً لِلأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، وَمُقَدِّمًا فِي التَّعْلِيمِ نَقَاوَةً، وَوَقَارًا، وَإِخْلاَصًا» (رسالة بولس الرسول إلى تيطس ٢: ٧)، وكذلك: «لاَ يَسْتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ» (تيموثاوس الاولى ٤ / ١٢)، وكذلك الآية: «انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ» (رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١٣: ٧).

وفي أيامنا هذه، التأسي أو الاقتداء بالغير له عدة زوايا، أولها: أن يُقدم المجتمع القدوة للناس، وأن يُسلط الضوء على النماذج المضيئة، وفي هذا أشعر بقصور إعلامي كبير في تقديم هذه النماذج المشرِّفة للناس، وكأنها غير موجودة، على عكس الواقع، فإن في كل مجال هناك من هُم - في حقيقة الأمر - مَثَلٌ يُحتذى به، ويمكن للأجيال الصاعدة أن تقتدي بهم، ولعل ذلك يجعل الشباب يبحثون عن نماذج عالمية، فتكون المسافة بعيدة لا تعطي أملاً ملموساً في اللحاق بهم .

ومن زاوية أخرى، يتعين علي الشباب أن يبحثوا عن القدوة التي يمكن أن تأخذهم إلى الطريق الصحيح، وإلى مكارم الأخلاق، فالمعروض - مِن حولهم في المجتمع - نماذج منها مَن يصلح قدوة، ومَن لا يصلح، وهذا الخُلُق يُعلمهم أن يختاروا بعد تمحيص (دراسة وبحث) ليعرفوا مَن - الذي باتباعه - يجعلهم في اتجاه مكارم الأخلاق، ومَن بالاقتداء به يُبعدهم عن الطريق الصواب .

ومن زاوية ثالثة، الحكومات يتعين عليها أن تكون قدوة للناس في الالتزام بالقانون، وفي الوفاء بالعقود، لكي تقوم بدورها التنويري نحو بِنَاء مجتمعٍ يتأسى بما يراه أمامه .

المـدرس في مدرسـته، لابـد أن يعلم أنـه قدوة لتلاميـذه، فلابد أن يُقَـدِّم نموذجاً يُحتذَي به، وكذلك كابتن الفريق هو نموذج الالتزام للفريق، لابد أن يكون القدوة .

ومن زاوية رابعة، الأب والأم، هما نماذج حَيَّة أمام أبنائهما، يتعلمون منهما الكلمة والحركة والتصرفات، فلينتبه كلٌّ منهما إلى تصرفاته، فهي مراقَبَة، يتم تقليدها .

ومـن زاوية خامسـة، كـن أنت قـدوة لمن حولـك، تأمرهـم بالخـير، وتبتعد عن السيِّيء، فيحاولون اتِّباعك، وفي هذا ثواب كبير .

وعـلى هذا فـإن هـذا الخُلُق يفـرض علينا أن نكـون قدوة للغـير بالتزامنـا، ونُبل أخلاقنـا، وكذلك أن نحتذي بالنماذج المضيئة التي يمكن أن تُضيف لنا، وتأخذنا إلى مراتب أعلى من مكارم الأخلاق .

٤١- خُلق التَّأنِّي

وهو خُلُق الرَّوِيَّة والبُعد عن التسرع والعَجَلَة، وهو من مكارم الأخلاق التي أوصانا بها نَبِيّنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في حديثه الشريف، حيث قال: «**التأنِّي من الله والعجلةُ من الشيطان**»، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «**يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ**»، وقد جاءت آيات القُرْآن الكريم صريحة في أمر هذا الخُلُق، فيقول تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ - سُورة القيامة، ويقول تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ - سُورة طه، كلها آيات تحثُّنا على التأني، وعدم التعجل أو التسرع .

إلى ذلك ذهبت آيات الكتاب المقدس، أذكر منها: «**بَلْ كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا**» (تسالونيكي الأولى ٢ : ٧)، وأيضاً: «**وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًا بِالْجَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ**» (تيموثاوس الثانية ٢ : ٢٤)، وكذلك: «**الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣ : ٤ - ٧)

أتذكر - وأنا صغير - كانوا يعلموننا: إذا أساء أحدٌ إلينا، أنْ نَعدَّ من ١ إلي ١٠ قبل أن نَـرُّد عليه، لكي نَتأنى، ونُفكـر في الرد، أو نتخذ قراراً، حتي لا يكون قرارنا انفعالياً، وغير محسوب، ورد فِعلٍ لإساءة، فيكون قد جرَّنا إلي الخطأ جَرَّاً، في حين أنه من الواجب ألا يدفعنا أحدٌ إلي شيء لا نريده .

فالتـأني خُلُق يحمي صاحبه مـن الانزلاق في الخطأ، بل قد يحمي حياته، وحياة مَن معه، كالذي يتأنَّى في قيادة سيارته فلا يسرع بها .

صاحب خُلُق التأني غالباً ما تكون قرارته أصوب، لأنه لم يتخذ قراره على عَجَل، ودون تمحيـص، بـل إن التأني أعطاه وقتاً لكي يُقَلِّـب الأمور على وجوهها المختلفة، ويستقر على رأي يراه صواباً، من وجهة نظره .

حالات طلاق، وخراب لبيوت، وتشـتيت لملايين الأطفال، تحدث بسـبب غياب خُلُـق التأني، فكلمـة الطَّلاق يقولها صاحبهـا بكل تسرع، وربما لو تأنى لهدأ نفسـياً، ولراجـع نفسـه وعدل عن قـراره هذا، والثمن يكـون غالياً، وتفـادي ذلك أمر ليس صعبـاً، ولكنـه يحتاج منَّا أن تكون لدينا الرغبة في القـرب من الله تعالى، بالتخلق بهذا الخُلُـق، الذي هـو وقاية لنا، ولأهلنـا ولمصالحنا، وربما لأوطاننا، لمجـرد أننا نفعل ما نريد أن نفعله، وقد اتخذنا القرار عن هدوء وَرَوِيَّة، وبَعْد تقليب الأمور على وجوهها المختلفة، واقتناعنا بما نفعل .

فلنربِّي أولادنا على ذلك، ونُعلمهم هذا الخُلُق، ولنراجع أنفسنا . ونحاول أن نعدَّ من ١ إلي ١٠ قبل الرَّد على أيّ أحد . لا تأخذوا قراراً حاسماً إلا وأنتم هادئون نفسياً، غير متسرعين .

٤٢- خُلق التَّبَسُّم

التَّبَسُّم هنا - بالطبع - هو تبسم الوجه والأسارير في معاملاتنا مع مَن حولنا، وعكسه عبوس الوجه، أو كما نقول في اللهجة العامية (تكشير الوجه).

لقد حثنا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن نبتسم في وجه الناس، فقال صلى الله عليه وسلم: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ** »، وقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق**»، وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ - سورة عبس، وصف الله تعالى وجوه أهل الجنة بالضاحكة والمستبشرة .

هذا خُلُق نراه في مجتمعات ربما تكون بعيدة عن الديانات السماوية، لكنهم أدركوا أن إفشاء السلام، والتبسم فيه ما فيه مِن إذابة المشاكل بين الناس، وحُسن استقبال بعضهم البعض، هو أساس تُبْنَى عليه علاقات متنوِّعة بصورة إيجابية وليست تنافرية (سلبية) .

والعجيب أن تكون مجرد الابتسامة صَدَقَة لمن لا يستطيع أن يتصدق بالمال، وهذا تبيان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفضل هذا الخُلُق، وجمال مردوده على العلاقات الإنسانية بين الناس .

هكـذا يكون اللقاء، وهكذا يكـون المرور بالناس، وهكذا يكون التبسُّـم في وجه الناس، حتى إن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ – سُورة النساء .

وأذكـر – هنا – مـن الكتاب المقـدس: «حِينَئِذٍ امْتَلأَتْ أَفْوَاهُنَا ضِحْكًا، وَأَلْسِـنَتُنَا تَرَنُّمًا. حِينَئِذٍ قَالُوا بَيْنَ الأُمَمِ: إِنَّ الرَّبَّ قَدْ عَظَّمَ الْعَمَلَ مَعَ هؤُلاَءِ» (سفر المزامير ١٢٦ : ٢)، وكذلك: «وَبِهذَا عَيْنِهِ كُونُوا أَنْتُمْ مَسْرُورِينَ أَيْضًا وَافْرَحُوا مَعِي» (رسالة بولس الرسـول إلى أهل فيلبي ٢ : ١٨)، وكذلك الآية : «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا» (رسـالة بولس الرسـول إلى أهل فيلبي ٤ : ٤)، وكذلك: «افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ» (٣ تسالونيكي ٥ : ١٦)، وكذلك: «اَلْقَلْبُ الْفَرْحَانُ يَجْعَلُ الْوَجْهَ طَلِقًا، وَبِحُزْنِ الْقَلْبِ تَنْسَحِقُ الرُّوحُ» (سفر الأمثال ١٥ : ١٣) .

فلنُعلِّم أنفسـنا وأولادنا حُسـن التحية، والتبسـم في وجه الغير، وحُسـن استقبال النـاس، فهـذا خُلُـق عظيم يُثاب عليـه المرء كثيـراً، و يَزيد من رصيـد صدقاته بأقل مجهود، وهو بابٌ من أبواب الحَسَنَات، فتبسَّموا في وجه من حولكم .

٤٣- خُلق التّبْشِير

أرسـل الله – سـبحانه وتعالى – الرسـل مبشرين ومنذرين :فقـال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ – سُـورة البقـرة ١١٩، ولقـد أمـر الله تعـالى عباده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والتبشير صورة من صور التحفيز على فِعْل الخير، وكذلك قد يكون صورة من صور التحذيـر مـن فِعْل المنكرات، فهناك تبشـير مُحَفِّـز كما في قوله تعـالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ – سُـورة الإسراء ٩، كذلـك أمرنـا الله تعالى في ممارسـتنا للنهي عن المنكـر، أن نُبَشِّر مَن يخالـف تعاليـم الله بعقاب الله وعذابـه، وأن نُبين لهم أن فعلهم هذا يـؤدي بهم إلى النار، كقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ – سُورة النساء ١٣٨ .

ومـن الكتاب المقدس، أذكر: «مَا أَجْمَلَ أَقْدَامَ الْمُبَشِّـرِينَ بِالسَّـلاَمِ، الْمُبَشِّـرِينَ بِالْخَيْرَاتِ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٠: ١٥) .

وعلى هذا فالإنسـان صاحب هذا الخُلُق هو إنسـان مؤمن بالله، مُخلص لمن حوله، يُبـشِّر مَـن يمـشي في الطريق الصحيـح بالجَنَّـة، والعكس صحيح من بـاب التواصي بالحق .

هـذا الخُلُـق - أيضـاً - ينـصرف إلى معاملتنا، فيُبَـشَّر الطالب المجتهـد بالنجاح، واللاعـب المواظب عـلى تمارينه بالبطـولات، والعامل المجتهد بالترقـي والمكافأت، وعكس ذلك يُبَشَّر الطالب الذي يُهمل دراسـته بأن مصيره الرسـوب، والعامل غير المنضبط يُبَشَّر بأن مصيره الفصل من عمله، وهكذا .

فصاحب هذا الخُلُق يُحِب أن يُحفِّز الناس على الخير، لأنه يُحِب الخير لهم، وكذلك يجب أن يُحذر الناس من الشر لأنه - أيضاً - يُحِب الخير لهم، فهو إنسان أحب للناس ما أحبه لنفسه، وهذا خُلُق كريم - حقاً - من مكارم الأخلاق .

٤٤- خُلُق التَّبيُّن

وأعني – هنا – بهذا الخُلُق أن يتحقق الإنسان برَوِيَّةٍ واتزانٍ وعقلانية، مِن كل ما يسمع أو يقال له قبل أن يُقرر ماذا سيفعل، فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾- سُورة الحُجُرات ٦، وعلى هذا فالأصل هو التَّبين، وألا نسير وراء آراء مُضلِّلة، أو ادعاءات لا تقف على قدمين (أي: غير ثابتة)، فالخُلُق المطلوب هنا هو ألا نظلم أنفسنا، وألا نظلم غيرنا بالتسرع في الحُكم دون أن نتبين وجه الحقيقة، فربما تغير حُكمنا إلى اتجاه آخر .

ينصرف ذلك – أيضاً – إلى حياتنا اليومية، فيجب علينا أن نتبين الحلال من الحرام، الخطأ من الصواب، الرُّشد من السَّفه، فقبل أن نُقدِم على فِعل شيء علينا أن نسأل أنفسنا: هل تبينَّا: إنْ كان هذا الشيء يسيء إلينا ؟ أم يضيف إلينا ؟ .

هذه أسئلة يتعين علينا أن نضعها أمامنا، فهي ميزاننا الذي نمشي به في حياتنا، إذا كنا نريد أن تكون أخلاقنا ترضي الله تعالى ورسوله، وأن تكون أفعالنا فيها إضافة لنا في دنيانا أو أُخرانا، وليست خاصمة من رصيدنا .

من الكتاب المقدس أذكر: «وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!» ٨ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى

الأَرْضِ. ٩وَأَمَّـــا هُمْ فَلَمَّا سَــمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُــمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّــيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُــوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسْــطِ. ١٠فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَاامْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْــتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» (يوحنا ٨: ٧ – ١٠)، وكذلك الآية : «لاَ تَذُمَّ قَبْلَ أَنْ تَفْحَصَ. تَفْهَّمْ أَوَّلاَ ثُمَّ وَبِّخْ» (سفر يشوع بن سيراخ ١١: ٧) .

والتبين يحتاج إلى تدريب وتأهيل ومعرفة، فعلينا أن نبدأ في تربية صغارنا، بأن نعطي لهم صلاحية القرار، ولكن يكون دورنا الإرشاد بمساعدتهم علي تبين الخطأ والصواب، ثم نترك لهم الخَيَار، لكي يتدربوا على اتخاذ القرار، فإن أحسنوا شجَّعناهم، وإن لم يحسنوا نصناحهم .

يجب أن نَعْلَم أن صغارنا لن يعيشوا للأبد في كنفنا، وإنما سينطلقون في حياتهم، ويختلطون مع هذا وذاك، وبقدر ما نُعَرِّفُهم الحلال من الحرام، والفِعل الكريم من الفِعل غير الكريم، وتحليل ما يسمعونه من الآخرين، والتبين والتثبت كمنهجٍ، بقدر ما سيكونون قادرين على النجاح في حياتهم، واجتياز ما سيقابلونه من اختبارات ومصاعب .

والتبين – كذلك – يُباعد بيننا وبين الظُّلم، فإن الأخذ بالظاهر، وعدم التحقق فيه ظُلمٌ واضح، وقد نهانا الله تعالى عن الظلم، فيقول تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾– سُورة غافر ٣١، وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ – سُورة فُصِّلَت ٤٦، ويقول تعالى في الحديث القدسي : «يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي وجعلتُه بينَكم محرَّمًا فلا تَظالموا» .

وعلى هذا، فخُلُق التبين خُلُق قويم، يُنتج شخصية تعرف حدودها، ولا تتخطى ما لا يجب أن تتخطاه، وتحترم حدود الله تعالى، وحدود الأخلاق، وما يقبله المجتمع، لأن في التبين مراجعة للنفس، فهو من جميع الزوايا خُلُق إيجابي، يدعم، ويساعد صاحبه على أن يكون شخصية يحترمها الجميع، ويرضى عنها الله تعالى .

فلنضع هذا الخُلُق في مقدمة مناهجنا الدراسية، وبرامجنا الإعلامية، وخطابنا الديني، ولنُدرِّب أنفسنا عليه من الآن، فتكون خطواتنا لما يُرضي الله تعالى ورسوله، ولما يُضيف إلى أخلاقنا وتصرفاتنا .

والتَّحقُّق أعطى الله تعالى صورة من صوره، لكي يبين لنا أنه ليس أمراً يسيراً، وإنما يحتاج إلى جهد وتمحيص وبحْث، لكي نصل إلى اليقين قبل أن نحكم على أحد، حيث أمرنا الله تعالى أن نأتي بأربعة شهود في شأن الزانية والزاني، لكي نقيم حُجة الزنا، فقال تعالى: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ – سورة النور، فهنا لم يكتفِ الله تعالى بشاهد أو اثنين أو ثلاثة، وإنما اشترط أربعة شهود لخطورة الاتهام، وطلب شروطاً معينة في الشهادة من القائم عليها، وبم يشهد ؟ حتى يصل مَن لديه سُلطة الحُكم إلى مرحلة اليقين .

فالتبين – والذي نعني به التحقق في الحُكم على الناس – أُمرنا عبر الآية السابقة وغيرها، ألا نتسرع في الحُكم على أحد إلا إذا كان هناك يقين واستقرار في الوجدان أن هناك جُرم وخطأ قد وقع، حتى النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: « ادرؤوا الحدود بالشبهات» .

وتواترت أحكام محكمة النقض تأكيداً لهذا المبدأ، (التَّبيُّن والتَّحقُّق)، فجاء المبدأ القضائي «براءة ألف مذنب خيرٌ من إدانة بريء واحد» .

وإذا كان علينا أن نستشهد بشهود عدول نثق في شهادتهم، حتى نثق فيما ذهبوا إليه من ادعاء، فإنه كذلك في حياتنا اليومية، ونحن نتبين الخطأ من الصواب في تصرفاتنا، والحلال والحرام في معاملاتنا، علينا أن نستعين بالصديق الذي يساعدنا على طاعة الله تعالى، والذي يساعدنا أن نكون في الطريق الصحيح، لأنه سيكون داعماً لنا في أن نتبين الصواب من الخطأ، فصديق السوء يسعده خطؤنا، إنما الصديق الحَسَن نستطيع أن نعتبره مُعيناً يصحبنا ليساعدنا أن تكون خطواتنا في الاتجاه السليم .

والله تعالى دعانا ألا نأخذ الكلام على عواهنه (كما جاء إلينا)، وإنما نعتبره افتراءً إلى أن يثبت العكس، فعلينا ألا نثق فيمن ينسب أي اتهام لأحد، وأن نتبين، ونحقق فيما جاء به، إلى أن نصل إلى مرحلة اليقين لصدق كلامه، وإلَّا سندخل في دائرة الظالمين، وكلنا يعرف ما ينتظر الظالمين من عذاب أليم .

في أيامنا هذه نتلقى رسائل عبر (الواتس آب)، و (الفيس بوك)، و (وسائل التواصل الاجتماعي)، وربما أرسلناها إلى بعض أصدقائنا، وقد نكون بذلك نرتكب ظلماً كبيراً بحق بعض الناس الذين نقلنا رسائل تنقل أخباراً تخصهم دون أن (نَتَبَيَّن) صِدق هذه الرسائل، أو هذه الأخبار، فعلينا أن (نَتَبَيَّن) ونحن نتواصل اجتماعياً، حتى لا نظلم أحداً، أو نظلم أنفسنا .

وعلى هذا، فخُلُق التبين منهج حياة، وهو خُلُق كريم، يحفظنا من أن نقع في فِعل أو عمل أو تصرف أو حُكم على أحد، لا يَرْضى عنه اللهُ ورسوله، فعلينا بالتسلح بهذا الخُلُق، لأنه خير وقاية لنا من أن نتسرع في الحكم على شيء أو أن نظلم أحداً .

٤٥- خُلق التَّحْفِيز

فَهِم صاحب هذا الخُلُق أن الله – سبحانه وتعالى – قد بنى دينه ورسالاته على الحكمة والموعظة الحَسَنَة . ولأنه سبحانه يعلم طبيعة النفس البشرية، فقد علم أنه لابد من تحفيزها لتطيع الله ورسوله . فكانت الجَنَّة ونعيمها، وحوافز دنيويةٌ متعددةٌ، في الرِّزق والستر، وغير ذلك، فالله – سبحانه وتعالى – قد جعل العلاقة مع الإنسان الطائع الملتزم تُبْنى على مبدأ الرِّبْحية للطرفين (win – win)، فالله تعالى يُحِب أن يرى عبدَه طائعاً وملتزماً، والعبد يُحِب أن يرى الله تعالى راضياً عنه في الدنيا والآخرة، ولهذا فقد قرر صاحب هذا الخُلُق أن يمشي بين الناس متبعاً المنهج الإلهي بالتحفيز، فيحفز مرؤوسيه وأسرتَه ومَن حوله ممَّن يتعامل معهم، ويفي بوعده الذي وعده، فيكون بخُلُقه هذا – التحفيز – متَّبعاً لكتاب الله ورسوله، ومنهجية التحفيز التي وردت بكتب الله السماوية، وفي وفائه بعهده يكون من الموفين بعهدهم، وكلاهما من مكارم الأخلاق، وهذا خُلُق ما أجمل أن يتحلى به الإنسان .

ولقد وفقني الله تعالى عام ٢٠١٩ م لكتابة كتاب من جُزْءين تحت عنوان (هكذا يحفزنا الأعظم)، حاولتُ فيه الوقوف على بعض ملامح التحفيز الإلهي للإنسان، لكي يطيع أوامر الله تعالى، وأستطيع أن أذكر هنا أن لكل عبادة أو خُلُق أو أوامر إلهية، كان هناك – ربما – نوع مُختلِف من التحفيز، وإنما المحصلة أن الله تعالى قد

وضـع أنـواع التحفيز المختلفة لتحفز الإنسـان عـلى اتِّباع أوامـر الله، كذلك نحن في الحياة، بما أننا نتعامل مع ذات الإنسـان فعلينا أن نتخَلَّق بخُلُق التحفيز، لأنه فيه فَهْمٌ صحيح لكيفية التعامل مع مَن حولنا بالحكمة والموعظة الحَسَنَة .

ولقـد أشـار الكتاب المقدس إلى خلـق التحفيز، أذكر هنا الآية: «أَلَسْــتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِي الْمَيْــدَانِ جَمِيعُهُمْ يَرْكُضُونَ، وَلكِنَّ وَاحِدًا يَأْخُذُ الْجَعَالَةَ؟ هكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا» (كورينثوس الأولى ٩: ٢٤) .

هـذا الخلـق هو خُلق مَـن فهم طبيعة النفـس البشرية، وأن بالتحفيـز تكون هناك احتمالات الاستجابة أكثر وأكثر .

فلنزرع الأمل بالتحفيز، وليكن موضع دراسـتنا في إدارة الأفراد والمؤسسـات بل والمجتمعات .

٤٦- خُلق التَّراضي

وهذا خُلُق أساسي من مكارم الأخلاق، وهو أن يَرضى الإنسان بما قسمه الله تعالى له، ويكون ذلك دليلاً على يقينه وإيمانه أن هذا تقدير من الله – سبحانه وتعالى – فهو القائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ – سورة الملك، وهو القائل: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ – سُورة هُود.

الرضا خُلُق كريم، صاحبه عرف طريق السعادة لأنه عرف فضل الله ورضِي به، فهو ينظر إلى مَن حوله نظرة خَيْر ولا يحسد أحداً لأنه راضٍ بما قسم الله له .

وللرضا ثواب كبير عند الله تعالى، جنات تجري تحتها الأنهار، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سُورة التوبة .

وإذا كان الإنسان يُحِب أن يُرضيه اللهُ تعالى، فعليه أن يُرْضي خَلْق الله، فسبحانه هو القائل: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ – سُورة الرحمن .

والرضا ليس فقط في الرزق المالي، ولكن في كل شيء: الصحة، الأُسْرة، الأبناء، وسائر الأحوال .

لقد أمرنا الله تعالى أن نُرضي غيرنا في كل شيء، نتصدق ونعطف ونؤثرهم علينا، أي نُفضِّلهم علينا، حتى في التجارة، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ - سُورة النساء، فالتجارة التي يأمرنا بها الله تعالى هي التجارة التي يَرْضَى طرفاها، فلا غَبْنٌ (أي: مَكْرٌ، خَدِيعَةٌ)، ولا يَظلم أحدٌ الأخر ، وإنما يوفيه حقه وميزانه بالعدل، وبالسعر الذي يكون الطرفان مَرْضِيَّيْن به، وهو ما يعرف اصطلاحاً بيننا: (**Win Win**) أي: الطرفان فائزان .

ومن الكتاب المقدس آيات عديدة في أمر التراضي، أذكر منها: «**كُنْ مُرَاضِيًا لِخَصْمِكَ سَرِيعًا مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ، لِئَلاَّ يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِي، وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشُّرَطِيِّ، فَتُلْقَى فِي السِّجْنِ**» (إنجيل متى ٥: ٢٥)، وكذلك: «**فَلْيُرْضِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَرِيبَهُ لِلْخَيْرِ، لأَجْلِ الْبُنْيَانِ.**» (رومية ١٥ : ٢) ، وكذلك الآية : «**كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لأَنَّهُ قَالَ: «لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ**» (رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١٣ : ٥)، وكذلك: «**وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦ : ٦) .

وأتصور أن الأمر الإلهي بإرضاء الناس قد ذُكِر في مقام التجارة، وأعتقد أنه منهج حياة، فصاحب هذا الخُلُق يمشي بين الناس محاولاً إرضاء كل مَن يتعامل معه، تارة بالكلمة الطيبة، وتارة باللين، وتارة بالاحترام، وتارة بأداء ما عليه من التزام أو عمل، وتارة بالاهتمام بأمور غيره، أي أن نَهجه المراضاة والتراضي في كل شيء .

هذا هو خُلُق التراضي في القُرْآن الكريم، وهذا هو ما جاء رسولنا – عليه الصلاة والسلام – ليعلمنا إياه، فعلينا أن نكون قدوة لأبنائنا في الرضا، فَهُم يتابعوننا في كل شيء: تصرفاتنا وأقوالنا وأفعالنا .

إن كلمة: (أُفّ)، أو كلمة: (ليه كده يارب)، أو كلمة: (ليه أنا بَسّ)، وما شابه، هذه الكلمات إنما يقولها البعض ولا يعلم أن الله لا يُحِب أن يسمعها، فهي دليل على عدم الرضا، وعدم التسليم لله، فلنحرص في أقوالنا وأفعالنا وندرك ماذا نقول من كلمات .

تصرفاتنا أمام أبنائنا مع الغير، وسعينا لإرضاء الناس من فقير، وطالِب مصلحة، أو قريب، أو نسيب، أو زوج أو زوجة، هي دروس مستفادة للأجيال ليكونوا ممَّن يرضى الله عليهم، ولنراجع أنفسنا، هل نحن راضون بالفعل؟! هل نقول الحمد لله؟! هل نشكر الله على نعمه ؟! هل نقولها بلساننا ولا نشعر بها ؟! فلنراجع أنفسنا، ولنعلم أن التراضي والرضا خُلُق لا يتخَلَّق به إلا مَن عرف معنى الإيمان الحقيقي بقدرات الله، وسَلَّم له أمره .

صاحب هذا الخُلُق لا يكون مكتئباً، ولا يكون حزيناً، بالعكس، لأن هذا الخُلُق يؤسِّس للسعادة وراحة البال، ألا نحب أن نكون من السعداء ؟! أكيد كلنا يسعى لها، علينا بالتخَلُّق بالرضا من داخلنا مقتنعين أنه من أرقى مكارم الأخلاق .

٤٧- خُلق التَّزيُّن

أمرنا الله تعالى ورسوله – عليه الصلاة والسلام – بالتزين، وأن يكون هذا نهجنا، نعتني بنعمة الله، وخَلْقه ونحافظ عليها، ونُبرز جمالها بتزيينها، فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ – سُورة الأعراف، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾– سُورة النحل ٨، وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾– سُورة الأعراف ٣٢، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «**حُبِّبَ إليَّ من دنياكُم: النِّساءُ والطِّيبُ وجُعِلَت قرَّةُ عيني في الصَّلاةِ** »، والطيب من التزين، وقال رسول الله :«**من كانَ لَهُ شعرٌ فليُكرمْهُ**»، أي يُصَفِّفه، ويُظهره بمظهر حَسَن .

ومن الكتاب المقدس، أذكر: «**كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ، ٢مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ. ٣وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلِبْسِ الثِّيَابِ، ٤بَلْ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ**» (بطرس الأولى ٣: ١ – ٤)، والكتاب المقدس يلفت النظر إلى أن الجمال الداخلي لا يشيب مع الزمن، لذلك يقول: «**تَاجُ جَمَال: شَيْبَةٌ تُوجَدُ فِي طَرِيقِ الْبِرِّ**» (سفر الأمثال ١٦: ٣١) .

وعلى هذا فالتزين أمر مطلوب، ولكن دون مبالغة أو غلوّ، أي: لا تَزِدْ فيه، وإلا أصبح كما يقولون: (مَنْظَرة)، فالاعتدال أمر مطلوب، والوسطية هي خير منهج في كل شيء، فلا يكون الإنسان مهملاً في شكله ومظهره وثيابه، وهكذا، ولا يكون هناك ما يقال عنها «بَهْرَجَة» في الزينة، أي تزيّد وغلوّ، المهم أن ندرك أن هذا خلق فيه ما فيه من احترام الآخرين والاستعداد وحُسن الاستمتاع بنعم الله .

٤٨ـ خُلق التَّشاوُر

التشاور – هنا – أقصد به أن يكون الإنسان سَمْحاً في الاستماع إلى رأي الغير، يحترم الرأي والرأي الآخر، وهذا ما أمر به اللهُ تعالى سيدَنا محمد – صلى الله عليه وسلم – فيقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ – سُورة آل عمران، حتى أن الله تعالى يضع هذا الخُلُق من أساسيات أخلاق المؤمنين حين يصفهم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سُورة الشورى .

وسيرة النبي – عليه الصلاة والسلام – بها الكثير من الدروس المستفادَة في أمر الشورى والتشاور، فقد كان – عليه الصلاة والسلام – حريصاً على أن يكون القدوة لهذا الخُلُق الكريم .

وأذكر هنا غزوة بدر: عندما تحرك رسول الله إلى موقع بدر، وبالقرب من مكان المعركة، نزل بالجيش عند بئر من آبار بدر، وهنا قام الصحابي الجليل الحُبَاب بْنَ المُنْذِرِ – رضي الله عنه – ونصح النبيَّ بموقع آخر أفضل من هذا الموقع قائًلا: يَا رَسُولَ اللهّ ! أَرَأَيْت هَذَا المُنْزِلَ، أَمَنْزِلاً أَنْزَلَكَهُ اللهُ، لَيْس لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ ولا نَتَأَخّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ: «بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ» . فَقَالَ: يَا

رَسُولَ اللهِّ فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرَ [أي ندفن] مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ (جمع قَليب وهو البئر)، ثُمّ نَبْنِيَ عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمّ نُقَاتِلَ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبَ وَلَا يَشْرَبُونَ »، فوافقه رَسُولُ اللهِّ – صَلّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – و أخذ برأيه مشجعًا – : «لَقَدْ أَشَرْت بِالرّأْيِ» .

ولقد وردت آيات عديدة في الكتاب المقدس في فضل المشورة ـ أذكر منها: «طَرِيقُ الْجَاهِلِ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيْهِ، أَمَّا سَامِعُ الْمَشُورَةِ فَهُوَ حَكِيمٌ» (سفر الأمثال ١٢ : ١٥)، وكذلك: «اِسْمَعِ الْمَشُورَةَ وَاقْبَلِ التَّأْدِيبَ، لِكَيْ تَكُونَ حَكِيمًا فِي آخِرَتِكَ» (سفر الأمثال ١٩ : ٢٠)، أيضاً: «حَيْثُ لاَ تَدْبِيرٌ يَسْقُطُ الشَّعْبُ، أَمَّا الْخَلاَصُ فَبِكَثْرَةِ الْمُشِيرِينَ» (سفر الأمثال ١١ : ١٤)، وفي: «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ» (سفر المزامير ١ : ١) .

وخُلُق الشورى له ثلاث زوايا:

الزاوية الأولى: أن نُشاور مَن معنا فيما سنقوم به، وإذا كان العالَم اليوم يتحدث عن الديمقراطية، واحترام الرأي والرأي الآخر، فهذا خُلُق علَّمَنا إياه نَبِيّنا محمد – صلى الله عليه وسلم –، بل إن الله تعالى قد أمر نبيَّه وهو يُقدِّم للناس رسالته أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحَسَنَة، وأن يشاورهم في الأمر، وهو ما فعله عليه الصلاة والسلام .

وعلى هذا فالمشاورة مع مَن معنا واجب وخُلُق ديني، وليس تفضُّلاً من أحد على أحد، والتشاور خُلُق ينبغي أن نمشي به في حياتنا، في الأسرة، في العمل، مع الأصدقاء، وغير ذلك من مناحي الحياة، فهو خُلُق من أخلاق المؤمنين، كما وصفهم الله تعالى، حسبما ذكرتْ الآيات سالفة الذِّكر .

أما الزاوية الثانية، هي أن يتحلى الإنسـان بحُسن العَرْض، وأدب الاختلاف، فإذا ما أُخذ رأيُه في شيء، يعرض وجهة نظره، دون تحيز لرأيه، فخُلُق التشـاور يقتضي أن يعرف الإنسـان أنـه – فقط – مُطالَب بعرض وجهة نظـره بلياقة واحترام للآخرين، وأن يحترم الرأي الذي يتم الاستقرار عليه .

ومـن زاويـة ثالثة: إذا استشـارك أَحَد فأخلص لـه القول، أو اصمـت إذا لم تكن تعرف، حتى لا تضره، فما ألاحظه في المجتمع – مِن حولي – أنه لا يوجد مَن إذا سألته يقـول: لا أعلم، وإنما دائماً يبادر بإعطـاء رأي . وهنا يتعين الحرص لأننا كما أُمِرْنا أن نتشـاور مع غيرنا، فقد أُمِرْنا أن نُخْلص القول، ونقول ما نعرف، قال رسـول الله – صلى الله عليه وسلم –:«**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**» .

فلنربِّي أولادنا على هذا الخُلُق، ولتقدم المدارس نموذجاً للشورى، ولتكن الشورى منهج حياة لكي نكون قد تحلينا بخُلُقٍ يُحِبه الله ورسوله .

٤٩ـ خُلق التّعَارُف

التعارف سببٌ من أسباب اختلافنا وتنوعنا، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ – سورة الحُجُرات .

فالتعارف – وليس التنافر – هو أساس الإنسانية والتطور، فبالتعارف تنشأ الأُسَر، وتنمو المجتمعات، وبالتعارف تكون التجارة والمعاملات، فنبني الاقتصادات والثروات، وبالتعارف نتفادى الصراعات والحروب، وبالتعارف يكون التَّوادّ والتآخي . إنه خُلُق كريم، خُلِقنا مختلفين من أجله .

نحن مدعوون أن نتعارف حتى على عدونا، فيقول لنا القول المأثور: «اعرف عدوك»، أي ادرسه جيداً، أو اعرف كل شيء عنه، حتى يمكن أن تواجهه .

علينا أن نُحسن علاقاتنا ونحن نتعارف، ولننظر: مَن نصاحب ؟! حتى يضيف إلينا، ولا يخصم من رصيدنا، أو يجرنا إلى ما لا نرضى عنه، وعلى هذا علينا بمراقبة أصدقاء أولادنا والتحري عنهم، وأن نتدخل إيجابياً لنبعد عنهم مَن لا يناسبهم أن يكون صديقاً لهم، لأنه يأخذهم إلى سلوك غير محمود، ولقد أوصانا النبي – صلى الله عليه وسلم – بذلك حيث قال: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالِل**» .

ومـن الكتاب المقـدس نطالع هذه الآية: «وَالنِّهَايَةُ، كُونُــوا جَمِيعًا مُتَّحِدِي الرَّأْيِ بِحِسٍّ وَاحِدٍ، ذَوِي مَحَبَّةٍ أَخَوِيَّةٍ، مُشْـفِقِينَ، لُطَفَاءَ» (بطرس الأولى ٣: ٨)، وكذلك: « هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعًا» (سفر المزامير ١٣٣: ١)، وكذلك الآية : «سَــلِّمُوا عَلَى الإِخْوَةِ جَمِيعًا بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهـل تسـالونيكي ٥: ٢٦)، وكذلـك الآيـة: «الإِخْوَةُ وَالْعَوْنُ لِسَــاعَةِ الضِّيقِ، لكِنَّ نُصْرَةَ الرَّحْمَةِ فَوْقَ كِلَيْهِمَا» (سفر يشوع بن سيراخ ٤٠: ٢٤)، وكذلك: «أَخِيرًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ افْرَحُوا. اِكْمَلُوا. تَعَزَّوْا. اِهْتَمُّوا اهْتِمَامًا وَاحِدًا. عِيشُوا بِالسَّلاَمِ» (رسالة بولس الرسـول الثانيــة إلى أهل كورنثوس ١٣: ١١)، كذا في الآيـة: «وَإِنَّمَا أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَزْدَادُوا أَكْثَرَ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٤: ١٠).

وللتعـارف صـورة حديثة في أيامنا هـذه من خلال وسـائل التواصل الاجتماعي، والتعارف عبر النِّت، ولهذا لابدَّ أن نأخذ حذرنا جيداً مع مَن نتحاور على النِّت، ومع مَن يتواصل أبناؤنا . إنه أمر، أحياناً، سيكون إيجابياً، وكثيراً ما سيكون سلبياً، يخصم مـن الرصيـد، فكما أن هناك (شـياطين الإنس)، فإن هناك (شـياطين النِّـت) ،فعلينا بمراقبـة ومتابعـة أبنائنا الذين يقضـون معظم الأوقات الآن عـلى النِّت، فكما نراقب أصحابهـم الحقيقيِّن، علينا بمتابعة (أصدقائهم الافتراضيِّن) على النِّت، فقد يدفعهم إلى مصائب كثيرة، والأمثلة لا حصر لها، فلننتبه .

التعـارف خُلُـق كريـم، له منافعـه الكثيرة، إذا ما فهمنـا وانتبهنا، وكنـا أذكياء في الاختيار لما ينفعنا ولا يضرنا .

٥٠- خُلق التّعاوُن

التعاون لغةً: مأخوذ من «العون»، أي المساعدة، يقال: فلان عوني أي مُعيني، أكثر من مساعدي، وقد أعنته، والعون هو مَن يقف بجانبي على الأمر.

وما أفهمه هو مساعدة كل مِنَّا الآخر، وبالطبع فإننا نتحدث عن مكارم الأخلاق، فإن التعاون المقصود هو التعاون على فِعل الخيرات لا على عمل غير مسموح به، وفيه أذى للغير، والله سبحانه وتعالى هو المعين الأكبر، وطلب منا أن ندعوه أن يعيننا كما في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾- سُورة الفاتحة، وإذا كانت هذه استعانة الإنسان بربِّه فإن لها وجهاً آخر في الحياة أن يستعين الإنسان بأخيه الإنسان، فعليه أن يكون متعاوناً لا جاحداً أو منصرفاً عنه مادام أنه يطلب معاونة في خير، فالله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ - سُورة المائدة .

ومن الكتاب المقدس أذكر: «لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ، بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ» (كورينثوس الاولي ١٢ : ٢٥)، وكذلك: «فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْرًا وَاحِدًا وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئًا وَاحِدًا، ٢أَطْلُبُ إِلَى أَفُودِيَةَ وَأَطْلُبُ إِلَى سِنْتِيخِي أَنْ تَفْتَكِرَا فِكْرًا وَاحِدًا فِي الرَّبِّ» (فيلبي ٢: ٢، ٤: ٢) ، وكذلك الآية :«شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ. أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ.

تَأْتَّــوْا عَلَى الْجَمِيعِ» (رسـالة بولس الرسـول الأولى إلى أهل تسـالونيكي ٥: ١٤)، وكذلك: «الإِخْوَةُ وَالْعَوْنُ لِسَاعَةِ الضِّيقِ» (سفر يشوع بن سيراخ ٤٠: ٢٤).

و إذا قلنـا – عـلى سـبيل المثـال – إن لاعبـاً – في فريـق – خُلُقه التعـاون، فإننا في عبارة أخرى نقول: إن خُلُقه حَسـن، فالخُلُـق الرياضي، خاصة في الألعاب الجماعية، مَبْنِـي على التعاون وليس الانفراد، فالتعاون يُنمي روح الفريق، وفيه معاني الإيثار أو التفضيل.

كذلـك فإنه من غير المتصوَّر أن تنتصر قوات في مهمتها إلا بتعاون بين أفراد تلك القوات، ليعين كل منهم الآخر، ويشد من أزره، ليحققوا مهمتهم بنجاح.

تعـاون الفريق الجراحـي في غرفة العمليات، وتعاون فريـق الأبحاث وصولاً إلى تحقيق اختراع جديد.

كلها أشكال – وغيرها الكثير – من أشكال التعاون المحمود، تعاون الإنسان غير الأناني الذي يتمنى الخير لغيره، الذي يُحِب لأخيه ما يُحِبه لنفسه، الذي يدرك أن الدنيا يوم له، ويوم عليه، وأنَّ عليه أن يؤدي ما عليه بمعاونته للآخرين.

وعلى هذا، فالتعاون خُلُق حَسَن، والإنسان الخلوق لابد أن يكون متعاوناً، فكيف يكون خلوقاً وهو لا يمد يد العون لمن يطلب منه مادام في الخير.

التعـاون يحتـاج إلى تأهيـل وتربيـة وتدريـب بدءًا مـن التعاون بين الإخـوة، ومع الأُسْرة، ثم في الرياضات المختلفة، أو في الفصل، ثم في الحياة والعمل، حتى أن هناك برامـج تدريبية كثـيرة تُنفق فيها الشركات مبالغ طائلة لتُنمِّـي روح التعاون والفريق بـين موظفيها، حيـثُ تنتج عنه نتائج إيجابيـة في جميع الأحوال، ولأن الله – سـبحانه

وتعالى - يريد لنا الصلاح والفلاح فقد أمرنا بالتعاون على البِرّ، لعلمه أن ذلك أفضل لنا، بل إنني أرى أن صلاة الجماعة هي تعاون فيما بيننا أن نحصل على ثواب أكبر من صلاتنا بدلاً من أن يصلي كلٌّ منا منفرداً فلا نحصل على حسنات (فَضْل) صلاة الجماعة .

فلنربي أولادنا على قبول التعاون كمبدأ عام في الحياة، و نُدربهم على ذلك لنُعلمهم هذا الخُلُق الكريم .

وأخيراً، التعاون قد يكون بأن نمشي في مساعدة شخص لقضاء حاجته، ولعل أبرزها ما جاء في القُرْآن الكريم على لسان سيدنا يوسُف لصاحبه في السجن حينما خرج منه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ - سُورة يوسف ٤٢، حيث طلب سيدنا يوسف - عليه السلام - من صاحبه أن يُخبر الملك عنه كنوع من التعاون لإظهار براءته ليخرجه من أزمته هذه، فمرَّت أيام إلى أن جاء الملكَ حُلمٌ وأراد تفسيره، فتذكر طلب صاحبه يوسُف، وأخبر الملك بأن يوسُف لديه العِلم ويُفسِّر الأحلام، وكان في هذا خروج سيدنا يوسُف من السجن، بل وعزته بعد ذلك، فهنا كان التعاون لتفريج الكرب ولإنهاء الأزمة .

كذلك علينا أن نتعاون لأن يأخذ كل ذي حق حقه، ولأن نساعد الضعيف حتى يقوى، والمظلوم حتى يفرج الله كربته (هَمّه أو أزمته) .

٥١- خُلق تعْظِيم حُرمَات الله

يقـول الله تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ سُـورة الحـج، تحدثنـا هـذه الآيـات عن خُلُق فريد، لقلةٍ مـن الناس، وهم الذين تراهـم يُعظِّمون حرمات الله، خوفاً من الله، وامتثالاً لما يريد، فتراهم يجتنبون مجرد الاقتراب من فِعل السيئات، وليسـتْ السيئات ذاتهـا، هـم حريصون عـلى ألا يقعـوا في الخطـأ بتعظيـم أمر هذا الوقوع، فيتفادونه بتجنب الاقتراب، مثل علامة» ممنوع الاقتراب أو التصوير «، التي قد تُكتَب على مكانٍ حسـاسٍ، فيتجنب الناس الاقتراب أو التصوير، فما بالنا بأوامر الله ونواهيه ؟! .

وآيات عديدة ذهبت إلى ذلك في الكتاب المقدس، أذكر منها: «لاَ يَبْرَحْ سِـفْرُ هذِهِ الشَّـرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَـارًا وَلَيْلاً، لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَـبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. لأَنَّكَ حِينَئِـذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ» (يشـوع ١ : ٨)، وكذلك: «يَا ابْنِي، لاَ تَنْسَ شَرِيعَتِي، بَلْ لِيَحْفَظْ قَلْبُكَ وَصَايَايَ. ٢فَإِنَّهَا تَزِيدُكَ طُولَ أَيَّامٍ، وَسِنِي حَيَاةٍ

وَسَلاَمَةً» (أمثال ٣: ١ – ٢)، وكذلك الآية :«وَأَمَّا الأَقْوَالُ الْبَاطِلَةُ الدَّنِسَةُ فَاجْتَنِبْهَا، لأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَكْثَرِ فُجُورٍ» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٢: ١٦)، وكذلك: «لاَ تُوقِدْ جَمْرَ الْخَاطِئِ، لِئَلاَّ تَحْتَرِقَ بِنَارِ لَهِيبِهِ» (سفر يشوع بن سيراخ ٨: ١٣)، وكذلك الآية:«وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ» (سفر إشعياء ١ : ٤) .

ومن زاويةٍ أخرى فإن صاحب هذا الخُلُق يُعظِّم شعائر الله أيضاً، فنراه يُتقِن صلاته، يُتقِن طوافه، سعيه، مناسكه، هو يرى أنه لا يمكنه أن يتخفف في شيءٍ فرضه الله، وإنما عليه الامتثال، والطاعة، وحُسن الأداء .

هو نوعٌ من التجويد أو ما نسميه بالإنجليزية **perfection**، فصاحبه لا يُحِب الدرجات العادية، وإنما هو ساعٍ لدرجاتٍ متميزةٍ، لقد أدرك أن الجَنَّة درجاتٌ، وهو يريد أن يصل إلى الدرجة العليا .

وهذا الخُلُق نتعلم منه أن نُتقِن عمل الشيء، حتى في حياتنا اليومية، وفي عملنا، فنحن مطالبون بالإتقان، وأن نُعظِم من قدر العمل والإنتاج، هذه كلها أمور تنتج من إنسان خُلُقه الإتقان، واحترام الواجب الذي عليه، وأسلوبه في ذلك أن يُعظِّم مِن أمر الخطأ فلا يقترب منه، وأن يُعظِّم من أمر الالتزام فيتفانى فيه .

علينا أن نُعلِّم أبناءنا ذلك، ونُكافِئ الملتزِم منهم، حتى نُحفِّز غيره . الملتزمون والمجيدون هم مَن صنعوا المجد لبلادهم . فهذا هو طريق الفلاح والنجاح .

٥٢ - خُلق التغافل (التَّغَاضِي)

وأعني بـه: أنه إذا كان الإنسـان مسئولاً عن غيره مـن أفراد أسرتـه، أو شركته، أو إخوتـه، أو حتـى في صحبته لأصدقائه، وأراد أن يكون ناصحاً، إذا ما وجد شـيئًا يستدعي الأمـر بالمعـروف أو النهـي عن المنكـر، أن تكـون هناك حِكمـة، وموعظة حَسَـنَة، فالله سـبحانه وتعالى ،قد أمر نبيه سـيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بهما، فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ – سُورة النحل ١٢٥ .

والمعنـى الذي أقصده: أنَّ تَصَيُّـد الأخطاء، والتركيز في كل خطأ ليس مسـتحبًّاً، وإنـما لابـد أن يُبدي الشـخص تغافلـه في بعض الأمور البسـيطة، إلا لمـا يضطره أن يتدخل فيه، لأن الأمر يسـتحق، فقد يكون في التركيز الشـديد، وعدم التفويت لأي هفوة تنفير للمستمع، فيكون في ذلك إفقاده الرغبة في الاستماع والاستجابة .

علينـا أن نتحـلى – هنا – بالحِكمة، فنبدو وكأننا لم نرَ، أو لم نسـمع، لأننا لو أبدينا أننا سـمعنا، أو رأينا سـنكون مضطرين للتدخل، وهذا ما يُسمي بـــ (التغافل) أو التغـاضي عـن الصغائر، ونقول عنـه – في مجتمعنـا (كَبِّر دماغـك)، أي: لا تركز في صغائر الأمور، حتى يكون تدخلك – فيما يستحق – موضع اهتمام .

فالزوج لو ركَّز في كل كلمة، وكل تصرف تقوم به زوجته لَخُربَت البيوت مبكراً، والزوجة كذلك، ولو فعل ذلك مع ابنه لكره ذلك الابن لعدم وجود متنفَّس .

التغافـل - أيضـاً - أُصَـوِّره بالبُخار الذي يخـرج من (حَلَّة البخار البرسـتو) فلا تنفجر ، وهو أمر يتم استيعاب الأمور به لتستمر الحياة .

فلابـد مـن أن يكون هنـاك تنفيس يُسْـمَح به، ولو بقـدرٍ معين من قبيـل التغافل مـن جانـب مَن بيده الأمر، فـلا يُعقَل أن يكون التركيز في كل كلمـة ناقدة أو فِعل، خصوصاً الأمور الصغيرة غير ذات الأهمية .

وهكذا، علينا أن نسـتوعب أننا نتعامل مـع بَشَر يخطئون، وأن نتغافل عن صغائر الأمور، كما نطلب ونرجو أن يُغْفَر لنا .

وقـد جـاء في الكتـاب المقـدس : «**بَارِكُوا عَلَـى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُـمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا**» (رسـالة بولس الرسـول إلى أهـل رومية ١٢ : ١٤)، وكذلـك: «**لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ**» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١١)، وكذلك الآية: «**اَلذَّكِيُّ يُبْصِرُ الشَّرَّ فَيَتَوَارَى، وَالْحَمْقَى يَعْبُرُونَ فَيُعَاقَبُون**» (سفر الأمثال ٢٢: ٣) . وهو نوع من التجاهل للشر والتغاضي لحين الدراسة والفحص والتفكير .

هذا هو خُلُق التغافل الذي يأتي عن حِنكة وعن حِكمة، فلنتحلَّ به .

٥٣- خُلق تَفْرِيج الكَرْب

الكَـرْب في اللغـة هـو: الحُزْنُ والغـمُّ الذي يُتْعِـب النَّفْس، وهو الشـدة والأزمة.

وتفريج الكرب فضل كبير من الله تعالى على عباده الذين يُحِبهم، وآيات كريمة كثيرة حدثتنـا عن تفريـج الكرب، فقـال تعـالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ - سُـورة الأنبيـاء، وقـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ - سُـورة الصافـات، وقـال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ - سُورة الأنعام، كلها آيات، وغيرها الكثير علَّمتنا: كيف يرفع الله تعالى مقته وغضبه، ويفرجها عن خلقه؟!

ولكن السؤال: هل هذا ممكن للإنسان؟! وهل الإنسان الذي يسعى في هذا يُعتَبر خُلُقه تفريج الكرب؟!

الإجابة: نعم

فما أجمل الإنسان الذي تخَلَّق بهذا الخُلُق، فهو يُسعده أن يُخرِج الناس من أزماتها، مالية كانت أو غير مالية، فهو إنسان يساعد الغير على اجتياز أزماتهم، ومشاكلهم، فالناس في «كَبَد»، ويحتاجون هذه الروح .

فلننظر إلى الآلاف من الغارمين بالسجون، وهم الذين دخلوا السجن لعدم سداد أقساط قد تكون لشراء جهاز العروس - لابنة لهم مثلاً - أو ما شابه، إن سداد دَيْنهم وإخراجهم من السجن إلى عملهم وأُسَرهم، هو خير تفريج للكرب .

وأنت تشتري دواءً من الصيدلية، إذا لا حظت فقيراً يشتري دواءً بجانبك فسدد له حسابه، ما أجمله من تفريج للكرب، سداد مصروفات المدارس لغير القادرين الذين تعرفهم، أو تَحَمُّل مصاريف علاجهم، أو كسوة أبنائهم، هو تفريج للكرب . الدفاع عن مظلوم وتبرئته، هو تفريج للكرب، مساعدتك الضعيف لأخذ حقه، هو تفريج للكرب .

فقد بيَّن لنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - فضل هذا الخُلُق، فقال عليه الصلاة والسلام: «**مَن سَرَّهُ أَن يُنَجِّيَه الله من كَرْبِ يوم القيامة فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ أو يَضَعْ عنه**»، وكذلك قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - : «**المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلِمُه ولا يُسلِمُه مَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه ومَن فرَّج عن مسلمٍ كُربةً فرَّج اللهُ بها عنه كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ ومَن ستر مسلمًا ستَره اللهُ يومَ القيامةِ**»، وكذلك قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: «**مَنْ أراد أن تُسْتَجاب دعوتُهُ وأن تُكْشَفَ كُربتهُ فليفرج عَنْ مُعْسِرٍ**» .

وعلى هذا، فخُلُق تفريج الكرب، لا يُثاب صاحبُه على فضل الحَسَنَات أو التصدق أو التوادّ أو التعاطف أو التراحم فقط، فهذا أمرٌ بديهي، لكنه - أيضاً - يقي

بـه الإنسـانُ نفسَـه من شَرِّ الكُرُبَـات، لأن الرسـول – صلّى الله عليه وسـلّم– أفهمنا أن الله تعـالى يُفرِّج كُرُبَات الذين يُفرِّجُون كُرُبَات الناس، فسـبحانه القائل: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ – سُورة الرحمن .

وأستشـهد هنا ببعض آيات من الكتـاب المقدس على فضل تفريج الكرب، مثل: «فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢ : ٢٠) ،وكذلك: «صدقة الرجل كخاتم عنده، فيحفظ إحسـان الإنسان كحدقة عينـه» (يشـوع ١٧ : ١٨)، وكذلـك الآيـة : «عَـزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رسـالة بولس الرسـول الأولى إلى أهل تسـالونيكي ٤ : ١٨)، وكذلك: «لِذلِـكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥ : ١١) .

نحن لا نعيش بمفردنا، ولكن نعيش وسـط مجتمع فيه المُحْتَاج والمُتَعَثِّر والمظلوم، فلنتسلح بهذا الخُلُق ونحن نمشي بين الناس، فلا نترك أحداً في حاجة إلينا إلا ونسعى أن نُقـدم له المسـاعدة ما دمنا نسـتطيع ذلك من فضل الله، فقد نجلـس في مكانه يوماً ما، ونكون في حاجة إلى مَن يُسَدِّد أو يُدافِع عنا، وما نزرعه هو ما سنحصده بإذن الله تعالى، فإذا زرعنا عطاءً سنحصد بإذن الله تعالى خيراً، ولنُعلِّم أبناءنا ألَّا يتخلفوا عن مُساعدة أحد، وأن يروا المحتاجين من حولهم ويبادروا لمساعدتهم، وأن نُكافئهم على مسـاعدتهم لهـم، فهكذا نقدم للمجتمع أجيالاً بنَّاءة ترتقـي ببلادها، يحنو فيه القادر على أخيه غير القادر سعياً لإسعاده .

فلنتسـلح بخُلُـق تفريج الكرب، ولنحاسـب أنفسـنا كل يوم: كم إنسـاناً فرجنا كربتـه؟! ولا نـرضى إلا أن تكـون الإجابـة إيجابية ولـو بالقليل، فهذا مـن فضل الله

تعالى، يفوضنا فيه ليرى: ماذا سنفعل بعباده ؟!، وخيرنا من نفع الناس وأخرجهم من أزماتهم، وفَرَّج كرباتهم، قال رسولنا - صلى الله عليه وسلم -: «**خيرُ الناسِ أنفعُهم للناسِ**»، ألا نحب أن يسترها الله تعالى معنا يوم القيامة ؟!

فلنسعَ لتفريج كربات الناس، ولنجعل ذلك عادة، وخُلُقاً نمشي به، عسى أن يفرجها علينا الله، دنيا وآخرة .

٥٤- خُلق التَّفَضُّل

الفضـل: هو الزّيـادة في الخير، خلاف النّقص، وهو مـا زاد عن الحاجة، والفضل بيـد الله تعـالى، يؤتيه من يشـاء، فسـبحانه القائـل: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾ – سُورة آل عمران .

وخُلُـق التفضل لـه وجوه عدة، تُميِّـز أصحابه، قال تعـالى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ – سُورة البقـرة، والفضـل هنا أي: الإحسـان، وقد يكـون محله التَّصـدق، قال تعـالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ – سُورة النور ، وآيات أخرى كثيرة تتحدث عن الفضل وأولي الفضل .

وعمومـاً، صـور الفضل كثيرة في القُرْآن الكريم، ولها معانٍ تتغير من آية لأخرى، و لكـن خُلُـق التفضل الـذي أعنيه هو أن يُمارِس الإنسـان التفضل مـع الناس، و أن تفيـض النعمـة التـي أنعم الله تعالى بها على الإنسـان عـلى غيره، أو على مَـن يحتاجها مِـن حولـه، فالطبيب يتفضل بعلمه لعـلاج المحتاج، والمحامي يتفضـل بالدفاع عن

المظلوم، والمسئول يتفضل بموقعه المرموق بالرفق بالناس، وإعطائهم حقوقهم، والمدرس يتفضل بالإخلاص في تعليم النَّشْء مما علمه الله تعالى، والعامل يتفضل بإتقان عمله بالحرفية التي أنعم الله بها عليه، وهكذا .

هو خُلُق مَن أراد أن يشكر الله تعالى على فضله ونِعَمه، وأن يكون شكره من نفْس نوع النعمة ليُسعد الناس، فإذا كان كاظماً للغيظ فهو يعفو عن الناس، وإذا كان محسناً فهو يساعد الناس، وإذا كان متصدقاً فهو ينفق بزيادة، فهو في موضع سعادة، كون الله تعالى قد جعله في مقام المتفضلين، وذلك مقام يُعطيه الله تعالى لمن أحب .

ولقد وردت عدة آيات في الكتاب المقدس لدعوة الناس إلى هذا الخلق، كما في: «لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّلاَمَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِه» (بطرس الاولي ٣: ١١)، وكذلك الآية : «وَلِهذَا عَيْنِهِ وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً» (رسالة بطرس الرسول الثانية ١ : ٥) .

خُلُق كريم، خُلُق النبلاء، خُلُق مَن زرع الله في قلوبهم الرحمة والعرفان، والشكر، وحب الخير للغير.

اللهم خَلِّقنا بهذا الخُلُق الكريم .

٥٥ـ خُلق تَقْدِيم المَشِيئَة

وهذا خُلُق كريم تعلمه لنا آيات القُرْآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ - سُورة الكهف، فالآية الكريمة تعلمنا خُلُق أن نتذكر دائماً أن هذا الكون له مُنظِّم واحد وهو الله سبحانه وتعالى . فحينما نقول لصديق مثلاً «أشوفك بُكْرَة» ففي حقيقة الأمر هذا تجرؤ وعدم تأدب مع الله سبحانه وتعالى، فعَلَّمَنا النبي - صلى الله عليه وسلم- أن نقول دائماً: (إن شاء الله)، أو (بإذن الله)، أي: إننى أريد أن أقابلك، فليأذن لنا صاحب الإذن، ومالك كل شئ، أن نتقابل، وفي هذا تأدب، وفهم لحقيقة الكون، فمن منا يضمن أنه سيعيش للغد ؟! حتى يؤكد أنه سيحضر في موعده ؟!

فلنحرص على أن نقول (إن شاء الله)، أو (بإذن الله) في كل كلامنا، ولنعلِّم أولادنا ألا يمشوا بدونها، فهو خُلُق المتأدب مع الله، والمتأدب مع الله يُحِبه الله، والتأدب من صُلب العبودية، والعقيدة ذاتها، وهي أن نعرف قدرَ الله تعالى، وصلاحياتنا، وأن تكون أقوالنا صادرة من قلوبنا مُرجعةً كلَّ شيء إلى الخالق الواحد، الله سبحانه وتعالى.

وإلى ذلك أكد الكتاب المقدس في مواقع عدة، أذكر منها: «لأَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى الصَّبْرِ، حَتَّى إِذَا صَنَعْتُمْ مَشِيئَةَ اللهِ تَنَالُونَ الْمَوْعِدَ» (عبرانيين ١٠ : ٣٦)، ويوجه

الكتــاب المقــدس عتاباً للذين لا يقدمون مشــيئة الله في حياتهم ، كــما في الآية: «هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: «نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ، أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلًا ثُمَّ يَضْمَحِلُّ، عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا: «إِنْ شَــاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هذَا أَوْ ذَاكَ» (رسالة يعقوب ٤: ١٣- ١٥) .

فلنحــرص عــلى تقديم المشــيئة في كل شيء، ولنحرص على أن ننبــه من حولنا إلى ذلك، إذا نسوا تقديم المشيئة، وليكن درسنا المكرر لأولادنا قول» إن شاء الله» .

٥٦- خُلق التَّكَتُّم

وهذا الخُلُق من مكارم الأخلاق بالفعل، فصاحبه يُفضِّل عدم الحديث عن أشياء، ويكتمها في صدره، وقد تختلف الأسباب، إما لأنه قد فعل شيئًا غير طيب، والله لا يُحِب الجهر بالسوء، حتى لا يُعلن للناس صراحة أنه خالف أمراً من أوامر الله، فالأب – مثلاً – قد يتحدث أنه ارتكب إثماً ما أمام أولاده، ولا يدري أن ذلك يجعلهم يتجرؤون على حدود الله، وربما ارتكبوا هذا الإثم تأسياً بوالدهم، ولِمَ لا؟! فأبوهم قام به، بل ويتفاخر به وسط الناس، ولهذا كان التكتم خُلُقاً كريماً، لأن صاحبه لا يريد أن يقلده أحدٌ فيما فعله، وقد جاءت الآية صريحة في هذا الصدد في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨﴾- سُورة النساء .

وقد يكون السكوت والتكتُّم حتى لا تشتعل الفتنة بين طرفين، أو حفاظاً على هدوء أوضاع معينة، وعدم إثارة أَحدٍ على أحد، نتيجة لإفشاء المعلومات التي لدى الشخص، ففي قوله تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾ - سُورة النساء .

والتكتم لا يأتي إلا مِن متعقِّل، يعرف نتيجة كلامه، وبالتالي يتجنب حدوث تلك النتيجة، فيُفضِّل الاحتفاظ بما لديه من معلومة، ولا ينقلها للغير .

وهـذه صورة متميزة لخُلُق الإنسـان، الذي يزن كل كلمـة، ويتعقل، ويعرف ماذا ينبغي أن يتكتمه؟! ويكتمه بالفعل .

في أيامنـا هذه، أتعجب مِن أَمْر ناس، قـد يرتكبون ما لا يُرضي الله تعالى، ونراهم يتفاخرون بذلك على (الإنسـتجرام)، أو (وسـائل التواصل الاجتماعي)، ينقلون لمن يعرفون، ولمن لا يعرفون، ما هم فاعلون . أين العقل؟! أين المنطق ؟!، والقول المأثور يقول: «**إذا ابتُليتُم فاستتروا**» .

ويحذر الكتاب المقدس من تشـجيع الناس على الشر، إذ يقول:«**وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَة**» (إنجيل متى ١٨ : ٧)، وكذلك: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَرَى أَيَّامًا صَالِحَةً، فَلْيَكْفُفْ لِسَـانَهُ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بِالْمَكْرِ، لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ**» (رسـالة بطرس الرسـول الأولى ٣: ١٠-١٢)، وأيضاً: «**رُبَّ صامتٌ عن فطنة**» (سـفر يشـوع بن سـيراخ ١٩ : ٢٨)، وقوله:«**لَيْتَكُمْ تَصْمُتُونَ صَمْتًا. يَكُونُ ذلِكَ لَكُمْ حِكْمَةً**» (سـفر أيوب ١٣ : ٥)، وقوله:«**لِذلِـكَ يَصْمُتُ الْعَاقِلُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ لأَنَّهُ زَمَانٌ رَدِيءٌ**» (سـفر عاموس ٥ : ١٣)، وأيضاً: «**جَيِّدٌ أَنْ يَنْتَظِرَ الإِنْسَانُ وَيَتَوَقَّعَ بِسُكُوتٍ خَلاَصَ الرَّبِّ**» (سفر مراثي أرميا ٣: ٢٦) .

والسؤال: لماذا هذا الإعلان؟! ولماذا نُعرِّف الناس جميعاً - بدون تمييز - أخطاءنا؟! ومـا الذي يفيدك إذا عرف عنك الناس هذا المسـلك غير الطيـب، كشُرب خَمر أو ما شابه؟!.

لابد أن يُدرك الجميع ماذا يكتبون على وسـائل التواصل الاجتماعي؟! وأي صور ينشرون؟!

ومـن زاويـة أخرى، فإن من مظاهر عدم التكتم هو ما يقوم به الكثير عبر وسـائل التواصـل الاجتماعي كذلك من «تَشْـيِير» رسـائل قد تُسيء لغيرنـا، أو تفضح سِرًّاً، والأوْلى بالإنسـان أن يسـتر غيره، كما يقول رسـول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – «من ستر مسلماً سـتره الله»، فالأوْلى بنا، ألا «نُشَـيِّر» رسـائل مثل هـذه، حتى نكون قد تخَلَّقنا بخُلُق جميل، ولم نَغْتَب الناس .

الـكل مدعو لمراجعة ما يقول، وليعلـم الجميع أن التكتم هو خُلُق كريم مُطالَبون به، فليتدرب كل منا عليه فهذا خير له .

٥٧ - خُلق التَّمْييز

العقل هو زينة الإنسان، ومعيار تميزه عن باقي المخلوقات، وعلى هذا فالحساب والتكليف عند الله يدور - وجوداً وعدماً - مع الإدراك والتمييز، فالطفل أقل من السابعة هو لا يُميِّز، وغير مُطالَب بشيء، وكذلك ذو العاهة العقلية التي يذهب معها الإدراك والتمييز، فيصبح صاحبها غير مُكلف)مسئول(، أما وإن أدرك، فإن الله تعالى قد طلب منا استخدام العقل .

وقد وردت آيات كثيرة تحدثنا عن إعمال العقل، منها:

قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ - سُورة الزخرف ٣ .

وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ - سُورة النحل ١٢ .

وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ - سُورة العنكبوت ٤٣ .

وقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾- سُورة البقرة ٤٤ .

وأمرنا الله تعالى أن نتدبر في القُرْآن الكريم، وفي الكون وطريقة تنظيمه، وأن نميز بين الحق والباطل، والحلال والحرام .

وعلى هذا، فخُلُق التمييز، يحتاج إلى إدخال معلومات، وخبرات تسمح بزيادة القدرة على التمييز بين ما يُحِبه الله تعالى، وما لا يُحِبه الله، فصاحب هذا الخُلُق يعرف أن الله تعالى يُميِّز بين الطيِّب وغير الطيب، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ - سُورة آل عمران، ولهذا، فهو يسعى أن يقوم بذلك في حياته، لأنه يعلم أن الله تعالى يأمر بألا تزر وازرة وزر أخرى، قال تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ - سُورة النَّجْم، فهو يميز في حكمه على الناس، ومعاملاته معهم، فلا يحاسب أحداً على ذنب بسبب أمر آخر، فيظل مميزاً بين أفعاله الحَسَنَة وأفعاله السيئة، وقد يكافئه على أفعاله الحَسَنَة مع عقابه على السيئة - في ذات الوقت - لقدرته على التمييز، كذلك، لا يأخذ شخصاً بذنب شخص آخر، وببساطة لا يخلط الأمور ببعضها، بل يستطيع أن يُفرِّق بين الصالح وغير الصالح .

ومن الكتاب المقدس نجد هذه الآيات في ذات الشأن: «**لاَ تَضَعْ يَدًا عَلَى أَحَدٍ بِالْعَجَلَةِ، وَلاَ تَشْتَرِكْ فِي خَطَايَا الآخَرِينَ. اِحْفَظْ نَفْسَكَ طَاهِرًا**» (تيموثاوس الأولى ٥ : ٢٢)، وكذلك: «**اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ**» (رومية ١٢ : ٩)، وكذلك الآية : «**وَارْحَمُوا الْبَعْضَ مُمَيِّزِين**» (رسالة يهوذا ١ : ٢٢)، أي تقديم الخير بتمييز المستحق من غير المستحق، وكذلك: «**فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ، وَلآخَرَ**

تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ (أي الأفكار)» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٢ : ٨ - ١٠) .

التمييز خير مساعد على طاعة الله، لأن المعلومات تدخل بوضوح لصاحبها قبل أن يتخذ قراره، أو يُقدِم على عمل ما، وإذا كانت دقة المعلومات تساعد على أن يكون القرار صحيحاً - في حياتنا العملية -، كذلك فإن تحلي الإنسان بخُلُق التمييز، يجعله أكثر قدرة على الاختيار، وربما يجعله أكثر قدرة على أن ينصح غيره، متواصياً معه بالحق و بالصبر .

نحن مطالَبون أن نُعَرِّف أولادنا أكثر وأكثر، فن التمييز، حتى نكون عباداً مميزين، نعرف طريق النجاة، والفوز بالجَنَّة، بإذن الله تعالى .

نحن مطالبون أن نُعلِّم أولادنا كيفية التمييز بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام، وكيفية تحديد المسئولية، فلا نعاقب غير المذنب، ولا نكافيء غير المجتهد، ولا نخلط الأمور ببعضها، وألا تزرُ وازرة وزر أخرى .

فهذا هو أساس خُلُق التمييز، الذي يمكن أن يكون سلاحهم وعونهم لدخول الجَنَّة بإذن الله تعالى، والفلاح والصلاح في حياتهم .

٥٨- خُلق التَّوَاصِي بالحَقّ

وأعني به: أن يكون الإنسان مخلصاً في نصيحته لغيره، بما يعتقد أنه صواب بالنسبة له، أي أن تحب أن تنصح الغير إلى الطريق السليم إن كنت تظن أنه في غير الطريق السليم، أو كان لديك طريق أفضل .

ولعل أبرز آيات القُرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ - سُورة العصر، ففي هذه السُورة، يُقْسِم الله تعالى بالعصر أن الكل في خسران (خسارة)، إلا قليل ممن يتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر .

والتواصي بالحق خُلُق يحتاج نُبْل الأخلاق، فيكون الإنسان مُحبّاً للخير لغيره، ويُحِب أن يرى غيره في طريق الخير، وهو إعمال واقعي لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِب لأخِيهِ ما يُحِب لِنَفْسِهِ»، والتواصي بالحق فيه أبلغ صور التعاون بروح الفريق، فصاحبه يريد النجاح لغيره ولا يريد أن ينفرد بالنجاح بمفرده .

نحن مطالَبون أن نتواصى بالحق مع أبنائنا، نُعلمهم حُسْن الخُلُق، والتصرفات والمعاملات، وعلينا أن نبذل جهداً كبيراً كي يُحاط أبناؤنا بمَن يتواصى معهم بالحق، فصديق السوء لن ينصح أبناءنا بالحق، بل سيجاريهم في الخطأ، وربما قد يحضُّهم

عليـه، وعلى هـذا فالأسرة مطالَبة بمتابعـة نوعية الأصدقاء، وانتقـاء مَن يمكنهم أن يتواصـوا بالحق مع أولادهم، أي يكونـون عوناً لهم على الخير، ناصحين لهم، كذلك في محيط العمل، فاحرص على أن تُحاط بمَن يساعدك على الاتقان، وساعد غيرك على أن يتقـن عمله، وقدِّم له النُّصح، فلا خير فينـا إذا وجدنا مَن حولنا يضلون الطريق، وجلسـنا نتفرج عليهم، دون أن نتواصى معهـم بالخير وبالنصح، لأنَّ هذا الخُلُق يأتي بمجتمع متحاب، متعاون، يسعى للنجاح، وروح الفريق تؤهله للانطلاق .

علينـا أن نُعَلِّـم أبناءنـا ذلـك في مقرراتهم، وعـلى الخطاب الدينـي والإعلامي أن يعلمنا كيف يكون هذا خلقنا دون أن نتجاوز حرية الآخرين، وخصوصيتهم .

وإذا كان الخالـق – سـبحانه وتعـالى – عليـماً بمصلحة بني آدم، فحينما يُقسِـم أن الـكل خسـران، إلا مَن تـواصى بالحق، فإن في هـذا أبلغ دليل على عِظم هـذا الخُلُق، فاحـرص عليه من الآن، واجعله أسـلوب حياة، وقل قولاً ليناً للناس، انصحهم به إلى الحق .

واعلم أنك لسـتَ بمأمـور ضَبْطٍ قضائي، وإنما ناصح تنصحه بعبارات بسـيطة، وروح سَـمْحة، إلى طريق الخير، كذلك، بذكاء ولطـف في الكلام، تحاول إبعاده عن طريق الخطأ .

ومن الكتاب المقدس نقف على آيات عدة في شأن هذا الخلق، كما في: «أَيُّهَا الْحَبِيبُ، لاَ تَتَمَثَّلْ بِالشَّـرِّ بَلْ بِالْخَيْرِ، لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ هُوَ مِنَ اللهِ، وَمَنْ يَصْنَعُ الشَّـرَّ، فَلَمْ يُبْصِرِ اللهَ.» (يوحنا الثالثة ١ : ١١)، وكذلك: «لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (رومية ١٢ : ٢١)، وأيضاً: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْسِـبُ نَفْسَهُ نَبِيًّا أَوْ رُوحِيًّا، فَلْيَعْلَمْ مَا أَكْتُبُهُ

إِلَيْكُـمْ أَنَّهُ وَصَايَا الرَّبِّ» (كورينثوس الأولى ١٤ : ٣٧)، وكذلك : «فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئًا عَنْ ضَلاَلِ طَرِيقِهِ، يُخَلِّصُ نَفْسًا مِنَ الْمَوْتِ، وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا» (رسالة يعقوب ٥ : ٢٠) .

ويجب أن أشـير - هنا - إلى أننا - في ممارسـتنا لهذا الخُلُق - غير مطالبين بتحقيق نتيجة، فأنت قد تنصح ولا يُسمع كلامك، وكل واحد يُسأل أمام الله تعالى عن فعله، إنما أنت مُكلَّف ببذل العناية، أي مجرد النصح وليس بتحقيق النتيجة .

٥٩ـ خُلُق التَّواضُع

التواضع: أي عدم الزَّهْو بالنَّفْس، وعدم الغرور، من مكارم الأخلاق التي بُعث سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ليعلمها لنا .

لقد جاءت آيات القُرْآن الكريم صريحة وواضحة في هذا الخُلُق، فقال الله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ – سُورة الشعراء، ويقول جل وعلا: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾– سُورة لقمان، ويقول سبحانه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ – سُورة الفرقان، ويقول جل شأنه: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ سُورة الإسراء .

وإلى ذلك، توافقت آيات الكتاب المقدس، أذكر منها هنا: «ازدد تواضعاً ما ازددت عظمة فتنال حظوة الرب» (سفر يشوع بن سيراخ ٣: ٢٠)، وكذا: «تَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ، لأَنَّ: الله يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٥: ٥؛ سفر الأمثال ٣: ٣٤؛ رسالة يعقوب ٤: ٦).

والإنسان المتواضِع يُحِبه الناس، وعلى العكس من ذلك فإن المغرور يبغضه مَن حوله، والله يريد لنا أن نكون معتدلين ليِّنين بين الناس، وألا نكون غلاظاً فيما بيننا، فما أجمل الغنيِّ المتواضع، وصاحب السُّلطة الذي يشهد له الناس بتواضعه وتباسطه.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ - سُورة التوبة، نجد فيه نهياً عن العُجب بالنَّفْس أو بالمال أو بالقوة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ - سُورة الكهف، حيث تعلمنا الآيات الكريمة ألا نتفاخر، وألا نستشعر القوة بما لدينا من المال، أو ما شابه، وقمة التواضع الشخصي بين الإنسان وبين نفسه نجده في قوله تعالى على لسان لقمان وهو يوصي ابنه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ - سُورة الإسراء .

والتواضع مطلوب أيضاً في معاملاتنا الأُسَرية، فنكون تحت قدم آبائنا وأمهاتنا، وإن كنا ممن نجحوا وبرزوا مجتمعياً، فنأتي أمامهما لنُعْلِي قدرهما، ونُصَغِّر من أنفسنا، كذلك فإن أولادنا يتعلمون من تصرفاتنا، وينظرون كيف نتحدث مع السائق،

وحارس العقار، وجامِع القمامة، ومع مَن يخدمنا، هل نتحدث في لين ورفق واحترام أم لا ؟ نحن نعطيهم (أولادنا) دروساً دون أن نشعر، وما أخلاق أبنائنا إلا تراكمُ ما حصدوه من دروس تعلموها من محيطهم، وأوله محيط أُسرتهم .

والتواضع هو دليل على ثقة الإنسان في نفسه وفي قدراته، فمنصبه أو ماله لم يُضِيفا له شيئًا، ولم يدفعاه إلى الغرور، فهو هادئ النفس، ويعرف أن المال والجاه لا يدومان، ولا يبغـي إلا المعاملة الطيبة مع الناس، خصوصاً حينما كانت لديه السُّـلطة أو المال، هـل كان متواضعـاً أم أصابه الغـرور؟!، فلنكن حذرين في مشـينا، وفي كلامنا، وفي تصرفاتنا ومعاملاتنا ،فما أبشـع التَّكبُّر والكبرياء عند الله – سـبحانه وتعالى –، وعلى العكـس مِـن ذلـك فما أعظم أجـر التواضـع والمتواضعـين، والمتواضع قـد أطاع الله ورسوله، وتَخَلَّق بخُلُق يُحِبه اللهُ ورسوله .

فلنقتصـد في مشـينا، ونَغُضّ من صوتنـا، ولا نمـشِ في الأرض مرحاً، ونلين بين أيدي مَن حولنا، متحلين بخُلُق عظيم، هو خُلُق التواضع .

٦٠ـ خُلق التَّوَدُّد

الله سبحانه وتعالي هو الودود، فيقول تعالي ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ – سُورة البروج، ولقد أخبرنا سبحانه أنه سيجعل للذين أمنوا وعملوا الصالحات وداً، فيقول تعالي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ – سُورة مريم .

والموده هي حُسن العلاقة والعِشرة والتراحم، وهي مِن مقومات الزواج وأسبابه، يقول تعالي: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ – سُورة الروم .

ومن الكتاب المقدس أذكر الآية: «**اَلْمَحبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرِّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ. ١٠ وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ**» (الرسالة إلى رومية ١٢ : ٩ – ١٠) .

وصور التودد حسبما أوضحها لنا سيدنا عُمَر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: «**ثلاث يصفين لك ودّ أخيك: أن تسلّم عليه إذا لقيته أوّلا، وتوسّع له في المجلس، وتدعوه بأحبّ أسمائه إليه**» .

وعلى هذا، فنحن مطالبون بخُلُق التودد، وأن نكون ودودين مع أهل بيتنا، مع أصدقائنا، مع معارفنا، ومع مَن حولنا، نحترم الجميع، ويكون كلامنا ودعوتنا لهم

بأحب أسمائهم إليهم، وهذا عكس (التَّنمُر) الذي نراه (السخرية)، فالظاهرة الآن – من الكثير – تسمية الناس بما لا تحب، كأن يقول شخص لإنسان: تعالَ يا (قصير)، أو يا (طخين) يعني: (سَمِين)، أو تعالَ يا (غبي)، أي يا مَن (لا تفهم)، في حين أن التخَلّق بالود يُلزمنا أن نسميهم بما يُحِبون، كأن نقول تعالَ يا حبيبي، يا أبو الرجالة، يامحترم ، وهكذا.

كذلك الزوج مع زوجته، والزوجة مع زوجها، يتعين أن تدعوه أو تناديه بأحب الألفاظ: (يا أبو عيالي) مثلاً، يا (أبو الرجالة) ويا (حبيبي). وهو كذلك يدعوها يا (قمر) ويا (غالية)، يا (حبيبتي)، وهكذا.

كلها أمور تُضيف، وتُعمّق العلاقات، وتُذيب الخلافات، وتُمهِّد الأجواء لعلاقة أكثر تميزاً بين الطرفين .

كذلك علينا بإفساح المجالس، أي بتقديمهم علينا ما استطعنا، وألا نسبقهم دائماً، بحيث نُشعِر الآخَرين أننا نعطيهم الأفضلية، كأن يفتح الرجل لزوجته باب السيارة، أو يدخلها قَبْله من الباب، أو أن يعطي شخصٌ المقعدَ الأفضل لصديقه .

كذلك علينا، أن نُحسن السلام عليهم، وأن نتواصل معهم في السَّراء والضَّراء، وألا يطول الانقطاع في التواصل، بل نُشعرهم دائماً أن أمرهم يهمنا، ويجذب انتباهنا، نَستمع إليهم، ونَنصحهم، ونُشاركهم أفراحهم وأحزانهم بذات الدرجة .

هكذا – في رأيي – يكون خُلُق التودُّد، فليتودد كل منا لمن يُحِب، ففي ذلك نعم العلاقة، والسلام النفسي لنا ولهم .

٦١ ـ خُلق توْزِيع التَّرِكات

توزيع تَرِكَة المتوفى، له أخلاقياته في القُرْآن الكريم .

فبدايةً، لا يمكن توزيع تَرِكَة أحد قبل سداد ديونه، يقول تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) ﴾ – سُورة النساء، وكذلك إذا كان هناك مُؤخَّر صَدَاق لزوجته، فهو واجب السداد لأنه دَيْن .

كذلك آية أخرى تنظم هذا الخُلُق، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٨) ﴾ – سُورة النساء، فللأقارب الذين يحضرون توزيع التركة، وليس لهم نصيبٌ شرعي، وفقاً لقواعد المواريث التي نظمها القُرْآن، فالله تعالى يأمرنا أن نعطيهم من التركة، أو مما ورثنا، فلا يعقل أن يحضروا التوزيع ولا يكون هناك شيءٌ لهم .

إنـه الإحسـاس بالغير، وبالـذات ذوي القُربـى، واليتامى والمسـاكين، فليس من المعقـول أن يأخـذ وريـثٌ نصيبـه من المـيراث، ويمشي وهنـاك مَن حـضر ذلك ولا يعطف عليه، ويعطيه مما أعطاه الله .

خلـق توزيـع الـتركات من الأخـلاق التي ورد في شـأنها آيـات عـدة في الكتاب المقـدس تدعو إلى الترفع والسـمو والإحسـاس بالغير وحفظ حقـوق الورثة، أذكر منها: «١٣وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ: «يَا مُعَلِّمُ، قُلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ». - ١٤ فَقَالَ لَهُ: «يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟» - ١٥ وَقَالَ لَهُمُ: «انْظُرُوا وَتَحَفَّظُـوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَـتْ حَيَاتُهُ مِـنْ أَمْوَالِهِ». - ١٦ وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا قَائِلًا: «إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ، - ١٧ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: مَاذَا أَعْمَلُ، لأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟ - ١٨ وَقَالَ: أَعْمَلُ هذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَتِي وَخَيْرَاتِي، - ١٩ وَأَقُولُ لِنَفْسِـي: يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِـنِينَ كَثِيرَةٍ. اِسْـتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي! - ٢٠ فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُـك مِنْكَ، فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ - ٢١ هكَـذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِـهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا للهِ» (لوقا ١٢)، فالسـيد المسيح عليه السـلام في موقف مقاسمة الميراث لم يرفض التقسيم، إنما أحال السائل على الناموس اليهـودي الذي يسـير عليه السـائل، لكنه وضع اللمسـة الروحية وهـي التحفظ من الطمع، فالمال لا يُعطي الحياة للإنسان .

كذلك الآية : «مَنْ يُعْطِي الْفَقِيرَ لاَ يَحْتَاجُ، وَلِمَنْ يَحْجِبُ عَنْهُ عَيْنَيْهِ لَعَنَاتٌ كَثِيرَةٌ» (الأمثال ٢٨ / ٢٧)، وأيضاً : «بل دافعوا عن حق الضعيف واليتيم،انصفوا المسكين والمظلـوم» (مزامـير ٣:٨٢)، وفي: «لا تظلموا الأرملة واليتيم والغريب والفقير، ولا

تفكروا بالشر في قلوبكم بعضكم نحو بعض «(زكريا ١٠ :٧)، وكذلك: «**يدافع عن حق اليتيم والأرملة، ويحب الغريب ويعطيه طعاما وكساء**» (تثنية ١٨ :١٠) .

خُلُق كريمٌ نتعلم منه العطف والحنان والإحساس بالفقير والقريب واليتيم والمساكين، وبالطبع فإن الأمر لا يقف عند حال تقسيم التركات، وإنما في جميع الأحوال .

هكذا خُلُق توزيع التركات، فلنكن حريصين عليه، متمسكين به .

٦٢ - خُلق توْقير كَلام الله

إنه لَخُلُق عظيمٌ أن (يَغار) الإنسـان على كلام الله تعالى، الذي جاء في كتابه، وألا يتجـرأ أبـداً عـلى خلاف ذلـك، فلقد جـاءت الآيات صريحـةً في ذلك، فقـال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سُورة التوبة، فالخُلُق الكريم هو توقير آيات الله، وألا نسـمح لأحدٍ أن يخوض فيها، وأن نترك أي شـخصٍ يخوض في هـذه الآيات، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سُورة الأنعام .

وعلى هذا فالخُلُق الحَسَن – هنا – هو أن نوقِّر، ونحترم آيات الله تعالى . والإساءة من جانبنا قد تأتي من ناحيةٍ أخرى، إذا قمنا بسبِّ أحدٍ، فرد السبَّ بسبٍّ مثله، الآية الكريمة تقول: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾- سُـورة الأنعام، وعلى هذا فإن صاحب هذا الخُلُق - أيضاً - لا يسـب أحداً، حتى لا يسبه هو الآخر، وقد يسيء إلى آيات الله .

أمـا عـن آيات الكتاب المقـدس، فقد دعت إلى ذلك في عدة مواضـع، أذكر منها: «بَلْ قَدْ رَفَضْنَا خَفَايَا الْخِزْيِ، غَيْرَ سَـالِكِينَ فِي مَكْرٍ، وَلاَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، بَلْ بِإِظْهَارِ

الْحَقِّ، مَادِحِينَ أَنْفُسَنَا لَدَى ضَمِيرِ كُلِّ إِنْسَانٍ قُدَّامَ اللهِ» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ٤ : ٢)، وكذلك: **«لأَنَّنَا لَسْنَا كَالْكَثِيرِينَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، لكِنْ كَمَا مِنْ إِخْلاَصٍ، بَلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمَامَ اللهِ فِي الْمَسِيحِ»** (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ٢ : ١٧)، وكذلك الآية: **«خَبَأْتُ كَلاَمَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلاَ أُخْطِئَ إِلَيْكَ»** (سفر المزامير ١١٩ : ١١)، وكذلك: **«شَرِيعَةُ فَمِكَ خَيْرٌ لِي مِنْ أُلُوفِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ»** (سفر المزامير ١١٩ : ٧٢) .

صاحب الخُلُق الكريم يوقِّر ويحترم الجميع ليبادلوه الاحترام بالاحترام، وهو يغار على كلام الله فلا يسمح لأحد أن يقترب إلا بالخير ، وصاحب هذا الخُلُق يتعلم منه منهج حياة، ويترك مجالس الذين يَسُبُّون هذا أو ذاك، ويفرض على الغير احترامهم له بعدم سبهم، أو الإساءة لهم، فيفرض لغة الحوار بينهم، محافظاً على كرامته وكرامة أسرته، وحفظاً لله ودينه .

٦٣ـ خُلق التَّيْسِير

التيسـير أي التسـهيل والتبسـيط منهج رباني، فقد دعانا الله - سـبحانه وتعالى- للالتـزام بعبادتـه، واتخذ من التيسـير تحفيـزاً لنـا لأدء العبادات، فيسَّر لمـن لم يجد ماءً للوضوء أن يتيمَّم، ومن لم يسـتطع الصلاة واقفاً أن يصلي جالساً أو نائماً، ولمن يسافر أن يُقـصر ويجمـع في الصلاة، ويَـسَّر على الناس في الصيام للمسـافر بأن رَخَّص له في الإفطـار، وأن يقضي ما عليه في أيام أُخَر، وللمريض أن يقضي - ما أفطره في رمضان - في أيام أُخَر، ويطعم مساكين إن كان لا يستطيع القضاء، وآيات ما أكثرها تحدثت عن فضل التيسير من الله سبحانه وتعالى على الناس .

ولقد عَلَّمَنا رسـول الله - صلى الله عليه وسـلم - أن نيسر على الناس، وبيَّن لنا أن الدِّين يُسْر فيقول عليه الصلاة السـلام: «يسِّـروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا»، وعلى هذا، فالتيسـير خُلُـق كريم دُعينا إليه، علينا أن نتحلى بـه في حياتنا ومعاملاتنا، فمـن كان معسراً أو عليـه دَيْن لنا فنظرة إلى ميسرة (أي نعطيه وقتاً للسـداد)، لماذا لا نعطيه مهلة لنيسر عليه، فييسر علينا الله ؟!

الموظـف الذي بيده إنهاء إجـراءات للمتعاملين معه فلييسر لهـم، ولا يعطلهم أو يضع العقبات ويتعسـف في ممارسـة وظيفته، فما أبشع هذا عند الله تعالى، لأنه قد بَعُد عما عَلَّمَنا الله من تيسير ، والمدرس مع تلاميذه لابد أن ييسر عليهم، ولا يثقلهم بكثرة الواجبات، وإنما خير الأمور الوسط .

أي إنسان في حياته لابد أن يُيَسِّر على المتعاملين معه، فلا يرهقهم بالطلبات أو الشروط، وإنما يراعي ظروف كل منهم وييسر عليهم، فإن ذلك من مكارم الأخلاق التي يثاب عليها المرء، إنه خُلُق من يمشي بين الناس ببساطة، ولا يكلف الناس أكثر من وسعها، وإذا كنا ندعو الله أن ييسر لنا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ ﴾ - سُورة طه، فإنه علينا أن نُيَسِّر على الناس، لييسر لنا الله، فلنبسط ولنيسر ولنتحلَّ بهذا الخُلُق الكريم، حتى ييسر لنا الله، ومَن منا لا يتمنى أن ييسر له الله ؟! .

وآيات القُرْآن الكريم التي تُحفِّز على هذا الخُلُق كثيرة للغاية، أذكر منها - على سبيل المثال - قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ - سُورة البقرة ٢٨٦ ، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ - سُورة البقرة ١٨٥ ، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ - سُورة النساء ٢٨، فالله تعالى يُحِب التيسير، ويُحِب أن يرانا نقتدي بهذا المنهج، وأن نجعله خُلُقاً نمشي به .

ولقد ورد بالإنجيل آية تدل على كُره التعسير، وأن المستحب هو التيسير على الناس، وعدم تحميلهم ما لا يطيقونه، فجاءت الآية: «وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالًا عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ الأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ» (إنجيل لوقا ١١ : ٤٦) .

الله يدعونا في رسالاته إلى التيسير على الناس، ولهذا فهو خلق كريم علينا أن نُذكر به أنفسنا، ونتعامل به مع بعضنا البعض .

٦٤- خُلق جَبْر الخَواطِر

والخاطر هو النَّفْس، فكما أن هناك أموراً مادية يمكن أن يُقدمها إنسان لآخر، فإن هنـاك من هذه الأمور الماديـة أو المعنوية ما يمكن أن نصلح به نَفْس الآخرين، ويقال عن هذا (جَبْر الخواطر)، وصاحب هذا الخُلُق يعلم أن الكلمة والتصرف قادران على رفع الحرج عمَّن يتعامل معه، بل وإدخال الفرح والسرور على قلبه .

ولقـد دُعينا إلى هـذا الخُلُق في الآيات القُرْآنية، والأحاديـث النبوية الشريفة، ففي حالة الطَّلاق – مثلاً – جبر الخواطر مطلوب بإعطاء المتاع للزوجة، قال تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾- سُورة البقرة، وقال تعـالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾- سُـورة البقرة، هـذا العطـاء جـبراً للخاطـر باعتبار أن السـيدة – ربـما – أصابها نوع من الانكسـار بطلاقها، فلعل في هذا جبراً لخاطرها .

صـورة أخـرى أذكرها من صـور الدعوة إلى جـبر الخواطر، وهي الآيـة الكريمة التـي تتحدث عن توزيع تركة المتوفى، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ

ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٨﴾ ﴾ – سُـورة النساء، فهؤلاء شـاءت الظروف أن يحضروا تقسيم أموال التركة بين الورثة، فمِن جبر الخواطر – في ديننا – أن نسعدهم بما نستطيع . وهكذا .

إن أمثلة جبر الخواطر في القُرْآن الكريم، والسُّنة الشريفة، لا حصر لها، ومن صور جبر الخواطر، زيارة الأقارب، والمعايدة عليهم، والتواصل والتراحم معهم، وحُسن معاملة مَن حولنا، بدءًا من الخادم، والسائق، وحارس العقار، ويكون جبر خاطرهم بالحديث الطيِّب معهم، وبحُسن معاملتهم عموماً، خصوصاً في المأكل والملبس، وإكرام أهلهم، وانتهاءً، إلى كل مَن يحيطون بنا من جيران أو متعاملين، وهكذا .

ومن صور جبر الخواطر -أيضاً – الكلمة الطيبة، قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ – سُورة إبراهيم .

هكـذا، يعلمنـا الله تعالى أن نجبر خاطر مـن نتعامل معهم، ولو بحُسـن الكلمة، لنُدخِل السرور عليهم.

ولقـد أوضح لنا القصص القُرْآني العديد والعديـد من صور جبر الخواطر، أذكر منها ما جاء في سُورة يوسُف – عليه السلام – حيث نجد أن الله تعالى قد جبر بخاطر سيدنا يوسـف، فبعد أن كان سجيناً لسنوات، ظلماً وافتراءً، ظهرت براءته، وأصبح عزيـزاً لمصر (أي: الرئيس التنفيـذي الأول) في البلاد، هكذا كان جبر الخاطر من الله تعالى لسيدنا يوسف – عليه السلام – .

كذلك سيدنا إبراهيم – عليه السلام – تعرض لمآسٍ كثيرة في حياته، حتى ألقوه في النار ليحرقوه، فكان جبر الخاطر له من الله تعالى أن أصبح الأنبياء والرسل من بعده من أبنائه: إسماعيل وإسحاق، فكان هذا جبراً لخاطره من الله تعالى .

وتأتي الآية من الكتاب المقدس مؤكدة على عظم جبر الخواطر : «يَشْفِي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيَجْبُرُ كَسْرَهُمْ» (سفر المزامير ١٤٧: ٣) ، وقد قيل عن السيد المسيح - عليه السلام - في النبوة: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ ولِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ» (إنجيل لوقا ٤ : ١٨) .

فلنتعلم كيف نُسعد الناس؟! ونُرضيهم، ونُدخل السرور إلى قلوبهم بكلمة، أو بصدقة، أو بالمجاملة أو بنُصرة، أو بأي شيء يكون قادراً على إسعادهم .

خُلُق جَبْر الخواطر، خُلُق كريم، لا يقوم به إلا مَن يتمنى أن يجبر اللهُ تعالى خاطره، فمشى يجبر بخاطر أهله، وأصدقائه، ومَن حوله، والمتعاملين معه، وهو يريد أن يُرضي الناس، ويعز عليه أن يجد أمامه مَن أصابه حزنٌ أو ألم، أو ما شابه، فيسعى ليجد مِن محاسن الأعمال ما يمكن أن يَسُر قلبه به، وهكذا ...

هو خُلُق جميلٌ كريم، أفلح مَن تحلى به، واتخذه منهجاً لحياته .

٦٥- خُلق الجِماع

القُرْآن الكريم والسُّنة فيهما إشارات كثيرة لِجماع الزوجين، وحُسن خُلُق الجماع ارتبط باتِّباع ما أمر به الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، في هذا الشأن .

البداية، أن حِفْظ الفرج من مكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ -سُورة الأحزاب، وأضاف في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾- سُورة النساء .

وعلى هذا، فالبداية بالالتزام بتعاليم الله تعالى في أن الجماع لا يكون إلا في حلال، وأساسه المودة والرحمة، أي أساسه علاقة إنسانية فيها كل معاني المودة والتراحم بين الطرفين، وهو ما يؤسِّس للعلاقة تأسيساً سليماً .

ثم إن خُلُق الجِماع يفرض أوقاتاً معينة للجماع، فهناك أوقات يمتنع فيها الجماع، مثل، قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ - سُورة البقرة، أي أنه لا جماع مع الحيض، وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ

لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ – سُورة البقرة، أي أنه لا جماع في نهار رمضان ، أو طوال ساعات الصيام عموماً .

وكذلك في الإحرام للحج أو العمرة، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم ﴾ – سُورة البقرة، أي لا جماع طوال فترة الإحرام للحج أو العمرة .

وخُلُق الجماع يفرض عدة أمور أخرى، أن تُؤتَى المرأة من (قُبُلِها) (موضع التناسل) – فقط –، قال تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ – سُورة البقرة، وقال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ – سُورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ ﴾ – سُورة البقرة .

كلها آيات تفرض أن يكون هناك تناسب بين الطرفين من زوايا مختلفة، كذلك، فإن الطرفين متساويان في هذا الأمر، وفي حديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم

- يقـول لنـا: «وفي بُضْعِ أَحدِكُمْ صَدَقَةٌ، قالوا: يا رَسـولَ اللهِ، أَيَأتي أَحدُنَا شَـهْوَتَهُ وَيَكـونُ له فِيهَا أَجْرٌ؟ قالَ: أَرَأَيْتُمْ لو وَضَعَهَا في حَـرَامٍ أَكانَ عليه فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذَا وَضَعَهَـا في الحَلَالِ كانَ له أَجْرٌ.»، وللجِماع دعاء تعَلَّمَناه من رسـول الله صلى الله عليه وسـلم - عندما تقترب من زوجتك لابد أن تسـمي الله وتقول: (اللهم جنبني الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتني) .

كل ذلـك مـن خُلُق الجماع في القُرْآن والسـنة، فـالله تعالى كما حَـرَّم الزِّنا فقد أباح النِّكاح والجِماع في الحلال، ونظَّمه تنظيـماً دقيقاً حمايةً ورعايةً لـكل الأطراف، وعلى هـذا، فالتخَلُّـق بخُلُق الجِماع في القُرْآن الكريم لـه ثوابه الكبير لأنه طاعة، وفي مخالفته معصية، فخيرُنا مَن التزم بهذا الخُلُق وحافظَ عليه .

أما في الكتاب المقدس فقد وردت عدة آيات، أورد منها هذه الآية: «لِيَكُنِ الزِّوَاجُ مُكَرَّمًـا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمَضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ» (رسـالة بولس الرسـول إلى العبرانيين ١٣ : ٤)، وكذلـك: «لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضًا الرَّجُلَ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ٣) .

ولقد ألمح الكتاب المقدس أيضاً أن أي تباعد فليكن باتفاق الطرفين حتى لا يكون هنـاك خصـام أو احتياج، حيث قال: « ١ وَأَمَّا مِنْ جِهَـةِ الأُمُورِ الَّتِي كَتَبْتُمْ لِي عَنْهَا: فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لاَ يَمَسَّ امْرَأَةً، ٢ وَلكِنْ لِسَبَبِ الزِّنَا، لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ، وَلْيَكُنْ لِـكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا، ٣ لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضًا الرَّجُلَ، ٤ لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِلرَّجُلِ. وَكَذلِكَ الرَّجُلُ أَيْضًا لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَـدِهِ، بَلْ لِلْمَرْأَةِ، ٥ لاَ يَسْـلُبْ أَحَدُكُمُ الآخَرَ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوافَقَةٍ، إِلَى حِينٍ،

لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا لِلصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ، ثُمَّ تَجْتَمِعُوا أَيْضًا مَعًا لِكَيْ لاَ يُجَرِّبَكُمُ الشَّـيْطَانُ لِسَبَبِ عَدَمِ نَزَاهَتِكُمْ، ٦ وَلكِنْ أَقُولُ هذَا عَلَى سَـبِيلِ الإِذْنِ لاَ عَلَى سَـبِيلِ الأَمْرِ، ٧ لأَنِّي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ كَمَا أَنَا. لكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ مَوْهِبَتُهُ الْخَاصَّةُ مِنَ اللهِ. الْوَاحِدُ هكَذَا وَالآخَرُ هكَذَا» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ١ – ٧) .

٦٦- خُلق حُبّ الطّيّبات

هو خُلُق يأبى به صاحبه إلا أن يأكل من حلالٍ، ويرفض أن يُطْعِمَ أولادَه وأسرته من حرامٍ، وهو خُلُق يحتاج إلى تأدبٍ شديدٍ مع الله تعالى، ويقينٍ بأن الله - سبحانه وتعالى - حين يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ - سُورة البقرة، هي رسالةٌ ربانيةٌ جاء بها نَبِيّنا - صلى الله عليه وسلم - ليعلمنا الحلال من الحرام .

ثم تأتي آيات أخرى كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ - سُورة النساء، ونتعلم منها ألّا نأكل آموالنا بيننا بالباطل، فكانت الإشارة أبعد من مجرد الأكل والشرب، وإنما عموماً، فأباح الله التجارة عن تراضٍ بين الطرفين، وحرَّم - بالطبع - المال المكتَسَب من تجارة على خلاف ذلك، كمكسب المال من الربا بالطبع . وقد بيَّن النبي - صلى الله عليه وسلم - فضل أكل الطيبات في حديثه: «أَطِبْ مَطْعَمَكَ؛ تَكُنْ مُستَجابَ الدَّعوة» .

وأكدت آيات الكتاب المقدس ذلك، أذكر هنا الآية: «**الَّذِي يَهْتَمُّ بِالْيَوْمِ، فَلِلرَّبِّ يَهْتَمُّ. وَالَّذِي لاَ يَهْتَمُّ بِالْيَوْمِ، فَلِلرَّبِّ لاَ يَهْتَمُّ. وَالَّذِي يَأْكُلُ، فَلِلرَّبِّ يَأْكُلُ لأَنَّهُ يَشْكُرُ اللهَ. وَالَّذِي لاَ يَأْكُلُ فَلِلرَّبِّ لاَ يَأْكُلُ وَيَشْكُرُ اللهَ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٤ : ٦)، وكذلك: «**لِكَيْ**

يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٣: ١٧)، وكذا الآية :«وَلاَ تَأْخُذْ رَشْــوَةً، لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي الْمُبْصِرِينَ، وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الأَبْرَارِ» (سفر الخروج ٢٣ : ٨) ، وكذلك: «كُلُّ رُشْوَةٍ وَمَظْلِمَةٍ تُمْحَى، وَالأَمَانَةُ تَبْقَى إِلَى الأَبَدِ» (سفر يشوع بن سيراخ ٤٠ : ١٢) .

وأكل الطيبات بمفهوم الطعام، بالطبع، معناه ألّا نأكل ما حرمه الله علينا، وإنما المقصود العام أن نستهدف الحلال في كل حياتنا، وألّا نقبل على أنفسنا أي مالٍ يدخل إلى ذمتنا المالية دون وجه حق . ولعل في الحديث الشريف: «إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً »، وأيضاً في الحديث الشريف: «لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِــهِ» ، وهنا نتعلم ألّا نفرح بمالٍ جاء بالباطل، لأن الثمن سيكون غالياً، وهو النار ، والعياذ بالله .

على الإنسان أن يعلم، وهو في هذه الحياة، أن الله – سبحانه وتعالى – قد كلفه بالسعي، وخص ذاته – سبحانه وتعالى – بالرزق، فيقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ – سورة الملك، والرزق مُقَدَّرٌ وآتٍ لا محالة، ولسنا مُكلَّفين إلا بالسعي، وعلينا بالرضا بما قسم الله تعالى لنا، وأن نحافظ على أموال الناس، وألّا نأكلها بالباطل، وألّا نقبل رشوةً أو ما شابه، فعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:«لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرَّاشِــي وَالْمُرْتَشِي» ، كلها أمور تخلط المال الحرام بالمال الحلال، فتلوث المال جميعاً، ويصبح ككوب اللبن الذي تلوث بالشوائب .

أكل الحـرام أصبح آفةً أصابت مجتمعاتنا، وما أكثـر القضايا المتداوَلة في المحاكم، ومبعثهـا مِـن عدم الرغبـة في إعطاء الناس حقوقهـا، أو عن اختـلاسٍ، أو سَرقةٍ، أو نصبٍ، أو رشوةٍ، وغيرها .

كلهـا أمـور تحتاج منا إلى مراجعة الخُلُق منذ الطفولة، وأن نسـأل أنفسـنا ما الذي عَلَّمَنـاه لأولادنـا في المدارس من هذا القبيـل، هل حدثناهم، ولـو في حصةٍ واحدةٍ، طول مشـوارهم الدراسي، عن فضل المال الحلال، والمكسـب الحلال، وعن خطورة المال الحرام مجتمعياً، وعند الله تعالى في الآخرة، يتعين علينا أن تكون مناهجنا مصممةً لبناء المجتمع على الوجه الذي يُرضينا، ويَرضى به اللهُ عنا .

علينا أن نبحث عن الجوهر، وأن نتحلى بالمصداقية، ونحاسب أنفسنا: ماذا قدمنا للمجتمعات لتحسين هذا الخُلُق، خُلُق حُبّ الطيبات؟! .

إن هذه دعوةٌ للجميع أن نضع هذا الأمر نُصب أعيننا، وأن يكون لنا من الأفعال التي نُحسِّن بها هذا الخُلُق، يوماً بعد يومٍ، وألَّا نكتفي بالتباكي على ما نراه، وإنما نكون ساعين أن يكون الغد أفضل من اليوم، وأن نأخذ بالأسباب لتحقيق هذا الهدف .

أذكـر في بداية مشـوار حيـاتي، كان لدي ثلاثة مطاعـمٍ، وبالطبع لم أفكـر يوماً أن أقدم خمراً فيها، رغم أن التراخيص تسـمح بذلك، إلا أنني قدَّمتُ الشيشة، لمدة عامٍ، وكانت مكاسـبها خرافيةٌ، ويومـاً ما دخلت على ابني فوجدته يتنـاول طعام الغداء، وقلـت: يـا ويلتا، أنا أقدم الشيشـة في مطاعمي، وقد تسـبب السرطان، والأمراض، والعياذ بالله، للناس، وأتكسـب من هذا لأُطْعِم نجلي، كيف سيكون وأنا أطعمه من مـالٍ غـير طيبٍ، وهنا وفقنـي الله تعالى – من فضلـه عليَّ – أن أتوقف فـوراً عن بيع

الشيشـة، واستغفرت الله على ما فات، ولكني أُطمْئِن القارئ، لقد تعرضتُ لاختبارٍ بنقصٍ شديدٍ في المبيعات، ولكن وفقني الله تعالى أن أثبت على موقفي، ففتح الله تعالى مـن فضله عليَّ أبواباً أوسـع وأفضل بكثيرٍ، أدعوا الجميـع أن يتفكروا، وأن يراجعوا أنفسهم، وأن يُكْثِروا من الفلاتر لتفادي دخول مالٍ مشبوهٍ إلى مالهم .

وأعـود - هنـا - إلى أكل الطيبـات بالمعنـى اللفظـي، أي الطعام والـشراب، فإن الله تعـالى - مـن رحمته بنا - جعل المباح هو الكثير، والمُحَـرَّم أقل القليل، وكذلك في الشراب، فالأصل الإباحة، إلا نوع واحد هو الخمر .

أكل الطيبـات تجـارةً مع الله تعالى، ولا خاب من تاجر مع الله، فهو في مكسـبٍ في دنياه وأخراه، بإذن الله تعالى .

٦٧- خُلق الحُبّ في الله

الحُبُّ مِن أسمى وأرقى العواطف الإنسانية، فإذا توجهت هذه العاطفة النبيلة لله تعالى، وكانت محور العلاقات بين الناس، لأزالت كثيراً من الصعاب، وأثمرت كثيراً من الثمار الطيبة، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «**إن من عباد الله أناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى**». قالوا: يا رسول الله، تخبرنا مَن هم؟!، قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحامٍ بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ اللَّهَ يقولُ يومَ القيامةِ: أينَ المُتحابُّونَ بجلالي؟ اليومَ أظلُّهم في ظلِّي، يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلِّي**»، وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله، ذكر منهم: «**ورجلان تحابّا في اللهِ، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه**». وهنا أذكر الحديث لعلنا نكون واحداً من هؤلاء السبعة، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –«**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ، أخْفَى حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»

ومن آيات الكتاب المقدس التي تحدثت عن فضل المحبة في الله: «**لِتَصِرْ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٦: ١٤)، وكذلك: «**وَادِّيــنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٠)، وغيرها الكثير .

إن الحُبَّ في الله مِن أفضل وأعظم الأعمال، فيُحِب كلٌّ منا الآخَر، ويشعُر أنه صديقٌ وصاحبٌ له، يطمئن إليه، ويأنس به، وليس هناك هوى، أو مصالح دنيوية، اللهم إلا الألفة والمحبة فقط، إذا ما وجدت حولك مثل هذا الصديق فهو رزق من عند الله تعالى، فبادله الحُبَّ بالحُبّ، فهذا أصبح عُمْلة نادرة .

٦٨ـ خُلق الحَذَر

خُلُق الحذر، وأعني به الاستعداد، والتأهب، والاحتياط والأخذ بالأسباب، والتَّنبُّه، إنه خُلُق يُحِب الله تعالى أن يرى عباده عليه، فالإنسان الحَذِر هو الذي يخطو خطواته بحسابات دقيقة، وهو بعيد عن التَّهوّر والتَّسرع، ولذا يكون أكثر حِكْمة وتوفيقاً، لأنه يأخذ من المقدمات ما يُمكِّنه من المضى فيما يريد وفقاً لحساباته، ولقد أمرنا الله تعالى صراحة بالتحلي بهذا الخُلُق في آيات كثيرة، منها، قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ – سُورة المائدة، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ – سُورة النساء، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ – سُورة النساء.

كلها آيات تَحُثُّ على أن يكون الإنسان متنبهاً لما يحدث حوله، ويحسب حساباته، حتى أنه في مجال الأسرة طُلب منا الحذر، ففي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ - سُورة التغابن، في هذا يطلب منا الله تعالى أن نحذر - حتى - من أقرب الناس إلينا، وهو أمر ليس بمُستبعَد، فالقَصَص القُرْآني مَلِيء بزوجات كُنَّ على غير خُلُق أزواجهن، كامرأة نوح وامرأة لوط، يقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ ﴾ - سُورة التحريم .

وكذلك حينما حكى سيدنا يوسف عليه السلام الرؤية لأبيه سيدنا يعقوب، ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ ﴾ - سُورة يوسف، فحذَّره أبوه من أن يحكي الرؤية لأخوته خشية أن يكيدوا له، كما أخبرنا عن ذلك القُرْآن الكريم، فيقول تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾ - سُورة يوسف .

ومن أمثلة الأبناء العاقين ابن سيدنا نوح - عليه السلام -، الذي رفض اتِّباع دِين أبيه، بل رفض نصيحته عند الطوفان، فكانت النتيجة غرقه، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢

قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ – سُورة هود .

وكذلك وصفَ اللهُ تعالى الابنَ الضالّ، والعاقَّ لوالديه، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله، فلا يستمع لنصيحتهما، ويزداد تمرّداً على الله، وتمادياً في جهله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِى وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾– سورة الأحقاف، فالله تعالى يعطينا العِظة من هذه القصص لنكون حَذِرين.

وعلى هذا فخُلُق الحَذَر مطلوب مع الأعداء، وفي حياتنا مع أهلنا، وفي حركاتنا، وانتقالاتنا، ومعاملاتنا، وما عباداتنا والتزامنا مع الله تعالى إلا حذر من دخول النار، وطمع في دخول الجَنَّة .

ومن الكتاب المقدس نقف على هذا الخلق، كما في الآية من إنجيل متي: «**وَلكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ**» (متي ١٠ : ١٧)، وكذلك: «**انْظُرُوا، وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ**» (إنجيل متى ١٦ : ٦)، وكذلك الآية «**تَحَرَّزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ الَّذِي هُوَ الرِّيَاء**» (إنجيل لوقا ١٢ : ١)، وكذلك: «**وَأَمَّا الأَقْوَالُ الْبَاطِلَةُ الدَّنِسَةُ فَاجْتَنِبْهَا**» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٢ : ١٦)، وكذلك: «**اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ**» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٥ : ٨) .

هـو خُلُق أسـاسي، طُلِب منـا أن نتحلى به، فلنتحـلَّ به، ولنُعلِّمـه لأبنائنا ليكونوا حَذِريـن دون تزيُّـد، حتـى لا ينقلـب الأمـر إلى «وَسْوَسَـة»، ودون نقصـان، فيكون الإنسان مهملاً لا يكترث بما حوله، فيقع في الخطأ أو الخطر، مرة تلو الآخرى .

فلنتحلَّ بهذا الخُلُق باعتدال، فخير الأمور أوسطها.

٦٩ـ خُلق حُسْن الجِوَار

أعطى الله – سبحانه وتعالى – للجار قدراً كبيراً للغاية، فلقد أوصى أن نُحسن إليه كما نُحسن لوالدينا، فقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ – سُورة النساء .

تخيلوا معي أن الله تعالى يأمرنا – في أمر الجار – أن تكون معاملته مثل معاملة الوالدين من برٍّ وإحسان، فله علينا حقوق كثيرة، فخُلُق حُسن الجوار من مكارم الأخلاق الأساسية، والتي جاء النبيّ محمد – صلى الله عليه وسلم – ليعلمها لنا، ويفهمنا إياها، فأمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –بإكرام الجار، وقال لنا: «**خيرُ الأصحابِ عندَ اللهِ خيرُكم لصاحبِه، و خيرُ الجيرانِ عندَ اللهِ خيرُكم لجارِه** »، وأحاديث شريفة أخرى عَلَّمَنا بها رسولنا – صلى الله عليه وسلم – أن نُكرم جارنا، ونُطعمه مما أنعم الله تعالى به علينا، وأن نعطيه مما نحب، وأن نحترم خصوصيته، فنخفض من صوتنا، ولا نُزعجه، ولا ننظر إلى خصوصياته، وألا ندخل عليه حتى يأذن لنا بالدخول، وأن نحفظ سِرَّه، وأن نُشاركه أحزانه وأفراحه، وأن نتواصى معه بالخير والحق .

ولقـد أكدت آيـات الكتاب المقـدس على هذا الخلـق، فتقـول الآية: «مَنْ لاَ يُحِبُّ [جـاره] لَمْ يَعْرِفِ الله» (يوحنا الأولى ٤ : ٨)، وفي حسـن معاملتهـم يقول : «فَلْيُضِئْ نُورُكُـمْ هكَـذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَـرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَـنَةَ، وَيُمَجِّـدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّـمَاوَاتِ» (إنجيل متى ٥ : ١٦)، وكذلك : «وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا، فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرّ، يُمَجِّدُونَ (الأمم) الله فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٢: ١٢) .

الجـار، كَتَبَ الله تعالى أن يكون بجوارك، وتكون بجواره، هو يرى مشـترواتك، ويرى سـيارتك، ويرى ظروفك المعيشية، عموماً، وكذلك أنت ترى ذلك. وأولاده يختلطـون بـأولادك، وربـما زوجتـك بزوجته، وهنا قال رسـول الله – صـلى الله عليه وسـلم –: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَـبْعَان وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَـى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ»، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «ما زال جبريلُ يُوصِيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنه سيورِّثُه»، وكلنا يعرف القول المأثور: «النبي وصَّى على سابع جار» .

والجار في عصرنا توسـع تعريفه – من وجهة نظري –، فسـائق سـيارتك جارك ، لأنه معك بالسـيارة طـوال النهار . وموظَّف أمن العمارة جارك، بل سـائقو وخادمو جيرانـك بالعـمارة هـم جيرانك لأنهم يشـاهدون بأعينهم مـا أنعم الله بـه عليك مِن نِعـم، فلترزقهم منها، وليكن لهم نصيب، فإذا اشـتريت فاكهة أو لحماً تذكرهم، ولو بالقليل، وإذا كان عندك طعام زائد أطعمهم، وهكذا .

خُلُـق حُسـن الجوار من مكارم الأخـلاق، فلنُدَرِّس هذا الخُلُـق الكريم في مناهج العلـم، وفي إعلامنا، وفي خطابنـا الديني، ونُعلِّمه لأبنائنـا، لأن البعد عن هذا الخُلُق

يخْلُق المشاحنات والصدامات والصراعات، والضحايا، والمآسي، وهو خُلُق يقينا شرَّ كل ذلـك، بل ويجعلنا من السـعداء، ويقربنا من الله تعالى، فإكرام الجار والإحسـان إليه ليس اختيارياً، وإنما له علينا حقوق أُمِرْنا بها . وخيرُنا من تخَلَّق بهذا الخُلُق الحميد الكريم .

٧٠- خُلق حُسْن العِشْرة

أمرنا القُرْآن الكريم أن نتحلى بخُلُق حُسن المعاشرة أو العِشرة، وقد جاءت آيات كثيرة تتحدث عن حُسن المعاشرة والعِشرة عموماً، منها – على سبيل المثال – آيات تتحدث عن معاشرة الأزواج، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ – سُورة الروم، لنعرف أن الغرض من الزواج هو أن يسكن كلٌّ منا للآخر، وأن تكون بيننا المودة والرحمة، فإذا أردنا أن نُعَرِّف حُسن المعاشرة أو العِشرة، فهي العِشرة التي فيها السكينة والمودة والرحمة، ومن حُسن العِشرة أدب الاختلاف، بل يأتي التقييم الحقيقي لحُسن العِشرة حينما نختلف، فإذا كان بصدد طلاق – لا قدر الله – فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ – سُورة النساء، ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ

ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ – سُورة الطَّلاق .

والكتـاب المقدس مليء بالآيات التي تحث على خلق حسـن العشرة، منها: «**يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَه**» (رسالة بولس الرسـول إلى أهل أفسس ٥: ٢٨)، وكذلك الآية: «**أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ**» (رسـالة بولس الرسـول إلى أهل أفسس ٥: ٢٢-٢٤)، وكذلك: «**أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٥: ٢٥)، وكذلـك الآيـة: «**فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هكَذَا كَنَفْسِـهِ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٥: ٣٣)، وكذلك:«**لطف المرأة ينعم رجلها**» (سفر يشوع بن سيراخ ٢٦: ١٦)، وكذلك: «**يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا**» (سفر التكوين ٢: ٢٤)، وكذلك الآية: «**لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضًا الرَّجُلَ**» (رسـالة بولس الرسـول الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ٣) .

كلها آيات تدعو أن يمتد حُسن العِشرة إلى لحظة الاختلاف، وألا يتدنى الإنسان ويخرج عن عِشرته الحَسَنَة، حينما يختلف لطلاق أو ما شابه .

وحُسن العِشرة هو خُلُق يمشي به الإنسان في الأرض بين أصدقائه ورفاقه وزملائه ومَن حوله، فيجب أن يكون إنساناً ودوداً، ذا رحمة، ويمشي بين الناس بهذا الخُلُق .

وكما قال رجلٌ لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – «إن فلاناً رجل صدق . فقال له عمر: **هل سافرت معه ؟** قال: لا . قال: **فهل كانت بينك وبينه معاملة؟** قال: لا . قال:

فهل ائتمنته على شـــيء ؟ قال: لا . فقال عمر بن الخطاب: إذاً، أنت لا تعرفه». لأن في السفر اختلاطاً ومواقفَ ومعاملاتٍ يظهر فيها مَعدِن الإنسان، والعِشرة الطيبة .

وحُسْـن العِـشرة – أو الصحبـة – لا يكـون فقـط في وقـت الاتفاق، بـل الامتحان الحقيقي يكون في وقت الاختلاف، فيعلمنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: **«أرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ»** .

فحُسـن العِشرة مطلوب في جميع الحالات، في أحوال الاتفاق: باللين والمسـاعدة، وبالتخَلُّـق بالأخـلاق الطيبـة، وفي لحظـة الاختـلاف: بالاعـتراف بالحـق وبالعفـو وبالإحسان .

بيـوت كثـيرة خُربـت، وأعداد الطَّـلاق تتزايـد في مجتمعنا، فوصلت إلى نِسَـب لم نسـمعها مـن قبل، ولعل من أسـبابها الابتعاد عن هـذا الخُلُق، خُلُق حُسـن العِشْرة، وقوامـه المـودة والرحمة، فـكان عكس المودة والرحمة – وهو التشـاجر والتشـاحن – خاربـاً للبيـوت مِـن حولنا، ولو تحلى الناس بهذا الخُلُـق، وتحمَّل بعضهـم البعض، وتسـامحوا وتـوادوا لحافظـوا على بيوتهـم، وعلى اسـتقرار حياة أولادهـم، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ – سُـورة البقرة، وينسحب المعنى إلى أن يتذكر كل واحـد الأفعـال الطيبة للآخر، والرصيـد الإيجابي الذي قدمه من حُسـن العِشرة والمعاملـة الطيبة، فالمعاملات الإنسـانية كالحسـاب البنكي، لها رصيـد دائن ومَدِين، فنكثر من رصيد الدائن، بحسـب المعاملة، ونقلل مـن رصيد المدِين، ولنتذكر لحظة الخلاف، ما للطرف الآخر من رصيد دائن لدينا، فليس كل الرصيد مَدِين، وهكذا .

أرسل الله تعالى أنبياءه ،وآخرهم سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –، ليعلمونا هذا الخُلُق ضمن الأخلاق الكريمة . فلننتبه ونحن نتعامل مع مَن حولنا في بيوتنا، أو مناحي حياتنا، ونتعامل بمودة وتراحم، وأن نكون لَيِّني الطبع، حَسَني الظن، نقدم الخيرات، ولا نستبق المشاحنات، لعلنا نُكتب عند الله تعالى – بإذنه – من حَسَني العِشرة .

١٧- خُلق حُسْن الظَّن

حُسْـن الظن خُلُق من مكارم الأخلاق حدثنا عنه النبي – صلى الله عليه وسـلم – فيقول: «**إنَّ حُسـنَ الظنِّ باللهِ من حُسنِ العبادةِ.**»، فحُسن الظن من صميم العقيدة، أي أن نعرف قدرة الله تعالى، ونعرف أنه يريد لنا الخير ، ونثق في ذلك، ونعرف أن الله قديـر فوق كل شيء، فإن جارَ علينـا أحد، وطلبنا من الله أن يُنجيِّنا مما نحن فيه، فإنه يتعين أن يصاحب ذلك حُسْن الظن بالله واليقين أنه سميع، وأنه قادر .

آيـات كثـيرة يخبرنا فيهـا الله تعالى عن الذين ظنـوا خيراً بالله تعـالى، وظنوا – هنا – أي علمـوا أن هنـاك حسـاباً، وأنهم سـيلاقون ربهـم، وأن الله عنـده العدل، فكل واحد سـيأخذ حقه، يقـول الله تعـالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ سُـورة الحاقـة ١٩ – ٢٣ ، وآيـات كثيرة أخرى عن حُسـن الظن منهـا، قولـه تعـالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ سُورة البقرة .

هذه الآيات تُعلمنا حُسن الظن بالله، أي أن نكون على ثقة وتصديق وإيمان كامل بما قاله الله تعالى في كتابه الكريم، وبما أرسل إلينا، وأن الجَنَّة حق، وأن وعده لا يخلفه، وأنه قادر حقاً، وأنه ناصر حقاً، ونتوكل عليه بحسن الظن هذا .

ومـن وجهة نظري – وعلى هذا – فحُسـن الظن خُلُق مـن أخلاقيات التعامل مع الله تعـالى، فحينـما نطلب منه شيئًا يتعين أن يكـون يقيننا أنه قادر عليه، وأنه سـوف يستجيب لنا – بإذنه –، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – أخبرنا في الحديث القدسي: «أَنَـا عِنْدَ ظَنِّ عَبْـدِي بِي، وَأَنَا مَعَـهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِن ذَكَرَنِي في نَفْسِـهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفسِـي، وإنْ ذَكَرَني في ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملإٍ خَيْرٍ منْهُمْ» ، وهذه دعوة من الله للتفاؤل والاستبشار، وكأنه – سبحانه – يقول لنا: اقتربوا، تحابوا، وسبحانه القائل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾– سُورة البقرة، والله تعالى يؤكد لنا هذا المعنى في قولـه تعـالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ – سُـورة البقرة، وفي ذلك دعوة لأن نُحسن الظن فيما يقابلنا في حياتنا .

فلنُحسـن الظـن بـالله تعـالى، ولنجعل حُسـن الظن خُلُقـاً نمشي بـه في الأرض، ونتعامل به مع الله تعالى .

وإذا كنا في حياتنا نقول: (إن المتهم برئ حتى تثبت إدانته)، فهذا من قبيل حُسـن الظـن الـذي يجب أن نتحلى به، فنفترض حُسـن نية وبراءة مَـن نتعامل معهم، إلى أن يثبت العكس .

فالإنسـان الـذي يمشي، وهو يظن في كل شيء سـيُرْهَقُ ويُرْهِـقُ مَن حوله، وربما كانت صحبته تعيسة .

والآيـه الكريمـة تقـول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ – سُورة الحُجُرات ١٢، وهي تؤكد أن الأصل هو البراءة، والأصل هو حُسن

الظن بالغير، وهذا خُلُق المسلم الذي يتعامل به مع الناس، فإن أراد أن يكون خُلُقه يُرضي الله فليحسن الظن في الناس، إلى أن يثبت له أنهم غير أهل لهذه الثقة .

وإلى ذلك ذهبت آيات الكتاب المقدس، أذكر منها (المحبة): «**وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣ : ٥)، وعن الجهاد الروحي للمؤمنين يقول: «**هَادِمِينَ ظُنُونًا**» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١٠ : ٥)، ويعني ذلك وجوب محو كل ظنون خاطئة تمثل أسواراً بيننا وبين الله أو الناس .

فلنُحسِن الظن بالله، ولنُحْسِن الظن في معاملاتنا مع الناس، ولنتحلَّ بخُلُق كريم أمرنا به الله ورسوله .

٧٢- خُلق حِفْظ الأيمان

وهـو خُلُق من أخـلاق الالتزام والوفـاء بالعهد، فلقد عَلَّمَنا رسـولنا – صلى الله عليه وسـلم – أن للأيمان والقَسَم خُلُق خاص، فإن صاحبه ليس أمامه إلا أن يفي بما أقسم عليه، لأن ذنبه عند الله تعالى كبير إذا لم يوفِّ به .

لقد عظَّم الإسلام من شأن اليمين، وحذَّر من التساهل فيه لأنه عهد وميثاق يجب أن يُعطى حقـه، قال تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ – سُـورة المائـدة ٨٩، والمعنى: أقلّوا من «الأيمان» لما فيه من البِر والتقوى، فإن الإكثار يعرض صاحبه للحنث (أي: عدم الوفاء) وقلة مراعاة لحق الله تعالى، ولهذا فقد أمر الله تعالى – مَن يخالف ما أقسم عليه، بأداء كفارات متنوعة، من صيام لفترات، وما إلى ذلك .

فصاحـب هـذا الخُلُق يعـرف خطورة القَسَـم، فهو لا يقسـم إلا مضطـراً، ولأنه يعـرف أنه ليس لـه صلاحية العدول بعـد ذلك، فالله تعالى يقـــول: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠﴾ – سُورة القلم ١٠، يعني كثير الحلف، وقال تعالى عن المنافقين: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ – سُـورة المجادلـة ١٤، فبين سـبحانه وتعـالى في هذه الآيات أن الحلـف الـكاذب من صفـات المنافقين . ويقـول تعـالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ

﴿لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٢٥﴾﴾ - سُورة البقرة .

والكتاب المقدس، أيضاً، يحث على الالتزام بالقَسَم واحترامه، فتقول الآية: «**إِذَا نَذَرَ رَجُلٌ نَذْرًا لِلرَّبِّ، أَوْ أَقْسَمَ قَسَمًا أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ بِلاَزِمٍ، فَلاَ يَنْقُضْ كَلاَمَهُ. حَسَبَ كُلِّ مَا خَرَجَ مِنْ فَمِهِ يَفْعَلُ**» (سفر العدد ٣٠: ٢) .

وللأسف الشديد فإن مَن يتابع شاشات التليفزيون، وما يجري من حوارات حولنا، يجد أن كلمة» أقسم بالله» تقال، وللأسف الشديد - لا يحسب حسابها، وكذلك نرى الأطفال في الشوارع يرددون ذات القَسَم، ولا يعلمهم أحد أنه لا يجوز لهم أن يقسموا هكذا، وألَّا يرددوا ذلك في حديثهم العادي، ولا تدرك قنوات التليفزيون أنها باستضافة مثل هؤلاء الضيوف ممَّن يُقْسمون لسبب ولغير سبب، إنما يُعلِّمون ويُثقِّفون الأجيال ما لا يُحِبه الله تعالى، ولا يرضى عنه .

كذلك، فإن كلمة (عليَّ الطَّلاق) يرددها الناس في الشارع، وكأنها كلمة عادية، ولقد نُهينا أن نقولها في غير موضعها، ودون أن نفهم ونقصد معناها، لأن أثرها واقع، ولو قيلت على سبيل الهزل، حسبما يرى جمهور الفقهاء .

وعلى هذا فإن التحلي بخُلُق (حِفْظ الأيمان) من مكارم الأخلاق، لأن صاحبه لا يتحدث بما لا يعقل أو يقصد أو يتحمل مسئوليته، وفي ذات الوقت إذا أقسم أَوْفَى بما أقسم عليه، فهو يحترم كلمته، وصادقٌ فيما يقول، وأظن أن ذلك يكون أيضاً مسلكه فيما لا يقسم عليه، فهو قد اعتاد أن يوفي بكلمته، وأن يكون كما نقول: (صاحب كلمة) .

٧٣- خُلق حِفْظ حُقُوق المِلْكِيَّة لصاحبها

وهـذا من الأخلاق الكريمة التي أكد عليها سـيدنا محمد – صلى الله عليه وسـلم –، ومفاده ألَّا يدَّعي أحدٌ قيامه بعملٍ ما قام به غيره، أو أن ينسب إلى نفسه شيئًا – في حقيقـة الأمر – سـبقه إليه غيره، وكأننا نتحدث عن حفـظ حقوق الملكيَّة لصاحبها، وعـدم التعـدِّي عليها، يقـول تعـالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨﴾ – سُورة آل عمران، فالخُلُق الذي نتعلمه من هذه الآية هو: أن نحترم ما قام به الآخرون مـن أعـمالٍ، وألا نتعـدى على عمل أحدٍ فننسـبه إلى أنفسـنا بغير حـق، ويأخذ نفْس الحُكم، وفي تقديري ألا نغش في الامتحانات، لأننا نأخذ اجتهاد غيرنا، ونستفيد منه، وبالتـالي نضيع عليه تميزه في الدرجات عن غيره لاجتهاده، واسـتعداده للامتحانات بصورة أفضل من الذي يغش منه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول هنا: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**» .

والكتـاب المقـدس قد وردت به آيات عدة تتحدث عن فضل هذا الخلق، أذكر منها: «**تُهْلِـكُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَـذِبِ. رَجُلُ الدِّمَاءِ وَالْغِـشِّ يَكْرَهُهُ الرَّبّ**» (سـفر المزامير ٥ : ٦)، كذلك: «**يَقْطَعُ الرَّبُّ جَمِيعَ الشِّـفَاهِ الْمَلِقَةِ وَاللِّسَانَ الْمُتَكَلِّمَ بِالْعَظَائِمِ**» (سفر المزامير ١٢ : ٣)، وأيضاً : «**شَاهِدُ الزُّورِ لاَ يَتبَرَّأُ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالأَكَاذِيبِ لاَ يَنْجُو**» (سفر الأمثال ١٩ : ٥).

وعلى هذا، فهذا الخُلُق يتطلب منا أن نُعطي كل ذي حقٍ حقه، وألَّا نقبل أن نأخذ حـق غيرنـا، بل نحفظ لكل مجتهد حَقَّه، في أن يُنسـب إليه ما قام بإضافته أو اختراعه أو كتابته، أو ما شابه .

وهكذا، فإن هذا الخُلُق من مكارم الأخلاق التي يُحِبها الله .

٧٤ - خُلُق الحِلْم

الحِلـم: «أن تصِل مَن قطعك، وتعطي مَن حرَمك، وتعفو عمَّن ظلمك»، والحِلم لغةً، هو: عدم التسرع، والحِلم صفة من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى إذ يقول تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ - سُورة البقرة، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ - سُورة آل عمران، وغيرها الكثير من آيات القُرْآن الكريم .

كذلـك فـإن الحِلم صفة من صفـات الأنبياء، فيذكـر الله - عزَّ وجَـلَّ - في كتابه سيدنا إبراهيم، وسيدنا شُعَيب، وسيدنا إسماعيل ويصفهم بالحِلم، فيقول تعالى عن سيدنا إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ - سُورة هود، وقوله تعالى عن سيدنا شعيب: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ - سُورة هود، وقوله تعالى عن سيدنا إسماعيل: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ - سُورة الصافات.

كما وَرَدَتْ آيات قرآنية عديدةٌ تُشير إلى هـذا الخُلُق الفاضل، يقـول تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ - سُورة آل عِمْران، وهي آيات نتعلم منها العفو، وضبط النفس، وعدم التسرع .

لقد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى التحلِّي بهذا الخُلُق الفاضل في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة؛ حيث قال: «مَن كَظَم غيظًا وهو قادر على أن يُنفذه، دعاهُ الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يُخيِّره مِن أيِّ الحُور العين شاء» ؛ وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاثة مَن كُنَّ فيه آواه الله في كنفه، وستر عليه برحمته، وأدخله في محبته . قيل: ما هن يا رسول الله ؟ قال: من إذا أُعطِيَ شَكَر، وإذا قَدِرَ غفر، وإذا غضب فَتَر »، ويقصد بذلك صاحب خُلُق الحِلم، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من لانتْ كلمتُه، وجبتْ محبَّتُه، وحِلْمك على السفيه، يكثر أنصارك عليه» .

فيجب علينا أن نتصف بالحِلم، حتى إنْ واجهنا الناسُ بجلهم علينا، ونتذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ - سُورة الفرقان ٦٣ .

وأخيراً أقول: ما أحوجَنا إلى التحلِّي بهذا الخُلُق الكريم؛ حتى نكُون مِن الذين يُنعم عليهم الحليم - عزَّ وجَلَّ - بالثواب العظيم .

ومن آيات الكتاب المقدس العديدة الدالة على عِظَم خلق الحلم ـ أذكر: «غَيْرَ مُدْمِنِ الْخَمْرِ، وَلاَ ضَرَّابٍ، وَلاَ طَامِعٍ بِالرِّبْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ حَلِيمًا، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلاَ مُحِبٍّ لِلْمَالِ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٣: ٣)، وكذلك: «لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا» (إنجيل متى ٥: ٣٩)،

وكذلك الآية: «**لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّـرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ**» (رسـالة بولس الرسول إلى أهـل روميـة ١٢: ٢١)، وكذلـك: «**مَـنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَـرَى أَيَّامًا صَالِحَةً، فَلْيَكْفُفْ لِسَـانَهُ عَنِ الشَّرِّ وَشَـفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بِالْمَكْرِ**» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١٠-١٢)، وكذلك: «**الطويل الأناة يصبر إلى حين، ثم يعاوده السـرور**» (سـفر يشوع بن سيراخ ١: ٢٩) .

كل هـذا يُؤَكِّـد لنا عِظَم هذا الخُلُق، وهو خُلُق مَن لديـه القدرة العالية على ضبط النفـس، والصبر على مضايقات الغير له، والعفو عند المقدرة . فلنحاول جاهدين أن نُدرب أنفسنا على هذا الخُلُق العظيم، وأن نُدرب أبناءنا عليه، ونُبين لهم فضل الحِلم عند الله عزَّ وجَلَّ .

٧٥- خُلق الحَمْد

والحَمْـد - هنا - أعني به الرضا والشكر، فمن الناس مَن نسـأله كيف حالك؟، ويقـول: «رضـا والحمدلله» . فهو راضٍ بكل ما قـدَّره ورتَّبه الله له في حياته، يَعتبر أن الله تعالى قد سـترها معه سـتراً كبيراً، يعلم معنى الآية الكريمة : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ - سُـورة البقرة ٢١٦، هـو يثق في أن الله تعالى يعطيه الخير . هذا الخُلُق الكريم هو خُلُق الحامدين .

في الحيـاة كثير من الامتحانات للإنسـان على صـورة ابتـلاءات متنوعة، مرض، وفـاة عزيـز، نقص في المـال، ظُلم، وهكذا، كلهـا امتحانات يمر بها الإنسـان، وأهم الناجحـين هم الحامدون، الصابرون، الشـاكرون، لأنهم قد آمنـوا بالقضاء والقَدَر، خيره وشره، فأتم الله عليهم بنعمة الحمد والرضا، فقد نجد فقيراً ابتُلي بفقره، ولكنه راضٍ، وقد نجد غنياً ولكنه غير راضٍ، وغير حامد، وغير شاكر .

والحمد هو أسـاس السـعادة، فمن حمد سَـعِد، ومن لم يحمد هو في تعاسـة وشـقاء، والحامدون أعد الله لهم أجراً كريماً، فآيات القُرْآن الكريم كثيرة في هذا المقام، منها قول الله تعـالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾ سُـورة إبراهيم ٧، وقال تعالى ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ - سُورة آل عمران ١٤٤ .

وهذا الخُلُق من الأخلاق التي تحتاج إلى تدريب وإعداد، سواء للكبير أو الصغير، فكلمة (الحمد لله) تحتاج منا أن نعلمها لأولادنا، وأسرتنا، ومَن حولنا، كيف يرضون بما لديهم، ويسعدون أنفسم بما رزقهم به الله تعالى، ولا ينظرون إلى ما في يد غيرهم ؟! وكيف يعرفون أن إرادة الله هي التي قسمت الأرزاق، وأن الإنسان لا يكون له إلا أن يرضى، ويحمد الله، فهذا سبيل الزيادة، فسبحانه وتعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ – سُورة إبراهيم ٧ .

صاحب هذا الخُلُق يثق في عدل الله تعالى، فإن كان لم يأخذ حظه من المال، أو الصحة، فيعرف أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الدنيا إلى زوال، وأن الدار الآخرة هي الحق، فالله هداه إلى هذه الطريقة في التفكير، والتي ينتج عنها الحمد، رغم المعاناة والشدة .

والزوجة الحامدة هي نِعمة لزوجها، وكذلك الزوج الحامد، وعلى العكس مِن ذلك مَن لا يحمد الله يكون ذلك سبباً لشقائه وتعاسته .

وهذا الخُلُق لا يمنع من الطموح، فلا تعارض بين الحمد والطموح، لأننا مكلفون بالسعي، أما الأرزاق فهي على الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾– سُورة المُلك ١٥ ، وعلى هذا ليس معنى أن إنساناً يعمل في وظيفتين – ليكفيَ حاجة بيته، أو يسهر في ساعات عمل إضافية – أنه غير حامد، فالسعي واجب وشرف لصاحبه .

ولقد حث الكتاب المقدس على هذا الخلق، وجاءت آيات عديدة تبين فضل هذا الخلق، أذكر منها: «**كُونُوا شَاكِرِينَ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣: ١٥)، وكذلك: «**أَشْكُرُ إِلهِي فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ**» (رسالة بولس

الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١ : ٤)، وكذلك: «**وَلكِنْ شُكْرًا ِللهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ**» (رسـالة بولس الرسـول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ : ٥٧)، وكذلك الآية: «**وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَـــاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ**» (رسالة بولس الرسـول إلى أهل كولوسي ٤ : ٢)، وكذلك: «**إذا كنتم في سـلامة، وكان أولادكم وكل شـــيء لكم على ما تحبون، فإني أشكر الله شكرًا جزيلاً**» (سفر المكابيين الثاني ٩ : ٢٠) ، وكذلك: «**نَشْكُرُ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَـــةِ جَمِيعِكُمْ، ذَاكِرِينَ إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِنَا**» (تسـالونيكي الاولي ١ : ٢)، وكذلك الآية: «**فَشُكْرًا ِللهِ عَلَى عَطِيَّتِهِ الَّتِي لاَ يُعَبَّرُ عَنْهَا**» (كورنثوس الثانية ٩ : ١٥) .

وأخيراً، فَكَمَا أن هناك (حمداً لله تعالى)، فإن هناك (شـكراً للناس)، وصاحب هذا الخُلُق هوشاكرٌ لكل مَن يُحْسِن إليه، ويُفْصِح عن هذا قولاً وعملاً .

إذا أردتـم السـعادة فالبداية (الحمـد لله)، اللهم لك الحمد والشـكر حتى ترضى، آمين .

٧٦- خُلق الحَياء

ومعناه لغةً: الحشمة، والاستحياء، يعني (خجل من)، وضدّه الوقاحة .

عَلَّمَنا سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - أن الحياء من أعظم مكارم الأخلاق فقَال: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقا، وَخُلُق الإِسْلامِ الْحَيَاء**»، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبارَكَ وتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**».

فما أعظم خُلُق الحياء، وهو من الأخلاق التي تُرى بالعين، فنجد رجالاً ونساءً بهم هدوء وأدب وتواضع ولين، تلمس في وجوههم الحياء، ردودهم لا تُحْرِج أحداً، وقد لا يجيبان على سؤالٍ ما مِن باب الحياء، كالمرأة التي تُخطَب وتستحي أن ترد بالإيجاب، فسكوتها مُعبِّر عن رأيها لحيائها، قال - صلى الله عليه وسلم - «**لا تُنْكَحُ الأيِّم حتَّى تُسْتَأْمَرَ، ولا تُنْكَحُ البِكْرُ حتَّى تُسْتَأْذَنَ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وكيفَ إذْنُها؟ قالَ: أنْ تَسْكُتَ**»، (الأَيِّمُ هي المرأةُ الَّتي سبقَ لها الزَّواجُ قبل ذلك، والبِكرُ هي المرأةُ الَّتي لم يَسبِقْ له الزَّواجُ، وقد نهى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عَن تَزويجِ كُلٍّ منهما بِغيرِ إذنِهما) .

ولكن الله أمرنا ألا نستحي من الحق، فهناك مواقف يتعين فيها ألا نستحي فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ

طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ - سُورة سُورة الأحزاب .

وعلى هذا فعلينا ألا نخشى في الحق لومة لائم، ولا نستحي، ولكن علينا – في ذات الوقت – أن نتحلى بخُلُق الحياء ونحن نمشي بين الناس، وندخل عليهم في مجالسهم، وبيوتهم، وأشغالهم .

الحياء: أدبُ الحديث والمخاطبة والمعاملة، وعكسه – في لغتنا العامية – «التَّبَجُّح»، أو كما نقول «وِشّه مَكْشُوف»، وكلها من الأخلاق المذمومة .

أفلا يُحِب كلٌّ منا أن يوصَف بهذا الخُلُق الحميد الكريم ؟!

إن الحياء يحتاج إلى تهذيب ومراجعة النفس، ويحتاج منا أن نعلمه لأبنائنا في بيوتهم ومدارسهم، فحياء المرأة مما يرفع من قدرها مجتمعياً، فما أجمل أن يكون حياء المرأة يجعلها تتحشم في ملبسها عن قناعة منها، ونظراتها فيها الحياء، إنها أخلاقٌ حميدة يجب العمل الجاد لحمايتها ورعايتها .

كذلك، حياء الرجل، باحترامه للجميع، ولخصوصياتهم، وعدم النظر إلى ما لا يخصه تأدباً واحتراماً منه للآخرين، وعدم الرغبة في أن يجرح مشاعرهم، هذا خُلُق نتمناه لأولادنا .

أُمُّنا السـيدة عائشـة – رضي الله عنها – قالت: «كان رسول الله – صلى الله وعليه وسـلم – مضطجعاً في بيتي، كاشـفاً عن ساقيه، فاسـتأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتَحَدَّثَ، ثم اسـتأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم اسـتأذن عثمان، فجلس رسـول الله صلى الله وعليه وسلم، وسوّى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: يا رسول الله، دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُبَاله، ثم دخل عمر فلم تـهْتَشَّ له ولم تُبَالِه، ثم دخل عثمان فجلسـتَ وسـوّيتَ ثيابك، فقال رسـول الله: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

أما عن الكتاب المقدس فآياته عديدة في هذا الخلق، أذكر منها: «**كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ، ٢مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ. ٣وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ الشَّـعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلِبْسِ الثِّيَابِ**» (بطرس الاولي ٣: ١-٤)، وكذلك الآية: «**وَكَذلِكَ أَنَّ النِّسَـاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْـمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٢: ٩) .

ما أجمل خُلُق الحياء إذا ما زيَّن بناتِنا وأولادَنا، فكان مظهرهم وكلامهم ونظراتهم فيهـا مـا فيها من التأدب والحياء، إنها أخلاقيات تتناقـص، ونحن مطالَبون بالحرص عليهـا، وبإحيائهـا، لأنها أخلاق كريمة يُحِبها الله تعالى، ويُحِب أن يرى عباده متحلين بهذا الخُلُق الكريم .

٧٧- خُلق الخَشْيَة مِن الله

وصاحب هذا الخُلُق لا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى، لقد علم ما ينتظر الذين يخشون - أي يخافون - الله يوم القيامة، من جناتٍ وفوز عظيم، يقول تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ - سُورة النور، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ - سُورة المُلك .

وصاحب هذا الخُلُق لا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى، فقد علم أنه محظورٌ عليه أمورٌ قليلةٌ، وأُبيحت له أمورٌ كثيرةٌ، وأنه في حياته موضع اختبارٍ، وهو لا يريد أن يُغْضِب الله تعالى، لأنه في - ذات الوقت - لديه طمعٌ كبيرٌ في رحمة الله، وفي الفوز بما وعده به الله سبحانه وتعالى، في قوله: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ - سُورة الأعراف، فَهِم صاحبُ هذا الخُلُق أنه قد يفارق الحياة في أي لحظةٍ، ولهذا لا يضمن أن يكون لديه وقتٌ للاستغفار، ولهذا فهو لا يقترب من المحظورات خوفاً من الله، ليفوز بجنته ويتقي عذابه .

ولأن العلماء والمتفقهين في الدين يفهمون - جيداً - المباح وغير المباح، وثواب هذا، وجزاء هذا، يعرفنا الله أنهم - من المفترض أن يكونوا - أكثر الناس خشيةً لله، لأن

علمهم عرفهم قدرات الله عزَّ وجلَّ، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ - سُورة فاطر .

والله - سبحانه وتعالى - يُخبرنا أن الخشية واجبةٌ، فهي خُلُق الحريص على التجارة مع الله، فخشيته من الله هي جهاز المناعة الذي يبعده عن المحرمات، والله يُحِب أن تخشاه عبادُه، وضرب للعباد مثلاً في القُرْآن الكريم أنه لو أنزل هذا القُرْآن على جبل لتصدع من خشية الله، وذلك في قوله سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ - سُورة الحَشْر .

ومن الكتاب المقدس أذكر عدة آيات على سبيل المثال من ضمن الآيات الكثيرة التي بينت فضل الخشية من الله، منها: «**مَخَافَةُ الرَّبِّ أَدَبُ حِكْمَةٍ، وَقَبْلَ الْكَرَامَةِ التَّوَاضُعُ**» (سفر الأمثال ١٥ : ٣٣)، وكذا: «**الحكمة والتأديب هما مخافة الرب، والذي يرضيه هو الإيمان والوداعة، فيغمر صاحبهما بالكنوز**» (سفر يشوع بن سيراخ ١ : ٣٣-٣٥)، وأيضاً: «**الغنى والقوة يعزان القلب، لكن مخافة الرب فوق كليهما**» (سفر يشوع بن سيراخ ٤٠ : ٢٦)، و «**طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ، وَيَسْلُكُ فِي طُرُقِهِ. لأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ، طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لَكَ**» (سفر المزامير ١٢٨ : ١، ٢)، وكذلك: «الغني والمجيد والفقير، فخرهم مخافة الرب» (سفر يشوع بن سيراخ ١٠ : ٢٥) .

لا ننسى شياطين الإنس (الأشرار من أصدقاء السوء)، فهم يحاولون دائماً أن يزيلوا هذه الخشية من قلبك بإغراءاتٍ عديدةٍ، وربما يقولون لك: إنك ما زلت صغيراً، ويمكنك الالتزام بتعاليم الله حينما تكبر، وتأخذ حظك من الدنيا، ومن يضمن عمره يوماً واحداً ؟!

كذلك لا تنسَ أن النَّفْس - ذاتها - أَمَّارةٌ بالسوء، وتدفعك لاتباع شهواتك وغرائزك، متحدياً تعاليم الله، فَتَحَلَّ بالنفس اللّوامة وزكِّ نفسك، أي نقِّها، وقربها من الله، وتذكَّر دائما أنك إذا أردتَّ أن تتحدى، فتحدى مَن تستطيع أن تتحداه، لأن قوتكما متناسبتان، أما أن تتعدى حدود الله فهذا تحدٍ لا أحد يقدر عليه، صحيحٌ أن الله غفورٌ رحيمٌ يُحِب عباده التوابين، ولكن مَن يضمن أن يتفضل الله ويمنح الأجل، ويوفق الإنسان للعودة والتوبة ؟!

الله أحق أن تخشاه، فمن خشي ربه وعده بالجَنَّة، وما أجمل الجَنَّة، إنها أهم ما يستحق أن نتنافس عليه ونتمناه .

٧٨- خُلق خَفْض الصَّوْت

قد يتعجب البعض أن خفض الصوت من مكارم الأخلاق، بل قد يقول البعض: أنا خُلِقتُ هكذا (صوتي عالي)، ولكن الله تعالى أرسل لنا قرآنه، ونبهنا إلى هذا الخُلُق بصيغة الأمر، فتقول الآية الكريمة عن وصية سيدنا لُقمان - عليه السلام - لابنه: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ - سُورة لقمان.

والحِمار ذو صوت عالٍ، فكان وصفاً قاسياً لصاحب الصوت العالي من جانب سيدنا لقمان، وقد أثنى سبحانه على مَن يتحدث بصوت خافت، في أكثر من موضع، فقال تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾- سُورة طه، وقال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣﴾ - سُورة القلم، وأخبرنا سبحانه وتعالى أن أهل الجَنَّة لا تسمع لهم إلا همسا، فقال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾ - سُورة طه، بل أخبرنا الله - سبحانه وتعالى - أن غضّ (خفض) الصوت هو امتحان من الله تعالى للقلوب، ويثاب عليه المرء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ - سُورة الحُجُرات.

وقد أكدت آيات الكتاب المقدس على هذا الخلق، أذكر هنا: «**الأَحْمَقُ يَرْفَعُ صَوْتَهُ عِنْدَ الضَّحِكِ، أَمَّا ذُو الدَّهَاءِ فَيَتَبَسَّمُ قَلِيلاً بِسُكُونٍ**» (سفر يشوع بن سيراخ ٢١: ٢٣)، وكذلك:

«أَسْمِعِينِي صَوْتَكِ، لأَنَّ صَوْتَكِ لَطِيفٌ وَوَجْهَكِ جَمِيلٌ» (سفر نشيد الإنشاد ٢: ١٤)، وقيل عن السيد المسيح عليه السلام: «لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَه» (إنجيل متى ١٢: ١٩).

وفي حياتنا ينزعج الناس كثيراً من أصحاب الصوت العالي، لأن الإنسان ذا الصوت العالي قد يُزعج مَن حوله، أو ربما قد ينتج عن علوِّ صوته أثناء الحديث استماع مَن ليس له صلة بهذا الحديث، بما قد يكشف أسراراً، أو أخباراً ربما ليس من الحصافة (الضروري أو المفروض) أن يعرفها مَن حوله، ولكنه لعدم قدرته على خفض صوته أذاع بذلك سِراً، أو أعلم مَن حوله - دون أن يقصد - بأمور كان يتعين أن يحفظها، فلينتبه كلٌّ منا إلى أن هذا الخُلُق خُلُق كريم، يثاب عليه المرء، وهو دليل على التأدب، وهو أسلوب حديث أهل الجَنَّة، وهو طاعة لأمر إلهي شديد الوضوح.

فإذا كان منا مَن اعتاد على الصوت العالي، فعليه، بعد إدراك هذا، أن يُدرِّب نفسه، أن يكون صوته منخفضاً، وألا يرفع صوته كما اعتاد، فالله يُحِب أن يرى عباده في تقرب إليه، والسعي لخفض الصوت هو سعي لطاعة الله والالتزام بأوامره.

كنت أتحدث - مرة - مع عالِمٍ جليل في اللغة العربية عن الصوت العالي، وهل له حَلّ ؟!، فأجابني إجابة يجب أن يعرفها الجميع: أن الصوت العالي يأتي نتيجة أن الشخص يُخرج الصوت من الحنجرة (الجَوَاب) مستخدماً الأحبال الصوتية فقط، في حين أنه لو تحدَّث من البطن (القَرَار) فسينخفض صوته إلى درجة كبيرة جداً، ويكون الصوتُ أعرض وأضخم، فسألته: وما هو القَرَار ؟! فقال: أن يتحدث مِن بطنه، مِن عند الحجاب الحاجز. فقلتُ له: وهل هذا طبيعي ؟! أنا أتحدث من الحَنْجَرة وليس

مـن بطنـي ؟!، فقال لي: كل المطربين وقُرَّاء القُرْآن يبـدؤون الأداء من بطنهم (أو من القَرَار، على حد وصفه)، وتحدَّث لي مرةً من (الحنجرة)، ومرةً من (القَرَار)، فوجدتُ فارقاً كبيراً فعلاً، وأخبرني أن مَن يسـتخدم الحنجرة كثيراً، يُعَرِّض الأحبال الصوتية للتَّلف، وإنما مَن يتحدث مِن القرار بعيد عن ذلك .

وعلى هذا، فالأمر – فقط – هو تدريب، يحتاج ذو الصوت العالي أن يتدرب عليه، بالحديـث مـن (القَرَار) أي مـن (البَطن)، بدلاً من (الحنجـرة) . علمتُ بعد ذلك أن أشـهر المطربين لا يتناول الطعام قبل الغناء بسـاعات طويلة كـي تكون بطنه خالية، ليخرج منها الصوت أفضل، وعلى هذا فتدريب بسيط يقربنا إلى الله تعالى .

فلنُعلِّم أولادنا، ونتواصى فيما بيننا، أن نخفض أصواتنا، لنتحلى بهذا الخُلُق الكريم .

٧٩- خُلق الدَّفع بالَّتي هي أَحْسَن

(بَدِّي المعروف)

هذا خُلُق ما أروعه، فصاحبه قد فهم واقتنع بالأمر الإلهي في الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾- سُورة فُصِّلَت - فأخذ منه منهجاً لحياته، وخُلُقاً يمشي به بين الناس، فصاحب هذا الخُلُق لديه قناعة أن يزرع معروفاً طالما مشى بين الناس أملاً في أن يحصد معاملة حَسَنَة من الجانب الآخر، ويأخذ بقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ - سُورة الواقعة، أي يكون أكثر حرصاً أن يبادر هو بصنع المعروف . وقد أمرنا الله تعالى أن نتحلى بهذا الخُلُق، وهو يتطلب درجة متقدمة من جمال الشخصية، فصاحب هذا الخُلُق مبادراته دائماً سباقة للمِّ الشمل، وإنهاء الخصام، وتأليف القلوب .

ومن الكتاب المقدس أذكر الآية: «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (إنجيل متى ٥: ٤٤)، وكذا: «إذا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أو حِمَارَهُ شَارِدا تَرُدُّهُ إليه. إذا رأيتَ حِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعا تَحْتَ حِمْلِهِ وَعَدَلْتَ عَنْ حَلِّهِ فَلا بُدَّ أن تَحِلَّ مَعَهُ» (سفر الخروج ٢٣: ٤، ٥)، واللتان تؤكدان على خلق الدفع بالتي هي أحسن .

والدفـع بالتي هي أحسـن بالقول، أو بالمواقف الطيبـة، أو بالإنفاق ،أو بالوقوف إلى جانـب شـخصٍ مـا في أزماته ،أو بأي عمـل تكون صورته لدى المسـتقبِل خطوة طيبـة إلى الأمـام، لأنه مبادرة للصلِح . و هو منهـج إيحائي بمعنى: أن الله تعالى يخبرنا أن هذا الأسـلوب طالما أتى بنتائج فعالة في إنهاء الخصومات، بل وتحويل الخصم إلى وليٍّ حميم (صديق قريب) .

أضرب – هنا – مثلاً: ما فعله الرئيس الراحل أنور السادات، بذهابه إلى الكنيست الإسرائيـلي لعـرض السـلام، وكان ذلك دفعاً بالتي هي أحسـن ، فأنهـى – بذلك – الحرب، وجاء السلام .

الزوج مع زوجته، والشريك مع شريكه الذي تخاصم معه، والصديق مع صديقه الذي اختلف معه، الله يدعوهم أن يتبعوا هذا المنهج .

كلهـا أمور حياتية، نسـتطيع بهذا الخُلُق أن نخطو خطـوات لتجاوز ما حولنا من خلافات، وهو خُلُق لا يتحلى به إلا صاحب القرار، وصاحب قوة الشخصية، الذي يجـد أن مبادأته بالمعروف لا تُنقص من قدره، بـل تزيد ،لأنه يثبت للطرف الآخر أنه مترفِّع عن الخلاف، وأنه يُبَدِّي المعروف، أي يبدأُ به، رغبة منه في إنهاء الخصومات .

وأعتقـد – وهـذا على حد فَهْمِـي – أن روعة هذا الخُلُق هو أن يفعله صاحبه ليس طمعاً في أن يجني الثمار فوراً، ولكن يفعله ثقةً فيما أمره به الله تعالى، والعمل الصالح إن لم يجـن الإنسـان ثـماره حال حياته، فهو بـاق عند الله تعالى يضاعفـه أضعافاً كثيرة لا يعلمهـا إلا هـو . فلنزرع في دنيانا كلما مشـينا، نـزرع حُبّاً، نـزرع مصداقية، نزرع مسـاعدة،، نـزرع صدقة، نزرع مواقـف رجولية، فهذا كله خُلُـق أمرنا به الله تعالى، ورسوله – صلى الله عليه و سلم – ، وأَوْلى بنا أن نتَّبعه ونتحلى به .

وهنا يتعين عليَّ أن أكتب مترحماً على والدي عليه رحمة الله، الأستاذ عبد المجيد عامر المحامي، فكثير من المواقف كنت أجد فيها من يقف ويتصدى ليساعدني في مطلبي، أو يساعدني في إنجازِ ما تقدمت به وطلبته، ويقول لي: أأنت ابن فلان ؟، فأقول: نعم، فيقول: الآن أرد إليك جميل أبيك في عنقي، فقد دافع عني،، ووقف بجانبي إيماناً منه ببراءتي، وأنا سعيد أن أرد للابن موقف أبيه .

عايشتها عدة مرات في حياتي، وفي مواقف مختلفة، وكان دائماً – عليه رحمة الله – لا ينتظر نتائج الزراعة، وإنما كان يوصيني أن أزرع الخير دون أن أعبأ بشكر أو جحود، وكان لا يعلم أن أولاده سوف يجنون ثمار زراعته من بعده .

وهنا تحضرني قصة «سفانة» ابنة حاتم الطائي عندما وقعت في الأَسْر عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فخلَّى سبيلَها (أطلق سراحها)، وعفا عنها، بل أعطاها الهدايا والعطايا، و لما سُئِل عن ذلك صلى الله عليه و سلم، قال: قد كان أبوها يحضُّ على (يدعو إلى) مكارم الأخلاق، وإنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق .

لقد جنت «سفانة» ثمار ما زرعه أبوها حاتم الطائي، وفي هذا دليل على أن من يزرع مع الله تعالى سيكون له حصاد يوماً ما، وإن لم يدركه هو، فسيكون في ميزان حسناته، وربما دفع الحصاد عن ذريته ضرراً، أو استفادوا منه، وفي جميع الأحوال هو في ميزان حسناته يوم القيامة، فهذا خُلُق الطائعين، المسلمين، المُستجيبين لأمر الله، وهو من مكارم الأخلاق .

٨٠- خُلق ذِكْر المَحَاسِن

نهى النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – أتباعه عن الغيبة . وجاء ذلك في قولـه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ – سُـورة الحُجُرات، فالآية الكريمة تشبِّه مَـن يغتاب أحداً (أي: يتحدث عنه سـلباً، وعلى غير ما يُحِب) بآكل لحم أخيه، وما أبشـعه تشبيهاً، يدل على كُـره هـذا الفعل . وأيضاً الآية الكريمة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ – سُـورة الهمزة، والهُمَزة تعنى: المغتاب للناس، والويل هو اسم وادٍ في جهنّم، أو هو العذاب والهلاك .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ – سُـورة الإسراء، «وَلَا تَقْـفُ» هنـا معناهـا: هو ألا تصف أحداً في غيبته بما يسوؤه .

فالحديث عن الناس في غيبتهم بما يسوؤهم، أو وصف الناس بما ليس فيهم خُلُقٌ سـيِّىء، لا يُحِبه الله ورسـوله، وعلى هـذا – وبمفهوم المخالفة – فإن الله يُحِب حُسْـن الكلام الذي فيه ذِكر لمحاسـن الناس، وليس فيه مسـاوىء النـاس، فخُلُق الامتداح خُلُـق لابـد أن نمشي به، وأن يكون منهجنا، فنكف في جلسـاتنا عـن ذِكْر الناس إلا

إذا ذكرنا محاسـنهم، أما مساوئهم فلا نقترب منها ولا نذكرها، فهذا شيء جميل، لأن الإساءة للناس شيء غير مقبول بصريح نَصّ الآيات .

والكتاب المقدس ذهبت آياته إلى الحثِّ على ذِكر المحاسـن، وتجنُّب ما دون ذلك، في عدة مواضع، أذكر منها: «**النمام ينجس نفســه ومعاشرته مكروهة**» (سفر يشوع بن سـيراخ ٢١: ٣١)، وكذلك: «**النمام وذو اللســانين أهلٌ للعنة**» (سـفر يشوع بن سيراخ ٢٨: ١٥)، أيضاً: «**في الكلام كرامة وهوان ولســان الانسان تهلكته. لا تدع نمامًا ولا تختل بلســانك، فإن للسارق الخزي ولذي اللسانين المذمة الشديدة**» (سفر يشوع بن سيراخ ٥: ١٥-١٧)، وفي : «**بِعَدَمِ الْحَطَبِ تَنْطَفِئُ النَّارُ، وَحَيْثُ لاَ نَمَّامَ يَهْدَأُ الْخِصَامُ**» (سفر الأمثال ٢٦: ٢٠) .

فليكـن خُلُقنـا ذِكر محاسـن الناس، وعـدم الغيبة، لكى نكـون متخَلَّقين بمكارم الأخلاق .

٨١- خُلق الرَّأْفَة

الرأفة تعني: التخفيف والتلطف بالناس، وهي صفة من صفات الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ – سُورة البقرة، فالله تعالى هو الرؤوف .

وعلى نفْس المعنى جاءت آيات الكتاب المقدس: «الرب رؤوف رحيم يغفر الخطايا ويخلص في يوم الضيق» (سفر يشوع بن سيراخ ٢ : ١٣)، وكذا: «الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ» (سفر المزامير ١٠٣ : ٨)، وكذلك: «طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ» (إنجيل متى ٥ : ٧) .

وكذلك فإن خُلُق الرأفة هو خُلُق النبي – صلى الله عليه وسلم – كما تؤكد الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ – سُورة التوبة .

كما تبين لنا الآيات الكريمات أن الرأفة صفة من صفات المؤمنين من أتباع سيدنا عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ – سُورة الحديد .

والرأفة خُلُق كريم، دُعِينا إليه، وهو من أخلاق المؤمنين، لأن المتخَلِّق بالرأفة قلبُه مليء بالرحمة والحكمة والرفق بمن حوله، فهو يُغلِّب التخفيف، ولا يتمسك بكل ما يمكنه أن يفعله، مادام لم ينهاه الله عزَّ وجَلَّ عن استعمال تلك الرأفة، فقد وردت آية كريمة تنهى عن استعمال الرأفة، في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ - سورة النور، ولكن لإقامة مثل هذا العقاب، وضع الله تعالى شروطاً شديدة وقوية، لإثبات الاتهام في حق المتهَمَيْن، إلا إذا كانا قد اعترفا، فينفذ فيهما الحُكم، كما سبق .

ومن أمثلة استعمال الرأفة: القاضي - مثلاً - في أحكامه، فَلَه إذا ما تلمس أسباباً تدعوه لاستعمال الرأفة مع مَن يحاكمه، أن يستعمل هذا الحق . وكذلك المُدرِّس مع تلاميذه، مثلاً .

إن التخفيف واستعمال الرأفة - حال العقاب على أمرٍ ما - مُسْتَحب، الأب مع أبنائه، وصاحب العمل، أو المدير مع مرؤوسيه .

أُعْطي - هنا - مثلاً آخر في الرأفة في حياتنا، فقد يجلس مَن يستطيع في مطعم شهير، أسعاره غالية، فيطلب أنواعاً من الطعام، وهذا حقُّه بالتأكيد، وإنما الرأفة - هنا - أن ذلك العامل الذي يأخذ منه الطلبات، أجره وظروفه محدودان، فمن الرأفة الحديث دون تفاخر، وإكرامه بالقول، وربما بـــــ (بقشيش) مُعْتَبَر، مراعاة لظروفه.

وقد يذهب شاب مقتدر لشراء ساعة من محل، ووافق أبوه المقتدر على شرائها له، ولا غبار في هذا، إنما عليه أن يرأف بالبائع الذي قد يكون في مثل سِنِّه، ولكن بالطبع

ظروفه المالية مختلفة تماماً، فربما قال له: إنها لوالديه - مثلاً -، أو أرسله أحد لشرائها له، مراعاة لظروف هذا الشاب البائع، وربما أكرمه بالقول، أو بالتصدق عليه مراعاة له، إن أمكنه ذلك .

وفي حياتنا عموماً - من كريم الخُلُق - ألا يكون الإنسان قاسياً ومتشدداً، فالأصل هو استعمال الرأفة والتخَلُّق بها .

فلنراجع أنفسنا، ونتحلى بخُلُق الرأفة ما استطعنا، لعلنا نُكْتَب عند الله تعالى من الذين في قلوبهم رأفة، ومن يطلب الرأفة من الله - سبحانه وتعالى - يوم الحساب، عليه أن يكون رصيده من الرأفة مع الناس يسمح بطلبه هذا .

٨٢ـ خُلق الرُّجولَة

خُلُق ما أجمله، أن يتصف الإنسان بالرجولة، ولا علاقة لهذا – بالطبع – بنوع الجِنْس، أي أنه ذَكَرٌ، فخُلُق الرجولة لا يتصف به كل الرجال، ولكن يتصف به مَن كان يمكن الاعتماد عليه، لمصداقيته وثبات مواقفه، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى أنبياءه بالرجال في القُرْآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ ﴾ – سُورة النحل.

ولقد وصف الله تعالى أصحاب هذا الخُلُق بأنهم يُحِبون أن يتطهروا، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾ – سُورة التوبة ، وأنهم لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذِكْر الله، وأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يقول تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾– سُورة الأحزاب .

وعلى نفس المعنى ورد في الكتاب المقدس الآية: «اسهروا. ثْبُتُوا في الإيمان، كونوا رجالاً. تقَوَّوْا» (رسالة كورنثوس الأولى ١٦ : ١٣) .

وكذلك الرجولة هي الصِّدق فيما تم التعهد فيه مع الله تعالى، وهو ما يميز الرجال، فكما قلتُ: ثبات مواقفهم تجعل الناس يتعاملون معهم بكل ترحاب وإقبال .

ففي التجـارة، صاحب هذه الصفة يُحِب الناسُ التجارةَ معه، لأنه يفي بالتزاماته، ولا يُصَغِّر من نفسه في المواقف، ويُحِب الناسُ أن يناسبوه (يتزوجوا من أبنائه وبناته)، لأنـه يحترم كلمته، ويحترم مواقفه، ويُحِبُّه أصدقـاؤه لأنهم يطمئنون إليه دائماً، فهو لن يتخلى عنهم، لأنه وفيّ .

وقد تتحلى السـيدات بهذه الصفات ولكن لا نطلق عليها صفة الرجولة، وإنما في أقوالنا المأثورة نقول: (ست بمئة راجل) أو (جدعة) .

أصحـاب المواقـف الثابتة، أصحـاب خُلُق محترم، فلابـد أن نُعَلِّـم أولادنا تحمل المسئولية، والاعتنـاء بمـن حولهـم، وأن يوفـوا بالتزاماتهـم، وأن يكونـوا ملتزمين بكلمتهم، كي نُرَبِّي رجالاً تَنهض بهم أمتنا .

٨٣- خُلق الرِّفْق

الرِّفق لغوياً: هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، واللُّطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه، وأيسرها، وهو ضدّ العنف .

والرفق له دعوات كثيرة في القُرْآن الكريم، فالرِّفق بالحيوان وردت فيه آيات، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ - سُورة طه، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ - سُورة يس، والرِّفق هنا يكون بالرعاية، والاعتناء .

وقد عاب القُرْآن الكريم على أهل الجاهلية ،حيث كانوا يَشُقُّون آذان الأنعام، ويقطعون سنام الجَمَل (جمع أسنمة)، فبيّن لنا أنهم خاسرون، قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ

﴿وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ – سورة النساء، ليبين لنا أن المساس بالحيوان، وعدم الرفق به مرفوض، وخُلُق مَنْهِيٌّ عنه، بل إن الرفق والرعاية خُلُق دُعِينا إليه في الآيتين الكريمتين: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ – سُورة طه، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ – سُورة السجدة .

وكذلك أعطى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المثل في رعاية الحيوان والرفق به، في سُنَنه، وأذكر هنا حديثه الشريف: «**مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلاَّ سَأَلَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عَنْهَا ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِّ وَمَا حَقُّهَا قَالَ «يَذْبَحُهَا فَيَأْكُلُهَا وَلاَ يَقْطَعُ رَأْسَــهَا يَرْمِي بِهَا** »، أي أن الصيد للأكل حلال، بالقطع، ولكن الصيد لمجرد الصيد فيه صورة من عدم الرفق بالحيوان، ويُسْأل عنه الإنسان .

وقد أخبرنا رَسولَ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ –، أن امرأة عُذِّبتْ، لأنها حبستْ قطة فماتت، حيث قالَ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ حَبَسَــتْها حتَّــى ماتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فيها النَّارَ** قالَ: فقالَ: **واللَّهُ أعْلَمُ: لا أنْتِ أطْعَمْتِها ولا سَقَيْتِها حِينَ حَبَسْتِيها، ولا أنْتِ أرْسَلْتِها، فأكَلَتْ مِن خَشاشِ الأرْضِ**» .

أما عن الرِّفق بالإنسان، فلعلَّ أهم آية تحدثنا عن ذلك، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ – سُورة الأنبياء، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ – سُورة التوبة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ - سُورة البلد، وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ - سُورة آل عمران، حتى لمَّا طلب الله تعالى من سيدنا موسى وهارون - عليهما السلام - أن يذهبا إلى فرعون، أمرهما بلين القول، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ - سُورة طه، ولننظر إلى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **«يا عائشة عليك بالرّفق وإيّاك والعنف والفحش»**، وقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: **«إنّ الرّفق لا يكون في شيء إلّا زانه، ولا يُنْزَع من شيء إلّا شانه»**، (أي: عابه) .

آيات كثيرة، وسيرة نبوية ما أكثر، تدعو إلى الرفق واللين، والتراحم واللطف .

وكذلك آيات الكتاب المقدس عديدة في خلق الرفق، أذكر منها: **«بَلْ كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا»** (تسالونيكي الاولي ٢: ٧)، وأيضاً: **«وَعَبْدُ الـرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًا بِالْجَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ»** (تيموثاوس الثانية ٢: ٢٤) .

خُلُق كريم علينا أن نعرفه ونتحلى به .

٨٤- خُلق رِقَّة المشاعِر

وهذا الخُلُق درجة عالية من مكارم الأخلاق، فصاحبه قد بلغ حداً كبيراً من الترقق، والمشـاعر المرهفة، أي شديدة الحساسية، ولقد أشـارت إليه الآيتان الكريمتان، قوله تعـالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ - سُـورة المائدة، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ - سُورة الأنفال .

هؤلاء الذين وصلوا بأخلاقهم إلى ما يُرضى الله ورسوله، فرضى الله عنهم، وزرع في قلوبهم هذه المشـاعر الجيَّاشـة، فيبكون إذا ما سـمعوا القُرْآن، ووجوههم يملؤها الحياء، والإيمان، والطاعة، والتسليم لله .

اللهم اجعلنا منهم يارب، وارضَ عنا، كما رضيت عنهم، نحن نطلب منه الهداية والرشـاد، فسبحانك صدقت فيما قلتَ، وقولك الحق: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ - سُـورة القصص، أي: الله يهدي - من الناس - مَن يشاء الهداية، فاللهمَّ اهدنا فيمن هديت، وارزقنا هذا الخُلُق الكريم .

وهذا الخُلُق – في رأيي الشخصي – ينسحب – كذلك – إلى معاملاتنا مع الناس، فمَن بكى حينما سمع القُرْآن الكريم، لأنه أصبح حساساً، يشعر بمعاني الكلمات التي يسمعها، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ – سُورة الأنفال، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ سُورة الإسراء .

في حياتنا، نحن مطالبون بأن نشعر بمَن حولنا، فلا نكون جامدي القلب، بل نألم لألمهم، ونشاركهم أفراحهم وأحزانهم، ونجبر بخاطرهم .

فهذا خُلُق يُحِب الله تعالى أن يجدنا وقد تخَلقْنا به .

وآيات الكتاب المقدس قد أشارت إلى هذا الخلق الكريم في الآية: «**فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ رَأَى جَمْعًا كَثِيرًا، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا كَخِرَافٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا، فَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا**» (مرقص ٦: ٣٤) .

٨٥ـ خُلق الزُّهْد

والمعنى اللغوي لهذا الخُلُق، هو: أن ينظر الإنسانُ إلى الدنيا، ويعلم أنها إلى زوال، وأن ما عند الله هو الباقي، وصاحب هذا الخُلُق - خُلُق الزُّهد - لا تُغريه جوائز الدنيا، بل تغريه جوائز الآخرة، إيمانه أوصله إلى يقين أن ما عند الله خيرٌ وأبقى، وأن الله قد صدق قوله إذ يقول تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ - سُورة الحديد، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ - سورة آل عمران، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾- سُورة الأعلى.

وقد جاءت في الكتاب المقدس آيات كثيرة، أذكر منها: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم ... لان كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ... والعالم يمضي وشهوته» (رسالة يوحنا الأولى ٢: ١٥-١٧)، وكذلك:

«لتكن سيرتكم خالية من محبة المال كونوا مكتفين بما عندكم لأنه قال لا أهملك و لا أتركك.»(عبرانيين ١٣ : ٥) .

مِـن الناس مَن تشـغله الدنيا أكثر من اللازم، فهو يريد الشُّـهرة، وأن تكون دائرة علاقاتـه واسـعةً، واجتماعياتـه لا حصر لها، ولا يُـدرك أن هـذه الاجتماعيات – غير المحسـوبة – قد تكون سـبب تعاسـته في الدنيا، وشـقائه في الآخرة، هو يريد المال أو السُّلطة، ولا يُدرك أنها لا تدوم، فسبحانه يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ – سُـورة آل عمـران، حُبُّـه للوصـول إلى هذه الأمـور المادية أو الدنيوية، قد يدفعه إلى طريقٍ خاطئٍ، أو لا يرُضي الله، أما ذو خُلُق الزُّهد، وهو خُلُق الفاهمـين، الذين يعرفـون الفوز الحقيقـي، ويدركونه، فطريق فوزه هـو مرضاة الله، والتقرب إليه، ولهذا فإن خُلُق الزهد خُلُق كريمٌ من مكارم الأخلاق .

يجب علينا جميعاً أن نؤهل وندرب أنفسنا على أن نتعلق بما هو باقٍ، وألا نتعلق بما سـنفارقه، وما هو باقٍ هو وجه الله، والآخرة حقٌ، والجَنَّة حقٌ، والزهد طريقٌ للفوز بالجَنَّة .

٨٦- خُلق السَّداد

خُلُـق السَّـداد، أعني بـه أن يكون خُلُق الإنسـان عدم قبول أن يكـون عليه التزام لأحد غير مُسَدَّد، طالما بإمكانه السَّداد .

مِن الناس مَن يعتبر أن عدم السداد نوع من الذكاء أو (الفَهْلَوَة)، حسب ما نقول في لغتنا العامة، وأن إرجاء السَّـداد فيه فرصة لتشـغيل المال بشـكل أو بآخر، فيجني منه أرباحاً - من وجهة نظره - إلى أن يضطر للسداد، حتى أصبحت ظاهرة مجتمعية واضحة، فكثرت قضايا الشِّـيكات بدون رصيد على الرغم من أن الشِّـيك في وصفه القانوني هو سَنَد يقابله رصيد قائم، وقابل للصرف .

والـذي يدفـع للعجـب أن بعض الممتنعين لديهـم بالفعل ملاءة للسـداد، فيكون امتناعه ليس عن ضيق حال، أو عدم توافر المبلغ معه، وإنما هو خُلُق سيِّئ لا يُحِب الله تعالى أن يرى عباده عليه .

الـزوج الـذي طلـق زوجته وعليه نفقـة لأولاده، نجـد آفة الامتناع عن السـداد، فامتـلأت المحاكم بالقضايا للمطالَبة بالنفقة، على الرغم من أن الامتناع عن السـداد قد لا يكون مبعثه ضيق الحال، أو عدم القُدرة، إنما مبعثه العَنَت في الخصومة أو ضيق الصدر من سداد ما عليه، على الرغم من أن الخُلُق القويم هو أن يبادر الإنسان بسداد مـا عليـه، طالما كان ميسراً له ذلك، فـإذا لم يكن متيـسراً فيكون عليـه طلب نظر إلى

مَيْسرة، أي أن يطلب ممَّن هو مدين له إرجاء السداد إلى وقتٍ أو أجلٍ يستطيع أن يُسدِّد فيه .

والسَّداد خُلُق دعانا إليه الله تعالى، في مواضع عدة من القُرْآن الكريم، أذكر منها، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ – سُورة المائدة ١، والعقد لا يشترط فيه – من وجهة نظري – العقد المكتوب الخاص بالبيع أو الشراء، وإنما هو ما تعاقد عليه الإنسان مع مَن حوله من التزامات، وكأن الله تعالى يأمرنا أن نُسدد ما علينا من التزامات .

أَكَمْ من مداخل العمارات السكنية بمصر تجد ورقة موقعة من اتحاد الشاغلين بأسماء مَن لم يسددوا الجُعل الشهريَّ، على الرغم من أنهم يستمتعون بكل خدمات العمارة، ولا يُضيرهم السَّداد، وإنما هو نمط يمشون عليه في المعاملة، وربما قال قائل منهم: أنا لست مقيماً بصفة مستمرة، وينسى أنها من التزاماته، مقيماً كان أو غير مقيم، وهكذا ....

أشكال وألوان في حياتنا اليومية للتهرب من السداد، ولا نجد إشارة في برامج إعلامية أو مناهج تعليمية إلى خُلُق السَّداد على الرغم من أنه عامل أساسي من عوامل استقرار المعاملات بشتى أنواعها .

ولقد يسّر الله تعالى لمن لا يستطيع السداد، فقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠ ﴾ – سُورة البقرة، وفيها تأكيدٌ على أن السداد أمرٌ واجب ومُتَحتَّم، إلا إذا كان هناك اضطرار لعدم السداد، فيُمنَح فرصة أخرى، والفرصة للسداد ليست مِن قبيل الإعفاء، ولكنها تؤكد وجوبية السداد بعد مرور فترة العُسْر .

أتمنى أن يرى أبناؤنا قدوة من أهلهم في التزامهم السداد في موعده المحدد، مادام الأمر ميسوراً، بدءًا من مصاريف المدارس، وجُعل العمارة، والاشتراكات المتنوعة، الكهرباء، الضرائب، وخلافه، فالابن يتعلم مما يشاهده .

كذلك يتعلم الابن والطفل ممَّا كُتِب له في مناهج الدراسة، ولم أسمع في حياتي أن هناك منهجاً دراسياً يُعلِّم أطفالنا الالتزام بالسداد، على الرغم من أننا نعيش في دولة أقصى ما تعاني منه هو عدم التزام فئة – ليست بقليلة – في سداد استهلاكات الكهرباء والمياه والضرائب، وغيرها الكثير.

ألم يَحِن الوقت أن يكون السداد منهجاً يُدرَّس، ليتعلم منه الطفل ألا يستحلَّ مالَ الغير بدءًامن مال الدولة، وأن يتعلم أن ما اتفق على سداده هو حَقٌّ لابد أن يوفيه؟! .

خُلُق الالتزام بالسداد هو خُلُق كريم مطلوب منا جميعاً بذل أقصى الجهد لكي نكون مُحفِّزين عليه تعليمياً، وإعلامياً، وإرشادياً، وفي خطابنا الديني، وفي تربيتنا لأولادنا، والبداية أن ننظر إلى السَّداد على أنه خُلُق يتعين علينا أن نُربِّي النَّشْء عليه بدلاً من عدم وجود تعريف له في حياتنا، فتجرأ عليه القاصي والداني .

وإذا كان المثل الشعبي يقول: «يوم السَّداد عِيد»، فهو بالفعل يُسْعِد المُسدِّد و المسدَّد إليه، لأن المُسْتحَقَّ قد سُدِّد.

وأخيراً، إذا كان الله تعالى يقول: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ﴾ – سُورة النساء ١٢، هذه الآية تتحدث عن توزيع الترِكَة، فلا يجوز توزيع تركة المتوفَّى إلا بعد سداد ما عليه مِن ديون، لأن السَّداد مستحَقٌّ عليه حال حياته، لا يَسْقُط عنه بموته، وإنما يبقى (واجباً) مُستحقاً يُسَدَّد من أموال المتوفَى قبل توزيع تركته على الورثة، سواء أكان ذلك مؤخر صداق لأرملته، أو دَيناً لآخرين .

والكتـاب المقـدس قد جـاءت آياته لتحـث على الوفـاء بالالتـزام، وتزكي خلق السداد، أذكر منها الآية : «فِي يَوْمِهِ (الأجير) تُعْطِيهِ أُجْرَتَه» (سفر التثنية ٢٤ : ١٥)، ويقول داود النبي «أُوفِي نُذُورِي لِلرَّبِّ مُقَابِلَ كُلِّ شَـعْبِهِ» (سـفر المزامير ١١٦ : ١٤)، وكذلك الآية: » فَلاَ تُؤَخِّرْ وَفَاءَهُ (النذر)» (سفر التثنية ٢٣ : ٢١) .

فلنـدرك عِظم هـذا الخُلُق، وليعمـل كلٌّ مِنَّا عـلى أن يكون أكثر التزامـاً في حياته بسداد ما عليه .

وأتذكر هنا، قديماً، كنا نرى الزوجة في الأفلام العربية ومعها أظرف تضع فيها مبالغ مـن راتـب زوجها، هذا للجزَّار، وذاك للخُـضري أو للبقَّال، وهكذا، فكان وصو ل راتب الزوج الشهري تصاحبه دعوة إلى الالتزام بهذا الخُلُق، يُشاهده المُشاهد، ليتعلم منه أنه طالما وصل المال إلى المنزل فيجب أن يكون أول ما تُفكر فيه هو سداد ما قُمت بسـحبه، على سـبيل الاقتراض أو (الشُّـكُك)، كما نقول بلهجتنا العامية، من التجار المحيطـين، أي المبـادرة بسـداد ما عليك مـن التزامات، غاب عَنَّا هـذا في أيامنا هذه، وعِظَم هذا الخُلُق يستحق منا أن يكون من أوليات ما نُحفز مجتمعنـا على التخلق به .

ولعـلَّ فرض الصـلاة في أوقاتها الخمس، وفـرض الزكاة بمقـدار معين، وفرض الصـوم في شـهر محدد، وفـرض الحج، كلها أمـور يُعرِّفنا بها الله تعـالى أنها حقوق لله يجـب أداؤهـا، فهي واجبة السـداد ، ولعـلَّ صلاتنـا في موعد محدد نوع مـن التأهيل للسداد في الميعاد، وهكذا.

فليس الأمر متروكاً لكل شخص يفعل ما يريد، وإنما هناك حقوق يتعين أداؤها، وفي توقيتها المحدد تأصيلاً وإعمالاً لخُلُق السداد، والدليل أن الصلاة والزكاة والصيام

هي عبادات واجبة السَّـداد أنها لا تسـقط بالتَّرْك، وإنما مَن أفطر يوماً لسـبب شرعي عليـه أن يُعوِّضـه أو يسـدده، ومَن لم يـدرك صلاتـه في موعدها فعليـه أن يقيمها أي يُسدِّدها، وكذلك الزكاة .

الخلاصة، في السـداد أداء للأمانة، ورُقيّ في الخُلُق، والإنسان المُلتزم بسداده يَسعد المحيطون به، ويتعلمون منه الالتزام .

وقِمة هذا الخُلُق تأتي حينما يقول الإنسان: مادمت قد قلتها فهي التزام عليَّ، فقد لا يكون الدَّيْن مكتوباً إلا أنه يعرف أنه مُلتزِم به، ويبادر بالسـداد من تلقاء نفسـه ،لأنَّ خُلُقَه الالتزام بالسداد .

أدعو الله تعالى أن يَعُمَّ هذا الخُلُق، ويوفقنا أن نكون مِن المسدِّدين .

٨٧- خُلق السِّرِّيّة

خُلُق كريمٌ آخر من الأخلاقيات، بُعث به نَبِيّنا محمد – صلى الله عليه وسلم –. فتصرُّف الإنسان إما أن يكون جَهْراً، أي مُعلَناً، وإما أن يكون سِرّاً، أي دون أن يعلم عنه أحدٌ شيئًا، وقد أوضحت آياتٌ كريمةٌ أن الله تعالى يُحِب خُلُق السِّر، ولا يُحِب الجهر في أمورٍ معينةٍ، فيقول تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾- سُورة النساء، فهو سبحانه لا يُحِب أن يجهر أحدٌ، أي يخبر الناس بسوء فعله، لما فيه من تجرؤ على الله، ربما توجيهٌ للغير لفعل ذات السوء .

وتقول الآية من الكتاب المقدس (سفر الأمثال ١٣ : ١١): «الساعي بالوشاية يغش السر، والأمين الروح يكتم الأمر»، وكذلك: «**اَلْعَاقِلُ يَكْتُمُ كَلاَمَهُ إِلَى حِينٍ، وَشِفَاهُ الْمُؤْمِنِينَ تُثْنِي عَلَى عَقْلِهِ**» (سفر يشوع بن سيراخ ١ : ٣٠) .

كذلك يُحِب الله تعالى أن تكون عباداتك خالصةً لمرضاة الله تعالى، ولا تبغي منها إعجاب الناس، يقول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ – سُورة الأعراف . كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ – سُورة

البقـرة، فالإنفـاق في الـسِّر أيضاً له درجـاتٌ عند الله، لأن صاحبه لا يريد شـكراً من أحدٍ. وجبراً لخاطر المتلقي، وعدم إحراجه .

خُلُـق السِّريّـة خُلُـق حَسـنٌ، مَبْنِيٌّ على الإخـلاص في عمل الـشيء، يتخَلَّق به ذو الأخـلاق المحترَمـة، فـإذا كان صديقـاً إئتمنتـه على سِرِّك فـلا يفضح أمـرك للناس إخلاصـاً لـك، وإذا كان زوجـاً أو زوجـةً حافَـظَ كلٌّ منهما عـلى أسرار بيته وعلاقته الزوجيـة، إخلاصـاً للآخـر، وإذا كان طبيبـاً أو محاميـاً حافَـظَ على مصالـح وأسرار مرضـاه أو موكليه، وإذا كان ضابطـاً حافَظَ على أسرار المواطنين أو الدولة، إخلاصاً في أداء مهمته .

هو خُلُق يعرف صاحبه كيف يتحكم في لسـانه، وكيف يزن ما يُقال، لأن ما يقال قد يؤدي إلى مشاكل أو خصومات أو حتى حروب . ويحتاج إلى تدريب وتدريب .

في النهايـة، هـو خُلُقٌ، صاحبـه لا يُعامِل إلا الله، ولا يُهمه أن يـرى أحدٌ ما يفعله، مـن صـلاةٍ أو تصدقٍ أو خـيرات، إلا الله، وهذه درجـةٌ متقدمة مـن مراحل العلاقة بين الإنسـان وربِّه، لأنه يفعل الشيء ولا ينتظر شـكراً من أحد، وإنما يفعله لوجه الله تعالى، وإخلاصاً له في عبادته .

فلنعوِّد أنفسـنا ألا نجهر بكل شيء حَسَـنٍ فعلناه، سـواء في عباداتنا أو في حياتنا، فإن ذلك يجلب لك مَن يحقد عليك أو يحسـدك أو يكيد لك، كما قال سـيدنا يعقوب – عليه السـلام – لسيدنا يوسـف، عندما حكى له رؤياه، كما أخبرتنا سُورة يوسف، قـال تعـالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ – سُـورة يوسُـف، فلتكن أعمالنـا وحياتنا وأفعال الخير

التي نفعلها، وما إلى ذلك، خالصةً لوجه الله، ولا ننتظر شكراً أو ثناءً مديحاً مِن أحد، فنأخـذ الأجـر الجميل من الله – سـبحانه وتعالى – ونتفادى أعين النـاس، ومَن فَعَل ذلك فقد تخَلَّق بخُلُق السِّرِّية، وأرى أنه من مكارم الأخلاق .

٨٨- خُلق السِّفَارَة

صاحب هذا الخُلُق قد فَهِم أنه باعتناقه دِينٍ ما، فإنَّ عليه أن يمشي محافظاً على صورة هذا الدِّين أمام الناس، فالمُسْلِم سفيرٌ لدينه والمسيحي كذلك سفير لدينه وهكذا، وإنما يعرف الناسُ خُلُق هذا الدِّين من أخلاقياته، وتصرفاته، ومعاملاته مع الناس، وعلى هذا، فعلينا أن نفهم أننا لسنا أحراراً في تصرفاتنا، ولكن علينا أن نتحمل مسئولية أننا نُمَثِّل هذا الدِّين أمام الآخرين، فتصرفاتنا هي التي قد تكون من الأسباب التي تجعلهم يحكمون على هذا الدِّين، إما بالثناء أو بغير الثناء .

أضرب مثلاً، أن ينتمي شخصٌ إلى أُسْرة أو قبيلة معينة، فإن القبيلة تُحَمِّله مسئولية الحفاظ على اسمها، وألا يسيء إليها، خصوصاً وقد عرف الناس أنه ابن هذه القبيلة . كذلك نحن مطالبون أن نعرف أنَّ علينا أن نكون خير سفراء لهذا الدين، بخُلُقِنا، وربما القَصَص في السيرة النبوية كثير، ويُظْهِر: كيف أن الناس قد دخلوا ديناً معيناً من حُسْن معاملةٍ جرت أمامهم، فأُعجِبوا بهذا الدِّين الذي يدعو إلى هذه الأخلاق .

صاحب هذا الخُلُق فَهِم أنه لا يتعين عليه أن يتدنَّى في أخلاقياته، إذا ما تدنَّى أحدٌ من المتعاملين معه، بل عليه أن يتعامل بأخلاقياته وقِيَمِه، وما تربَّى عليه، وما آمن به، وما يعرف أنه يُعطي صورة صحيحة لهذا الدِّين، بينما يبعد ويتنافى أن ينزل بأخلاقياته

ليجـاري أي نـوع مِن تصرفات الغـير، وهو حريص على صورة هـذا الدِّين، وخُلُقُه يجعله يتحمل أي شيء في سبيل أن يحفظ دين الله تعالى، ويقدم الصورة المُثْلى له .

أضرب – هنـا – مثـلاً باللاعب الذي يرتـدي الزِيّ الرياضي المرسـوم عليه عَلَم بـلاده في بطـولات دولية، فهو يكون غيوراً على عَلَم وفريـق بلاده، ويريد أن ينتصر لهم، فما بالُنا بمَن يحمل راية دينه !

أعود لأُذَكِّر بأن خُلُق السَّـفير أو السِّـفارة هو خُلُق مَن أيقن أنه سيكون هناك مَن ينظر إليه أو يتعامل معه بصورةٍ أو بأخرى، ولكونه مُسْـلِماً مثلاً فقد يُحْسِـن أو يُسِيء إلى هـذا الدِّين بصورته التي عليهـا، وطريقة معاملاته . وصاحب هذا الخُلُق قد فَهِم ذلك، فهو يسعى أن يكون خير سفير .

من الكتاب المقدس وجدتُ بعض الآيات التي ترتبط بهذا الخلق، أذكر منها: «**إِذًا نَسْـعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ**» (رسالة كورنثوس الثانية ٥: ٢٠)، كذلك جاء بالكتاب المقدس الآية التي تدعو إلى ذلك: «**اُذْكُرُوا مُرْشِـدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ**» (الرسالة الي العبرانيين ١٣ : ٧)، وأيضاً: «**فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**» (إنجيل متى ٥: ١٦).

خُلُقٌ كريم نحتاج أن نُدركه، ونَستشعر به، ونُعَلِّمَه لأبنائنا، وننشر ثقافته، فما أجمله خُلُقاً أن يكون مظهرُنا ومشيُنا وكلامُنا ومعاملاتُنا كسفراء لهذا الدِّين، فيعرف العالَم أن مبـاديء هذا الدِّين وأخلاقياته متوافقة ومُكَمِّلة، تماماً، لما نزل به سـيدنا موسـى، وسـيدنا عيسـى، عليهما السلام، وأن سـيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – إنما بُعِث ليتمم مكارم الأخلاق .

٨٩- خُلق السَّفَر

والسؤال: هل للركوب أو للسَّفر خُلُق ؟!

الجواب: نعم، هناك خُلُق تعَلَّمَناهُ من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ندعو قبل السفر، أو الركوب دعاءً كان يدعوه، عليه الصلاة والسلام، أوَّلُه آية كريمة، قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ – سُورة الزُّخْرُف، ثم يقول عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ ما تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هذا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ في الأهْلِ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ في المَالِ وَالأهْلِ**» وإِذَا رَجَعَ قالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «**آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**»، كذلك في ركوب الراكب في البحر، يقول تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ – سُورة هود .

كل ذلك يبين لنا، أن السفر أو ركوب السيارة أو الطائرة، أو الناقلة عموماً، له أخلاقياته، وهو أن ننسب الفضل لله تعالى، بقولنا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾، فهو الذي مكَّننا من هذه السيارة أو الطائرة لييسر لنا سَفَرنا، ويرفع عنا التعب والإرهاق، ثم التسليم لله تعالى، أي أننا ذاهبون في آخر الأمر إلى الله تعالى، ثم يدعو الإنسان أن يكون سَفَره في طاعة الله وتقواه، أي القُرب منه، وأن يكون عمله في السَّفَر بما

يُرضي الله، ويدعو الله تعالى أن يكون سَفَراً سليماً بدون عناء أو مشاكل، وألَّا يشعر بطول الوقت، بقوله: «وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَه»، ثم يستودع الإنسان ماله، وأهله، عند الله تعالى بقوله: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفرِ، وَالْخَلِيفَةُ في الأَهْلِ»، ونستعين بالله من شر الحوادث والأمور عامة، بقولنا: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن وَعْثَاءِ السَّفرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ في المَالِ وَالأَهْلِ»، وكذلك الآية الكريمة، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ – سُورة النحل، وفيه التوكل على الله تعالى، فهو الموفِّق في كل شيء .

وآيات الكتاب المقدس قد بينت بعض أخلاق السفر الواجب توافرها، أذكر منها: «تَمَسَّكْ بِالأَدَبِ، لاَ تَرْخِهِ. احْفَظْهُ فَإِنَّهُ هُوَ حَيَاتُك» (سفر الأمثال ٤ / ١٣)، وفي: «وَأَنْ تَعْتَبِرُوهُمْ كَثِيرًا جِدًّا فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِمْ. سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥ / ١٣)، وكذلك يوصي الكتاب المقدس في هذاالشأن قائلاً: «وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٢: ١٢) .

وبالطبع فإن الإنسان مطالَب بأن يكون ليِّناً مع صحبته في السَّفر، يشاورهم في الأمر، ويتواصى معهم بالحَقّ ويتواصى بالصبر، وأن يُعينهم على طاعة الله، وأن يكون سعيداً بخدمتهم، وتقسيم الأدوار فيما بينهم لخدمة المسافرين معه، وأن يُعين الضعيف أو المُسِن أو الذي في حاجةٍ إلى إعانة، مِن حمل أشياء، أو مساعدته في الركوب، أو النزول، والسهر على مَن يمرض معه في السفر، وألَّا يكون مصدر إزعاج لهم من قريب أو بعيد، وهكذا .

كلها أدبيات وأخلاق السـفر، تعَلَّمْناها من الله تعالى ورسـله، وهي مِن خُلُق مَن ينسـب الفضـل، ويُسَـلِّم الأمر لله تعالى، ويدعـو الله أن يثبته على الطاعـة، فهو خُلُق كريم من مكارم الأخلاق .

٩٠- خُلق السَّمَاحَة

المعنيي اللغوي للسَّـمَاحة: يدل على معنى السّلاسـة والسّهولة، وعلى حد فَهْمي فإن السَّماحة هي المباركة، وهي التراضي، فإذا تعامل إنسان بخُلُق السَّماحة، وكان سَمْحاً في معاملاته، أي يَسـعد بإرضاء الغير ويرضى بما اشـترى أو أخذ، وإذا كان الله تعالى قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ – سُـورة النسـاء، فإن المطلب – هنا – أن يَسـعى الإنسـان لإرضاء غـيره، وأن يُحِب لأخيه ما يُحِب لنفسه، وأن تكون معاملاته بروح طيبة فيها تراضٍ ومباركة .

ويحـضرني هنـا الحديث الشريف، قول النبي – صلى الله عليه وسـلم –: «رحم الله رجلًا سـمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»، يُحَبِّبُنا النبي – صلى الله عليه وسلم – في خُلُق السَّـماحة، وهو من مكارم الخُلُق، وألمح في الحديث الحضَّ على السَّـمَاحَة، وحُسـن المعاملة، وترك المشـاحنة في البيـع، وهو ما يزرع البركة فيـه؛ لأن النَّبي عليه السلام لا يحضُّ أمته إلا على ما فيه النفع لهم، في الدنيا والآخرة .

تحضرني هنا –أيضاً – آيات من الكتاب المقدس تحدثنا عن خلق السـماحة، منها: «كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَـفُوقِينَ مُتَسَـامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ الله» (رسالة بولس الرسـول إلى أهل أفسس ٤ : ٣٢)، وكذلك: «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ.

أَحْسِـنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ» (متّى ٥: ٤٤-٤٥)، وأيضـاً: «وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى» (رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣: ١٢، ١٣).

بالسَّـماحة تنمو وتزدهر المعاملات، فالإنسان يميل إلى التفاعل مع التاجر الأمين، الـذي لديـه المعاملات السـليمة، وحبَّذا لـو كانت معاملاته سـمحة، أي أنه يَسـعد بإسعاد الآخر حتى يعود إليه، ويتعاون معه مرة أخرى، وهنا عَلَّمَنا الرسول – صلى الله عليـه وسـلم – كيف تكون التجارة عـن تراضٍ بيننا، كما جـاء في الآية الكريمة، وهي التجارة التي تصحبها سَـماحة بين الطرفين، أعني سَماحة البيع وسَماحة الشراء، فالبائـع راضٍ بـما كسـبه، ويتمنى للمشـترِي كل التوفيق، كذلك المشـتري راضٍ بما اشـتراه، ويتمنى البركة للبائع فيما تقاضاه منه، وهـذا هو أعظم مناخ يبني فيه التاجر معاملاته التجارية، فيحظى بتكرار المعاملات مع نفس التاجر، مرات ومرات.

فـإذا أردنـا أن نكون ناجحـين في تجارتنا، يُحِب الناس أن يتاجـروا معنا، فعلينا أن نتحـلى بخُلُـق السَّـماحة، وأن نتمنى الخير للنـاس، وأن نـرضى في معاملاتنا، وندعو للآخرين بالتوفيق والنجاح.

والأمر ليس – فقط – متعلقاً بالتجارة وإنما بالحياة – بصفة عامة –، مطلوبٌ منا أن نتحلى بالسَّـماحة مع الناس، نتعامل برُقي، وبابتسام، وبتراضٍ، ودون مشاحنات، أو حِـدة، أو خصام، نكون ليِّنين فيما بيننا، بشوشـين، واضحين، شـفافين، فتحسـن علاقتنا بمَن حولنا، ويكون ذلك تخَلُّقاً بخُلُق كريم، هو خُلُق السَّماحة.

٩١- خُلق الشَّفَاعَة

يخبرنـا – سـبحانه وتعـالى – في سُـورة الزُّمَر، أن لله الشـفاعة جميعـاً، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾، والرسـول – صلى الله عليه وسـلم – هو شـفيع أمته يوم القيامة، أي هو مَن يتوسـط لإدخالهم الجَنَّة، فيلتمس من الله تعالى العذر لأمته، ويطلب دخولهم الجَنَّة .

خُلُق الشـفاعة وجدتُّه في الآية الكريمة: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾- سُـورة النساء .

وقـد ورد في الكتـاب المقـدس: «**صلـوا بعضكم لأجل بعض**» (يعقـوب ٥:١٦)، وكذلك القديسـون أنفسـهم كانوا يطلبون صلوات الناس عنهـم، فالقديس بولس يقول لأهل تسـالونيكي: «**صلـوا لأجلنا**» (تسـالونيكي الثانية ٣:١) . ولقد أرسـل القديس بولس رسـالة موحاة من الله إلى فليمون شـفاعة في أنسـيمس وهي رسـالة فليمون .

الشـفاعة – هنـا – هـو خُلُق دفـع بصاحبه أن يتوسـط لنصرة إنسـان، أو لإظهار الحـق، أو لالتماس العُـذر، وطلب العفو عنه، فهو محب للخير، يسـعى إليه، ويتمناه للنـاس، ويأخذ خطوات إيجابية للتوسـط في الخير، وعـلى العكس من ذلك، فإن مَن

توسط في غير الخير فله أيضاً نصيب من هذا الشر الذي توسط فيه، فخُلُق الشفاعة الذي نتعلمه من القُرْآن هو أن نكون عوناً للناس في إظهار الحق، ونتوسط لإظهار الحقيقة وتبرئة المظلوم، أو نُصرته، وما كان حديث سيدنا يوسف - عليه السلام - لصاحبه في السجن، حيث قال تعالى على لسان يوسف: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ - سُورة يوسف، وهو طلب شفاعة، فهو يطلب من صاحبه في السجن أن يشفع له عند المَلِك ليخرجه من السجن .

خُلُق الشفاعة يتخَلَّق به من يُحِب أن يشفع الرسول - عليه الصلاة والسلام - له يوم القيامة عند الله تعالى، ومَن منا لا يُحِب أن يشفع له الرسول عليه الصلاة والسلام؟! .

فلنعرف أنه بسعينا أن نُعين إنساناً على إظهار حقه، أو تبرئته، أو ما شابه، فهو خُلُق كريم من مكارم الأخلاق اسمه خُلُق الشفاعة .

٩٢- خُلُق الشَّفَافِية

وهـذا خُلُق كريم من مـكارم الأخلاق، وأعني به: أن تكون تعاملاتنا مع الغير في وضـوح كامـل، ولا يوجد بها أي لَبْس، أو علامات اسـتفهام . وجدتُّ هذا في قوله تعـالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ – سُـورة البقـرة، فالله تعـالى يأمرنا أن يكون كل شيء بوضوح تام، الأبيض أبيض، والأسـود أسود، وهو ما نسميه في مجتمعاتنا اليوم (الشفافية)، أي أن كل شيء شفاف وواضح.

وهـذا هو الذي يـؤدي أن تكون تجارتنا عن تراضٍ بـين أطرافها، كما يأمرنا الله في قوله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ – سُورة النساء .

وفي ذلـك تقـول آيات الكتاب المقدس: «اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْـنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَـهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلاَ حَلَفَ كَذِبًا» (سفر المزامير ٢٤ : ٤)، وكذلك: «لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُـونَ بَيْنَكُمْ بِدَعٌ أَيْضًا، لِيَكُونَ الْمُزَكَّوْنَ ظَاهِرِينَ بَيْنَكُمْ» (رسـالة بولس الرسـول الأولى إلى أهـل كورنثـوس ١١ : ١٩)، وكذلـك الآيـة: «فَإِذْ نَحْـنُ عَالِمُونَ مَخَافَةَ الـرَّبِّ نُقْنِعُ النَّاسَ. وَأَمَّا اللهُ فَقَدْ صِرْنَا ظَاهِرِينَ لَهُ، وَأَرْجُو أَنَّنَا قَدْ صِرْنَا ظَاهِرِينَ فِي ضَمَائِرِكُمْ أَيْضًا» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ٥ : ١١) .

وعلى هذا، فمطلوب مِنَّا الوضوح، وأن نُصارح الناس بالعيوب قَبْل المزايا في أي شيء نتعامل فيه .

ما أكثر حالات الطَّلاق التي نسمع عنها، بعد أيام من الزواج، لأن الأمر لم يكن فيه وضوح، لا أقصد المرأة - بالطبع - بل أقصد أيَّ طرف منهما، فلو صارح ذلك الطرفُ بِعِلَّتِه أو عِلَّتِها قَبْل الزواج، ربما ما تمَّ العقد أصلاً .

ما أكثر قضايا الفَسْخ في المحاكم، لوجود غِشّ شابَ البيع أو المعاملة، ولو أن هناك شفافية لكانت هناك معاينة، كما نقول قانوناً نافية للجهالة، ولما نشأ عن ذلك نزاع .

مطلوب مِنَّا الشفافية كخُلُق، وهو مزيجٌ من خُلُق الصدق، والأمانة، والوفاء بالكيل وبالعهد .

فلنراجع أنفسنا، ولنأخذ بالنا أن هذا خُلُق مطلوب ومفروض علينا، ولنُعَلِّم أولادنا ذلك .

فمَن عليه مهمة الإنفاق - نيابةً عن الناس، لابد أن يكون شفافاً لأقصى درجة، حتى يُخرج الشيطان، أو الشَّك مِن حوله .

في المجتمعات المتقدمة أدركوا أن الشفافية حَق - فاتخذوا منها خُلُقاً ومنهجاً، فعلينا أن نعي فضل هذا الخُلُق، ونتخَلَّق به في كل معاملاتنا، أُسرية، مُجتمعية، تِجارية، وما إلى ذلك .

٩٣- خُلُق الشَّهَادَة

المعنى اللغوي للشَّهادة، هو: إخبار المرء بما رأى والإقرار بما عَلِمَ، أي يقول ما شاهده .

والإنسان في حالة شهادة دائمة، كل يوم، منذ إدراكه وحتى وفاته، فحينما يخبر الطفل أبويه: أن صديقي هذا صديق جيد، هو في حالة شهادة، وعليه أن يتعلم كيف يقول الحق فيها ؟، وكذلك الرئيس في محيط عمله، وهو يكتب تقريراً لتقييم مرؤوسيه، فهو في حالة شهادة، فعليه ألا يجامل أحداً، حتى لا يقع في ذَنْب الشَّهادة بغير الحق ، وحينما يُسأل شخصٌ عن فتاة معينة وهل تصلح عروساً لشخصٍ ما ؟ هو في حالة شهادة، وهكذا .

وحينما نتحدث عن الشَّهادة، نتحدث عن شهادة الحق أو قول الحق، وعلى هذا فالشَّهادة بالحق خُلُق كريم، فلابد أن يحرص الإنسان على صحة شهادته، فقد تتوقف عليها حياة إنسان، أو قد تتوقف عليها إقامة الحد على إنسان، ولهذا حذرنا ربنا تبارك وتعالى في قوله: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾ – سُورة الزخرف .

وقد ورد في الكتاب المقدس أيضاً: «اَلشَّاهِدُ الأَمِينُ لَنْ يَكْذِبَ، وَالشَّاهِدُ الزُّورُ يَتَفَوَّهُ بِالأَكَاذِيبِ» (سفر الأمثال ١٤ : ٥)، وكذلك: «شَاهِدُ الزُّورِ لاَ يَتَبَرَّأُ، وَالْمُتَكَلِّمُ

بِالأَكَاذِيبِ لاَ يَنْجُو» (سـفر الأمثال ١٩ : ٥؛ سـفر الأمثال ١٩ : ٩)، فليحرص كل منا على أن تكون شهادته شهادة حق .

إن التصويـت في أي انتخابـات هو نوع من الشَّـهادة، فلابـد أن نعطي صوتنا لمن يستحق.

كذلك فإن ما يُطْلَق عليه مَحْضَر التَّحريات الذي تقوم به الشرطة من تلقاء نفسها، أو بنـاءً على طلب من سـلطات التحقيـق، هو نوع من الشـهادة المدَّونة التي يجب أن تنطق بالحقيقة .

كل هذه أمور تُبيِّن لنا: لماذا أرسل الله تعالى الرسل - عليهم الصلاة والسلام- ؟!، ليعلموا الناس قول الحق، وإذا أدوا شـهادة أن يؤدوها بحقها، لأن شـهادة الزور قد تـودي بحيـاة الناس أو بحرياتهم، أو بمسـتقبلهم، وعلى هذا فيجب ألا نسـتخف - ونحـن نُعَلِّـم أبناءنا - بهذا الخُلُق العظيم، وأن يكون هنـاك عقاب واضح ورادع إذا ما وجدنا أن هناك اسـتعداداً لدى الطفل لأن يقول غير الحق، ولا نعتبر أن هذا كذبة بيضـاء، كـما يقول البعض في مجتمعنا، فمن شـبَّ عـلى الكذبة البيضـاء، صار خُلُقه الشهادة بغير الحق .

فالإنسـان في حالة تعلـم وتدريب لقول الحـق، وليس هناك اسـتثناء، خاصة فيما يتعلـق بحقوق الناس ومصالحهم، اللهم إلا إذا كانت شـهادة تحت إكراه، أو كانت شـهادة لأعـداء، أو ما شـابه، أو إذا قُصِد بها إصلاح ذات البَيْن، كـما قالت أم كلثوم بنـت عقبـة، قـال - صـلى الله عليه و سـلم -: «**ليس الكَذَّابُ الَّـذي يُصْلِحُ بيْن النَّاسِ فيَقولُ خَيْرًا، أو يَنْمِي خيرًا . قالتْ: ولم أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شيءٍ ممَّا يقولُ النَّاسُ مِن**

الكَـذِبِ إلَّا في ثـلاثٍ: الإصلاحِ بيْن النَّاسِ، وحديثِ الرَّجُـلِ امرأَتَهُ، وحديثِ المرأةِ زَوْجَها».

وقد سألني صديق عزيز: لماذا لا نرى هذا الخُلُق منتشراً هذه الأيام ؟!

فأجبتـه: ربما عن عدم عِلم بخطورة الأمر، فخطابنـا الديني لابد أن يدعونا لهذا، ويُفْهِمنـا فضـل هذا الخُلُق، فـإذا كان العلماء هـم ورثة الأنبياء، فهُم من سـيُكملون الخطـاب الديني الذي بـدأه الأنبياء، كلٌّ في قومه، فعليهم دعوةُ الناس إلى هذا، وهُمْ يدعون الناس إلى مكارم الأخلاق، ليُعلِّمونا مما علمه نَبِيّنا - صلى الله عليه و سلم-، وما جاء في الكتب السـماوية من أخلاقيات علينا أن نتحلى بها، فلعل الأمر يحتاج منا في هذا الزمان - ونحن نبحث عن تطوير الخطاب الديني - أن نُركِّز على ما جاء على لسان سيدنا محمد - صلى الله عليه و سلم -: «**إنَّما بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ**».

وفي رأيـي أن جـودة وملاءمـة الخطـاب الديني لابـد أن ترتبط بنتيجةٍ مـا وجوداً وعدماً، وهي تطوير الأخلاق وتحسينها على النحو الذي يرضي الله عنه .

ففحوى الديانات السماوية هي مكارم الأخلاق، وأي خطاب ديني لا يستطيع أن يأخذ المُتلقِي منه شـيئًا يدعوه إلى مـكارم الأخلاق، هو خطاب لمجرد الخطاب، بعيد عن المرجو منه .

فعلينـا أن نثقـف المجتمع بفضل شـهادة الحق، وعِظَم الذَّنب، وخطورة شـهادة الـزور، فالشـهادة خُلُق من أساسـيات المعاملات في حياتنا، به تسـتقيم المجتمعات، وفي غيابه تغيب العدالة، ويعُمُّ الظلم .

٩٤- خُلق الشَّهَامَة

خُلُق الشَّـهامة من مـكارم الأخلاق، وهو يعني الوقوف مـع الغير، وعدم التأخر عن مساعدة الآخر .

وكـما نسـميه في كلامنا صاحـب «رجولة ونخـوة »، صاحب هـذا الخُلُق إيجابي، يُسـعده الوقـوف مع النـاس ومسـاعدتهم، ولا يرضيه ظُلْم الناس، فيسـعى لمناصرة المظلـوم أو الضعيف، وهـو كذلك يَغار على أهله وجيرانـه، ولا يتخلى عن حمايتهم ورعايتهـم، وهكـذا يُحِـب أن يرانـا الله، وقد حنَّت قلوبُنـا على بعضنـا البعض، قَالَ رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**.

فلنحـرص، ونحن نُربي أبناءنا، أن نُعلمهم الإيجابيـة ومعاونة الغير، وألا يكونوا سـلبيِّن أنانِـيِّن، لا يُفكِّرون إلا في مصلحتهم فقط، فما أبشـعه من خُلُـق، والدراما – المسموعة والمرئية – بالذات التي تقوم بها الدولة، لابد أن تُبرز نماذج مضيئة للشهامة والرجولـة، لتكـون هناك القـدوة والدروس المسـتفادة، فنعيـش في مجتمعات إيجابية خلوقة، يقول تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ سُورة الأحزاب ٢٣، تُبيِّن الآية أن صفة رجـال هـي صفة صاحب خُلُق الشـهامة، لا يتمتـع بها الجميع، وإنـما الخاصة الذين

يتخَلَّقون بخُلُق الشهامة، رجالاً كانوا أو نساء، فهنيئاً لمن يتفاخر الله بهم . إنه أو إنها من أصحاب خُلُق الشهامة، ومن الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

والكتاب المقدس به آيات كثيرة تتحدث عن فضل خلق الشهامة، أذكر منها: «**كُلُّ وَاحِدٍ يُسَاعِدُ صَاحِبَه**» (سفر إشعياء ٤١ : ٦)، وكذلك: «**لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي، عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيّ**» (إنجيل متى ٢٥: ٣٥، ٣٦)، وأيضاً:«**لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ**» (يوحنا ١٥ / ١٣) .

٩٥- خُلق الصَّبْر

الصبر في اللغة: هو حَبْس النَّفْس عن الشَّكوى من ألم البلوى، أي يكون الإنسان قد أصابته مصيبة أو ما شابه، أو تعرَّض لمضايقاتٍ ما، وقد تَحلَّى بضبط النفس، وتَحلَّى بعدم الشكوى، وتحلَّى بالصبر .

خُلُق الصبر خُلُق صعب، قال تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ – سورة البقرة ٤٥، فالله تعالى يُخبرنا أن الصبر ليس أمراً سهلاً، ويتطلب درجات كبيرة من اليقين. ولكنه تعالى قد بيَّن فضل الصبر، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ – سورة البقرة ١٥٣، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ – سورة البقرة ١٥٥، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ – سورة هود ١١ .

وخُلُق الصبر يحتاج إلى فَهمٍ خصوصاً في مسألة القضاء والقدر، فحينما يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ – سُورة البقرة، فالمصيبة تقتضي أن يكون هناك مُصَوِّباً فيصوِّب المُصوَّب على المُصوَّب عليه، فتحدث المصيبة، والمُصوِّب هنا هو الله تعالى، وعلى هذا فاحتمال الخطأ غير وارد .

فمَـن خُلُقه اليقين والصبر قد علـم أن هذا أمر من الله تعالى، وأنه لا رادَّ لقضائه، وأن ما عليه إلا أن يصبر فينال أجر الصابرين .

وفي هذا الخُلُق يعلمنا الله تعالى أن نُغَيِّر السـلبيات إلى إيجابيات، وكأنه تعالى يقول لنا: إن جاءتك مصيبة فاجعلها بابك إلى الجَنَّة بصبرك، وهذه مدرسـة حياة، أن نُعلِّم أولادنا ألا يُصدموا مما سـيقابلونه في حياتهـم، بل عليهم أن يصبروا ويجعلوا من كل مصيبة تقابلهم أو كل ابتلاء يقابلهم سُلَّماً يصعدون عليه، فصاحب هذا الخُلُق يُصبح لديـه هدوءٌ نفسيٌ، وقدرة عند تلقي الصدمـات فيبحث عمَّا بها من إيجابيات وفرص للاقتناص، وأهمها أنها تقرِّبه إلى الله تعالى، وترفع درجاته .

وصدق الله تعالى حينـما قال: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ – سُـورة البقرة، فهو يعلمنا أن نصبر ، وأن نبحث عن الخير في كل ما يقابلنا، وهذا منهج تنهض به الأمم لأن فيه ما فيه من الجَلَد والصمود والقدرة على مجابهة متغيرات الحياة .

علينـا أن نحتـاط ونحن نُعلِّم أبناءنا بـألَّا نعطي لهم كل ما يُحِبّـون، حتى نُعلِّمهم الصـبر، فمـن جلس وهو صغير حيـث يأخذ كل ما يتمنى، جلـس وهو كبير حيث يكـره، بـل قد يكون تعيسـاً في حياته، لأن الحياة لن تُمكِّنه من تحقيـق كل رغباته مثلما تعوَّد تحقيقها مع أهله، ولم يتعلم الصبر على ذلك، فالطفل الذي لا تأتي له اللُّعبة التي تمنَّاها، فإن في ذلك تعليمه الصبر والقبول، والشـاب الذي لا يأتي له أهله بالسـيارة التي يتمناها – مع قدرتهم – فإن ذلك تأهيل للشاب للقبول والشكر على ما أنعم الله به من نِعم على أية حال، وهكذا .

لقد أوصانا الله تعالى ألا نصبر فقط، وإنما أن نتواصى بالصبر، فقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾- سُورة العصر، أَقْسم اللهُ تعالى بالعصر أن الإنسان في خُسْر إلا مَن تواصى بالصبر، لِعِظم هذا الأمر ، وهي دعوة إلى خُلُق كريم مرتبط بالصبر، وهو خُلُق المواساة، فمَن يتواصى بالصبر ويدعو مَن أصابه مكروه أو مصيبة مِن حوله، أن يصطبر ، وأن يحمد الله على ما آتاه، ويُبشِّره بفضل الصابرين، فهذا ثوابه كبير عند الله تعالى .

أما أعلى درجات خُلُق الصبر فهي ألا يصبر الإنسان فقط على ما أَلَمَّ به من مصيبة، وإنما يُبادر بالشكر، قال تعالى ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ - سُورة آل عمران، فهنا تبلغ أقصى درجات العقلانية والحِكمة والتقارب مع الله تعالى بدءًا من القبول إلى الشكر على ما أنعم الله به من نِعَمه أصلاً قبل أن يأمر سبحانه بأن تزول، وفي هذا خُلُق العرفان، وفيه الشكر ، وفيه التقدير، وفيه ما فيه من القبول والطاعة والتسليم لله، فما أعظمه خُلُقاً .

لم يأمر الله تعالى عباده فقط بالصبر، وإنما كان أمر الله للأنبياء والرسل - عليهم السلام - بالصبر، فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ - سُورة الأحقاف ٣٥، فكانت دعوة الله لسيدنا محمد أن يصبر ليعطي القدوة، ولقد أعطانا النبي - صلى الله عليه وسلم - القدوة، حين مات كل أبنائه، خصوصاً ابنه إبراهيم، فقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»، فكان القبول والرضا بما أمر به الله تعالى، وحياة الرسول - عليه الصلاة والسلام - مليئة بالصبر .

وعـن فضل خلق الصبر أيضـاً وردت آيات الكتاب المقدس العديدة، أذكر منها: «وَالصَّبْـرُ تَزْكِيَــةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً» (روميـة ٥: ٤)، وكذلـك: «عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِــئُ صَبْرًا» (يعقـوب ١: ٣)، ويقول عن عظمة الصـبر: «بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ» (إنجيل لوقا ٢١: ١٩).

وهكذا أرسـل الله تعالى أنبيـاءه ليعطوا القُدوة، ويُثْبِتوا لنـا عِظم خُلُق الصبر، ثم جـاءت الآية الكريمـة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ – سُـورة الزُّمَر ١٠، وهل هناك أعظم من أن يأخذ الإنسان أجراً من الله بغير حساب ؟!

اللهم أدخلنا الجَنَّة بغير حساب ... آمين .

٩٦- خُلق الصِّدْق

الصدق هو قول الحقيقة، وهو عكس الكذب، والصّدّيق هو الذي يُحقِّق بفعله ما يقوله بلسانه .

الصدق مطلَبٌ أساسي في حياة المؤمن، وهو رأس الفضائل، وعنوان الأخلاق، ولقد بيَّن الله تعالى فَضْلَ مَن كان الصدقُ خُلُقه، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ – سورة الزمر، وقد أمر الله تعالى بالصدق، في آيات كثيرة جداً، ومنها، قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ – سُورة التوبة ١١٩ .

والصدق من صفات الله – عزَّ وجلَّ – فقال سبحانه: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ ﴾– سُورة آل عمران ٩٥ . وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ – سُورة النساء ١٢٢ . ، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ – سُورة النساء ٨٧ .

والصدق من صفات الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – أجمعين:

أذكر – هنا – سيدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى عنه: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ –

سُورة الشعراء، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ ﴾ – سُورة مريم ٤١ .

وكذا سيدنا إسْحَاق ويَعْقُوب: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ ﴾ – سُورة مريم .

وكذا سيدنا إسماعيل: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾ – سُورة مريم ٥٤ .

وكذا سيدنا إدريس: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ ﴾ – سُورة مريم ٥٦ .

وكذا سيدنا يوسف: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ ﴾ – سُورة يوسف ٤٦

أما عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،، قال عنه الله – عزّ وجلّ –: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ – سُورة النجم ٤ .

الصدق من صفات المتقين، كما أوضحتُ من قبل، بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ ﴾ – سُورة الزمر ٣٣ .، وكذلك من صفات الصحابة، قال تعالى: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ ﴾ – سُورة الحَشْر ٨ .

مجالات الصدق:

الصدق مع الله: قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ - سورة محمد ٢١ ، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ - سورة الأحزاب ٢٣، ٢٤، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ﴾ - سورة الحديد ١٩.

الصدق في الأقوال: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ - سورة الأحزاب ٧٠، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ﴾ - سورة الأنعام ١٥٢، وقال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» .

الصدق في الأعمال؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ - سورة الصف.

والصدق، كمُحصِّلة، هو العمود الفقري في خُلُق الإنسان، وصاحب هذا الخُلُق يتعامل به لإيمانه بالصدق كخُلُق في مناحي حياته المختلِفة، وبالصدق تحدث البركة في البيع والشراء، إذ قال النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**» .

وكذلك فإن الصدق هو مفتاح طمأنينة القلب والنَّفْس، إذ قال رَسُولِ اللهَّ – صَلَّى اللهُّ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ –: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ».

وإذا ما حافظ الإنسان وأمسك على هذا الخُلُق فإنه يكون مؤهَّلاً – بإذن الله تعالى – إلى الرُّقي إلى منازل الأخيار والأبرار والصِّدِّيقين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ – سورة النساء .

وأخيراً فإن الصدق هو مِفتاح الجَنَّة، ورضوان الله، يقول تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ – سُورة المائدة ١١٩ .

توافق كبير رصدته من الكتاب المقدس في آيات كثيرة عن فضل خلق الصدق، أذكر منها هنا: «كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَتَا كَذِبٍ، أَمَّا الْعَامِلُونَ بِالصِّدْقِ فَرِضَاهُ» (سفر الأمثال ١٢: ٢٢)، وأيضاً: «لا تفتر الكذب على أخيك، ولا تختلقه على صديقك» (سفر يشوع بن سيراخ ٧: ١٣)، وكذلك: «اَلشَّاهِدُ الأَمِينُ لَنْ يَكْذِبَ، وَالشَّاهِدُ الزُّورُ يَتَفَوَّهُ بِالأَكَاذِيبِ» (سفر الأمثال ١٤: ٥)، ومنها: «صُنْ لِسَانَكَ عَنِ الشَّرِّ، وَشَفَتَيْكَ عَنِ التَّكَلُّمِ بِالْغِشِّ» (سفر المزامير ٣٤: ١٣)، وقوله: «حَنَكِي يَلْهَجُ بِالصِّدْقِ، وَمَكْرَهَةُ شَفَتَيَّ الْكَذِبُ» (سفر الأمثال ٨: ٧) .

ولهذا، لابد أن يكون الصدق المادة الأساسية في الدراسة بمدارسنا، وإعلامنا، وخطابنا الدِّيني، وفي تربيتنا لأبنائنا، ولنكُن قدوة لأبنائنا، ولمن حولنا بالصدق

في كافـة زوايـاه، وعـلى كلٍّ منا أن يراجع نفسـه ليعـرف أين هو من هـذا الخُلُق، وما هـي درجة تخَلُّقه والتزامه بالصدق، ويُحَسِّـن من هذا الخُلُـق يوماً بعد يوم، فالله يُحِب الصادقين، ولهم عنده جنات وفوز كبير، بإذنه تعالى .

فاللهم اجعلنا من الصادقين، واحشرنا معهم، واجعل لساننا لسان صدق .

٩٧- خُلق صَفاء القَلْب وحُبّ الخَيْرِ للنَّاس

هـذا الخُلُـق من أفضل وأكـرم الأخلاق، فصاحب هذا الخُلُق صـدق فيه قول الله تعـالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ – سُورة الأعراف، وهو الذي عرَّفه سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –: «**لا يؤمن أحدكم حتى يُحِب لأخيه ما يُحِب لنفسه**» .

صاحب هذا الخُلُق يتمنى الخير للناس، ويفرح لهم، لأنه علم أن هذا علامة إيمانه، فيفرح أنه كُتِب من المؤمنين عند الله .

هـذا الخُلُـق أراه غائبـاً إلى حـدٍ كبيـرٍ في أيامنا هذه، نـرى كثيراً ممـن يحقدون على غيرهـم، بـل ويحسـدونهم على ما أنعـم الله به عليهم مـن نِعم، وهـذا – والعياذ بالله – من أبشـع الأخـلاق، والله تعـالى يراقب هذا، فـلا يأخذ سـبحانه بالظاهر، ولكن يعلم ما في القلوب، ويكون حساب الإنسـان على هذا الأسـاس، يقول تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ – سُورة البقرة . فسبحانه يعلم أن دعوته للناس للتخلق بهذا الخُلُق الكريم – وهو من الأخلاق الجوهرية التي بعث بها الرسـل عليهم الصلاة والسـلام – لن يتبعه الكثير، وعلِم سبحانه أن قلوب الكثير ستكون مريضة بالغِل والحقد والنفاق، وما شابههم،

فيقول سبحانه وتعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ – سُورة البقرة، ويؤكد ذلك في آية أخرى في محكم آياته، فيقول تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ – سُورة الأنفال ، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ – سُورة التوبة .

وقد ينخدع الإنسان – وللأسف – في الكثير من الأحوال من أناسٍ قريبين إليه، أو يُحسِنون استقباله، والحديث إليه، ولكن – مع الأسف الشديد – قلوبهم مريضةٌ لم يُصفوها، وهم أبعد ما يكونون عن الإيمان، ويقول عنهم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ – سُورة البقرة، كما يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ – سُورة التغابن .

المحصلة: علينا أن نُدرك التحذير الذي حذَّرنا به رسول الله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يُحِب لأخيه ما يُحِب لنفسه**»، أي أن هذا هو معيار الإيمان عند الله سبحانه وتعالى، وكما أن النيَّة محلها القلب، فإن القلب هو المرآة التي تُبيِّن جوهر الإنسان، وعلاقته بالله .

فعلينا بتنقية قلوبنا، وأن نسعد إذا جاء الخير للناس من حولنا، لأننا في هذه الحالة نكون قد أدركنا أن هذا هو أمر الله، ونِعَمُ الله يعطيها لمن يشاء بغير حساب، والله حينما يرى هذا في قلوبنا سيكون لنا أوفى الجزاء عنده بإذنه تعالى .

لنُعلِّم أولادنا أن يقولوا ما شـاء الله على كل شيء يشاهدونه ويُعجبُهم، ونعلِّمهم ألا ينظروا إلى ما فاز به غيرهم، وأن يتمنوا الخير لغيرهم كما يَتمنَوْنَه لأنفسهم .

الإعلام، لابد من أن يعي ما يقدمه للناس، وبالذات إعلام الدولة، فإذا كان إيجابياً في نشر هذا الخُلُق، فما أروعه، أما إذا كان غير ذلك فإننا - بذلك - نزرع حقداً يولِّد كراهية، وأمراض قلوب لا أول لها من آخر .

ذِكْـر الله والتقـرب له يعالج القلـب الذي به مرض، لقولـه تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ - سُورة الرعد، وعلينا أن نُطهِّر أنفسـنا وقلوبنا، وكل واحد أعلم بما في داخله، فإذا شـخَّص المرض القلبـي، عليـه أن يعالج نفسـه بالتقـرب إلى الله، وبذكر الله، وبتزكيـة النفس، لقوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ - سُورة الشمس .

على الإنسـان الذي وظيفته قضاء حاجات النـاس، ويرى هذا المرض في قلبه، أن يترك مكانه، فهو قد وُجِد في مكانه لإسعاد الناس، وقضاء حاجاتهم، وأهم مؤهلاته الوظيفية أن يكون مُحِبّاً أن يرى الخير يجري في يد الناس، ومصالحهم تُقضَى .

ولقد أبرزت آيات الكتاب المقدس فضل صفاء القلب، أذكر - على سـبيل المثال -: «**طُوبَـى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ**» (إنجيل متى ٥ : ٨)، وكذلك: «**فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَـظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ.**» (أمثال ٤ : ٢٣) ، وكذلك: «**حِدْ عَنِ الشَّـرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا**» (المزامير ٣٤ : ١٤)، وكذلك: «**لاَ تَمْنَـعِ الْخَيْرَ عَـنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَـدِكَ أَنْ تَفْعَلَه**» (الامثال ٣: ٢٧)،

وأيضاً: «**مَنْ يَطْلُبُ الْخَيْرَ يَلْتَمِسُ الرِّضَا، وَمَنْ يَطْلُبُ الشَّرَّ فَالشَّرُّ يَأْتِيهِ**» (الامثال ١١: ٢٧)، وقولـه: «**اُطْلُبُوا الْخَيْرَ لاَ الشَّـرَّ لِكَىْ تَحْيَـوْا**» (عاموس ٥: ١٤)، وكذلـك: «**كُونُوا كَارِهِينَ الشَّـرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ**» (رسـالة بولس الرسـول إلى أهل رومية ١٢: ٩)، وكذلـك الآية: «**فَإِذًا حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهـل غلاطية ٦: ١٠)، وكذلك: «**اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ**» (رسـالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥: ١٥).

جميـل أن تكون هناك برامج تدريب وتثقيف ضمـن برامج تطوير الموارد البشرية للموظفـين، لتحسـين هـذا الخُلُق عندهـم، وإفهامهـم أن عملهم قد يأتي بحسـنات كثـيرة، إذا كان فيـه قضاء مصالح الناس وإسـعادهم، وقد يـأتي إليهم بذنوب كثيرة إذا كان خلاف ذلك.

لنُصَـفِّ قلوبنـا ونُنَقِّها، يـارب اكتبنا من أصحـاب القلوب السـليمة تجاه الناس الصادقة في مشـاعرها، المُحِبَّة للخير لكل النـاس، لنُكْتَب عندك من المؤمنين، بإذنك يارب.

٩٨- خُلق الصَّفْح

هو خُلُق مَن يسامح ويعفو عن الناس، وينسى إساءتهم، فهو يُحِب أن يغفر الله له ويعفو عنه ، فعفا عن الناس، وتخَلَّق بهذا الخُلُق حتى يعفو الله تعالى عنه .

لقد عَلَّمَنا الله تعالى في آياته فضل هذا الخُلُق، فجاءت الآيات كثيرة عن فضل الصَّفْح، مثل :

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ (٨٥) - سُورة الحِجْر .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ - سُورة النور .

والصَّفْح من خُلُق النبي - صلى الله عليه وسلم - فلقد أمر اللهُ تعالى نبيَّه أن يعفو عن الناس، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ - سُورة آل عمران .

وإلى نفس المعنى توافقت آيات الكتاب المقدس، أذكر منها: «فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَّتِكُمْ» (إنجيل متى ٦: ١٤، ١٥)، وكذلك: «كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٤: ٣٢)، وكذلك: «اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ» (إنجيل لوقا ٦: ٣٧).

وعلى هذا، فصاحب هذا الخُلُق يُحِب أن يتخَلَّق بخُلُقٍ أمر الله تعالى به، وكان من أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم -، صاحب هذا الخُلُق نسميه نحن في حياتنا قَلْبُه أبيض، سَهْلٌ أن يمحو إساءات الناس من قلبه، يصفح ويعفو عنهم، فيكون قلبه أبيض خالياً من أي غيظ أو غضب.

الصَّفْح الجميل الذي جاءت به الآية الكريمة، هو أن نُسامح بلا معاتبة، ونُحسن إلى مَن صَفَحْنَا عنه، وهذا قمة هذا الخُلُق، وهذا ما يُحِب الله تعالى أن يرانا عليه، ولهذا أمرنا به، فهو أمرٌ يتعين أن نُطيع الله تعالى فيه، فليكن قلبنا أبيضَ، ولنصفح عن الناس، وليكن صفحنا جميلاً مصحوباً بقولٍ حَسَن، وربما، مصحوباً بإحسان إلى مَن نصفح عنه، ولِمَ لا، وهو الصفح الجميل.

أبناؤنا يتعلمون مِنَّا، فلنكن حريصين على أن نُقدِّم لهم القدوة، ليتخَلَّقوا بهذا الخُلُق، والبداية أن نصفح نحن عنهم إذا أساءوا ثم اعتذروا، ليتعلموا أن يصفحوا، ولأن في عدم الصفح تمادي المُسِيء أو استمراره في إساءته، بينما الصفح قد يكون تشجيعاً وحافزاً له أن يتوقف، حبَّذا لو تبع الصفحَ إحسانٌ إليه.

الصفح يبني ويلم الشَّمل، وهو خُلُق يُسعِد مَن تخَلَّق به، فهو ينام وقلبه ليس فيه غِلٌّ لأحد، وهو من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، بإذن الله تعالى.

قليـلٌ مِن هذا الخُلُـق الكريم قادرٌ على الحفاظ على بيوت كثـيرة، ومَنْعِ الكثير من الطَّلاق المنتشر لغياب الصفح والعفو، وذلك بأن يَودّ كلٌّ طرف الطرف الآخر، وألا تكون الحياة رِحلة للبحث عن أخطاء الآخر، وإنما يتذكَّران الفضل بينهما، وما جمعهما مـن أيام جميلة، وأن يتغافـل كلٌّ منهما عن صغائر الأمور ليتفـادى وجود الخلاف أو النزاع الذي يتطلب الصفح أصلاً، فإذا حدث الخلاف كان سهلاً في ترضيته، وسريعاً فيها حتى لا يكبر الخلاف، فربما قاد إلى الطَّلاق .

قليـلٌ مِـن هـذا الخُلُـق الكريم قـادرٌ على إنهـاء الآلاف مـن القضايـا المنظورة في المحاكم، قليلٌ مِن هذا الخُلُق الكريم قادرٌ على لمِّ شمل الأخوة والأخوات والعائلات والأصدقاء .

جَميلٌ خُلُق الصَّفْح، جَمِيلٌ أن نسعي لأن نعفو ونصفح، فلنجعل من الصفح خُلُقاً ونَهْجَاً، ألا نحب أن يغفر الله لنا ؟!

٩٩- خُلق الصّلاة

وهنا يتعين أن أذكر أنني لا أتحدث عن شروط وأحكام الصلاة، ولكني أحاول أن أستخلص خُلُق تأدية الصلاة .

بدايةً هو الإخلاص، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾- سُورة البيِّنة ٥، وإتمام الوضوء، ثم السَّكينة، كما يقول لنا رسول الله – عليه الصلاة والسلام –: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»، والسَّكينة تعني: الطمأنينة والهدوء في المشي .

كذلك من خُلُق الصلاة أن نُفْسِح في المجالس، ونحن في المسجد للصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾- سُورة المجادلة.

كذلك من خُلُق الصلاة استحضار المقام ذاته، أي أن يشعر المُصَلِّي أنه على بداية الوقوف بين يدي الله تعالى، فيكون الخشوع والتعبُّد، كذلك لا يذهب الشخص إلى المسجد إلا وقد تزيّن، وتَطَّهر، وربما تَعطَّر، وذلك لقوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ – سُورة الأعراف .

ويدخل في أخلاقيات الصلاة في عصرنا هذا غَلْق الموبايل قبل دخول المسجد حتى لا نُزعج الآخرين، ونُخرجهم من تركيزهم، كذلك عدم الحديث مع الغير أثناء الخُطبة، وترك المناخ لائقاً لكي يركز كلُّ مَن حولي في صلاته، فلا نقوم بأي فعل أو قول يُخرجه عن هذا التركيز في الصلاة.

ويجب على المصلِّي عدم مزاحمة أَحَد في الدخول أو الخروج من المسجد، وكذلك عدم المرور من أمام المصلين أو تَخطِّي الصفوف بصورة غير مقبولة، وألَّا يكون المُصلي سبباً في عدم انضباط الصفوف، بل يسعى أن يكون ليِّناً بين الناس، لكي ينتظم الصَّفُّ في الصلاة.

وقد وجدت في الكتاب المقدس آيات تتحدث عن خلق الصلاة المبنية على التضرع والمواظبة، والسهر في الصلاة، والشكر لله، أذكر منها: «**يَا رَبُّ، اسْمَعْ صَلاَتِي، وَأَصْغِ إِلَى تَضَرُّعَاتِي. بِأَمَانَتِكَ اسْتَجِبْ لِي، بِعَدْلِكَ**» (سفر المزامير ١٤٣: ١)، وكذلك: «**وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٤: ٢)، وأيضاً: «**مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١١-١٣)، وكذلك: «**فَمَا هُوَ إِذًا؟ أُصَلِّي بِالرُّوحِ، وَأُصَلِّي بِالذِّهْنِ أَيْضًا. أُرَتِّلُ بِالرُّوحِ، وَأُرَتِّلُ بِالذِّهْنِ أَيْضًا**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٤: ١٥)، وكذلك: «**وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٤: ٢)، وفي مثل الفريسي والعشار يوضح السيد المسيح - عليه السلام - خُلق أو منهج الصلاة الروحي وهو التواضع والخشوع مع قرع الصدر وطلب الرحمة: «**٩ وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ هذَا الْمَثَلَ: ١٠ إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَالآخَرُ**

عَشَّارٌ، ١١ أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ. ١٢ أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. ١٣ وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا: اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ. ١٤ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (إنجيل لوقا ١٨) .

وأخيراً، أن يُصلي صلاة مودِّع أي أن يستشعر أنها ربما آخر صلاة له، لكي يساعده هذا على إتقان الصلاة .

١٠٠ - خُلق صِلة الرَّحِم

امتلأت آيات القُرْآن الكريم بالحث على خُلُق صلة الرحم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ - سُورة النحل ٩٠، وقال تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ - سُورة الروم ٣٨، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ - سُورة النساء ١، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ - سُورة النور ٢٢ .

فأوصانا الله تعالى بِصِلَة رَحِمِنا، وصلة الرَّحِم معناها: أن نتواصل مع كل ذي رَحِم، وذو الرَّحِم: هو مَن تربطنا به قرابة من طريق الأب أو الأم أو الابن أو البنت، حتى إن قاطعونا، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»، أي: إن العِبْرة إذا ما قَطَع أحد أقاربك الاتصال بك، أن تبادر أنت وتتواصل معه .

والكتاب المقدس يؤكد على خلق صلة الرحم، فتقول الآية: «**أَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**» (إنجيل متى ١٩ : ١٩)، وكذلك: «**وَلكِنْ إِنْ كَانَتْ أَرْمَلَةٌ لَهَا أَوْلاَدٌ أَوْ حَفَدَةٌ، فَلْيَتَعَلَّمُوا أَوَّلًا أَنْ يُوَقِّـرُوا أَهْلَ بَيْتِهِـمْ وَيُوفُوا وَالِدِيهِمِ الْمُكَافَأَةَ، لأَنَّ هـذَا صَالِحٌ وَمَقْبُولٌ أَمَامَ اللهِ**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٥ : ٤)، وكذلك: «**وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٥ : ٨) .

وصِلَـة الرَّحِم لها صور كثيرة، من بينها: الإنفاق ،كما حثتنا آيات كثيرة في القُرْآن الكريم، فجاءت الآيات القُرْآنية المتحدثة عن الإنفاق بذكر ذي القُربى في مقدمة الذين يجب علينا الإنفاق عليهم، وكذلك التواصل بالسؤال والمواساة، والاهتمام بشئونهم وأحوالهم ورعايتهم . كلها أمور من أخلاقيات صِلَة الرَّحِم .

وفضل صِلَـة الرَّحِم عظيمٌ عند الله تعالى، وكذلك قطع صِلَـة الرَّحِم ذَنْب كبير، وفي ذلك حديث قدسي، أي منسوب إلى الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما بلَّغ عن رب العزة: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا الله وأنا الرحمن، خُلُقت الرَّحِم، وشـققتُ لها من اسـمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتَتُّه**»، فلا يستهن أحدنا بعدم صلة الرحم، إنه ذنب عظيم .

ربما كانت الإساءة من أحد أقاربنا هي ابتلاء لنا، هل سنرسب في الابتلاء، ونغضب، ونقاطعهم ؟! أم نفوز برضا الله تعالى بأن نصل رحمنا رغم إساءتهم، وسعيهم لقطع العلاقات ؟! .

إن خُلُق صِلَة الرَّحِم هو تكليف إلهي، بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، وهو أمرٌ أُمرنا به، وليس اختياراً بالنسبة لنا، فهو خَلَقنا عائلات، ووصلها بصِلَة الرَّحِم،

وأمرنـا أن نصـل هـذا الرَّحِم، وشـدَّد على ذلـك، فليراجـع كل منا علاقتـه بأخواته وأبنائـه وأبنائهـم وبناتهم وأعمامـه وعماته، وأبنائهـم، وأخواله، وخالاتـه وأبنائهم، وأبويـه وأقربائهم، وأبنائه وأحفاده، وكل مَن تربطه بهم صِلَة رَحِم، وليسعَ كل منا أن يُثاب بالمبادرة بوصل هذا الرِّحم، فما أعظم أجر من يبدأ بزمام المبادرة .

في أيامنا هذه تطورت الدنيا مِن حولنا، فنرى الجروب على الموبايل بين الأصدقاء والمعـارف، ولا نـرى الجروب بين ذوي القربى . فلماذا لا يقوم كل منا بعمل جروب يتواصـل من خلاله، ومن خلال وسـائل التواصل الاجتماعـي الحديثة، فهي أدوات تَوَاصُـل، ولعلها أبسـط طريقة لصِلـة الرَّحم، أن يُصَبِّح عليهـم، وأن يُعَيِّد عليهم في المناسبات، وأن يتعرف على مشاكلهم أولاً بأول، ويشاركهم أحوالهم، وأن يتواصل معهـم بصـورة دائمة على الجـروب كحد أدنى، ثـم فليفكر كل منا وقـد أمر الله أن يكـون بدايـة الإنفاق لذوي القربى، هل فعلنا ذلك ؟! أم أن بعض الناس يتخلصون مـن زكاتهـم في أي مكان ولا يبحثون عن أقارب هُم في حاجة إلى الدَّعم والمسـاندة، وسنُسأل عنهم: كيف أغفلناهم ؟! .

قـد يكـون من بين أُولي القربى ذو الدم الثقيل المُلِحّ بصورة دائمة في الطلبات، أو غـير المتأدب في كلامه، لعلـه ابتلاء لنا يتعين معه أن ننجح فيـه، ونتخَلَّق بخُلُق صِلة الرَّحِم، ونعطيه حقه، وألا نضار من سوء تصرفه أو خطئه في حقنا .

فلنحـرص جميعـاً عـلى صِلة الرَّحِـم، ولنجعلهـا أولوية مـن أولوياتنـا، فهي من أساسـيات الخُلُـق الكريم، الـذي أمرنا به الله تعـالى، ومَن فاز به فـإن فـوزه عظيـم بإذن الله.

١٠١ - خُلق الطَّاعَة

ما أعظم هذا الخُلُق - خُلُق الطاعة - لقد بَشَّرنا الله تعالى أن مَن خُلُقه طاعة الله والرسول، فهو عند الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين، وما أعظم هذه الصحبة، فيقول تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾- سُورة النساء .

وإذا كان المقصود من الآية الكريمة السابقة، أن مَن خُلُقهم الطاعة، فَهُم في درجات عُليا من الجَنَّة بإذن الله، إلا أنني أرى (مجتهداً) أن حالة الطاعة حالة دنيوية يقوم عليها الإنسان في حياته، وعلى هذا، فالله العليم يرى عباده، وخُلُقهم الطاعة، يحترمون ما جاء به نَبِيُّهُم، ولا يقربون المعاصي، ويفعلون ما أمرهم الله ورسوله به، فهؤلاء يَرضى اللهُ عنهم في الدنيا، وهذا الرضا هو من مقدمات الفوز بهذا المقام الرفيع في الجَنَّة، ومن رضي عنه الله أحبَّه، ومن أحبَّه الله كان حاميه ومُوفِّقه بإذنه في الدنيا.

ثم إن خُلُق الطاعة مِن تقوى الله، وتقوى الله يحفظ بها الله ذُرِيَّة الإنسان بعد وفاته، لقوله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾- سُورة النساء .

وعـلى هـذا فخُلُق الطاعـة، خُلُق الذين أنعـم الله عليهم، خُلُق مَـن طلبوا مِن الله الهُدى فهداهم، ومن طلبوا أن يُثبِّتهم على هذا فثبَّتهم .

علينـا أن نـدرك خـيرات خُلُق الطاعـة، والمقام رفيع المسـتوى الذي بَـشَّر به الله، سبحانه وتعالى، أصحاب هذا الخُلُق .

فلنكـن من الطائعين، وندعو الله تعالى في كل صلواتنا، أن يوفقنا لهذا الخُلُق، وأن يكتبنا الله عنده من الطائعين، فنفوز الفوز العظيم بإذن الله .

كذلك، فالله قد أمرنا أن نُطيع أولي الأمر ، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾- سُورة النساء .

فطاعة أُولي الأمر في دنيانا واجبة - أيضاً - مادامت مِن باطن طاعة الله ورسـوله، أي عـلى ذات المبدأ، لأن الآية صريحة، ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾، أي أن طاعة الله والرسول هي الأمر الحاكم، وهي المرجِعُ في هذا الأمر .

ومـن الفقهـاء مَن قال: إن أُولي الأمر - هنا - هم العلماء الذين يُبيِّنون لنا أمر الله والرسـول لنُطيعهـم، ومِن العلماء مَن قال - أيضـاً -: إن وليَّ الأمر الآن هو القانون، أي الالتـزام بالقانـون، ولسـتُ فقيهاً، بالطبـع، ولا ينبغي لي أن أخـوض في أمور لها أوجه مُختلِفة، ولكن هناك خلاصة في هذا القول هي: أن نطيع الله ورسوله، وكل ما يتفق مع هذا من طاعة .

ولقـد أكدت آيـات الكتاب المقدس عـلى فضل الطاعة في مواضـع عديدة، أذكر منها: «بنو الحكمة جماعة الصديقين وذريتهم اهل الطاعة والمحبة» (سـفر يشـوع بن

سيراخ ٣: ١)، وكذلك: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» (سفر أعمال الرسل ٥: ٢٩)، وكذلك: «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٦: ١)، وكذلك: «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لأَنَّ هذَا مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣: ٢٠)، وكذلك: «أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ، لأَنَّ هذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ» (رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١٣: ١٧).

نسأل الله تعالى أن نكون من الطائعين الفائزين بإذن الله.

١٠٢ - خُلق الطّعَام والشّرَاب

للطعـام والشراب أخلاق، بالقطع، أولها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ - سُـورة الأعـراف، فخير الأمور أوسـطها، كذلك يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ - سُورة البقرة، فالله - سبحانه وتعالى - يدعونا أن نأكل من الطيبات، ولا نأكل مما حرم الله .

ولقد ركز الكتاب المقدس على بعض الأمور المهمة في الأكل ،منها:

الشـكر دائماً عنـد الأكل مع الصلاة مع مباركة الطعام قبـل الأكل: «فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الأَرْغِفَةَ لِلتَّلاَمِيذِ، وَالتَّلاَمِيذُ لِلْجُمُوعِ» (إنجيل متى ١٤ : ١٩) .

استخدمه السيد المسيح - عليه السلام - لعمل علاقات محبة ودعوة الناس للتوبة، فالأكل جلسة مقدسة نافعة .

عـدم رفـض شيء مـن المأكولات وعـدم التذمـر أو الانشـغال الزائـد بالبطــن: «٢٥ لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْـرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُـونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَـدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ ٢٦ اُنْظُرُوا

إِلَى طُيُورِ السَّــمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْــتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَــا؟ ٢٧ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِــهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟ ٢٨ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. ٢٩ وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَــا. ٣٠ فَإِنْ كَانَ عُشْــبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُــهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُــكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ ٣١ فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْــرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ ٣٢ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا» (إنجيل متى ٦) .

وفيما يأتي أعرض لبعض أخلاقيات الطعام، ثم بعض أخلاقيات الشراب .

أولاً: أخلاق الطعام:

١ - غسل اليدين قبل الطعام وبعده، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**إنَّ بركةَ الطَّعامِ الوضوءُ قبله والوضوءُ بعده**» .

٢ - التسـمية في أول الطعام والحمد في آخره، لما ورد في حديث عمر بن أبي سـلمة - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سَمِّ اللَّهَ، وكُلْ بيمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ**» ، فإذا نسي الشـخص أن يذكر اسـم الله بعد أن شرع في الأكل فليقل: «**بسم الله أوله وآخره**» .

٣- ألَّا يعيب طعاماً قُدِّم إليه: لما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: «**ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وأن كرهه تركه**»، وذلك لمـا في إعابة الطعـام من الكِبْر والتَّرَف، ومـا في ذَمِّه من احتقار للنِّعمـة التي ينبغي أن تُصان بحمد الله وشكره، والقناعة بالقليل منها .

٤- أن يأكل بيمينه، ويأكل مما يليه .

٥- ألا يـأكل مُتَّكِئـا، قال رسـول الله - صـلى الله عليه وسـلم -: «**لا آكل متكئا**»، وذلك لما فيه من الضرر الصحي، وظواهر الكِبْر والتعالي .

٦- اسـتحباب التحـدث على الطعام، فليس في الإسـلام ما يـدُلُّ على منع الكلام أثناء الطعام، وما شـاع على بعض الألسـنة من أنه» لا سلام ولا كلام على الطعام» لا أصل له شرعاً .

٧- ألا يبـدأ بالطعـام قبل مَن هو أكبر منه: لما جاء عن سـيدنا حُذَيْفَة - رضي الله عنه - قال: كنا إذا حضرنا مع الرسول الله، صلى الله عليه وسلم، طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، فيضع يده .

٨- أن يدعـو لمضيفـه إذا فرغ من الطعام: لمـا روي عن أنس - رضي الله عنه - أنَّ النَّبـيَّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ - جاءَ إلى سَـعدِ بنِ عُبادةَ فَجاءَ بِخُبزٍ وزيتٍ فأكلَ ثمَّ قـال النَّبـيُّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ - «**أفطرَ عندَكُم الصَّائمونَ، وأكلَ طعامَكم الأبرارُ، وصلَّتْ عليكُم الملائكة**» .

ثانياً أخلاق الشَّراب:

١- التسـمية والحمد، والشُّرب ثلاثاً: قال رسـول الله - صلى الله عليه وسلم -:» لا تَشربوا واحدًا كشُربِ البَعيرِ، ولكن اشرَبوا مَثنى وثُلاثَ، وسَمُّوا إذا أنتم شَرِبتُم، واحمَدوا إذا أنتم رَفَعتُم»، أي انتهيتم من الشُّرب .

٢- كراهية النفخ في الشَّراب: لأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ نهَى أن «**يُتنفَّسَ في الإناءِ أو يُنفَخَ فيه**».

٣- عدم ملء المعدة في الأكل والشُّرب، لقوله - صلى الله عليه وسـلم -: «**ما ملَأَ آدميٌّ وِعاءً شــرًّا مِن بطنِه، بِحَسْبِ ابنِ آدمَ لُقَيماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه، فإنْ كان لا بدَّ فاعِلًا فثُلُثٌ لِطعامِه، وثُلُثٌ لِشــرابِه، وثُلُثٌ لِنفَسِه**»، وقد ذكر العلماء أضراراً كثيرة للشبع، وملء البطن من الناحية الصحية، وغيرها .

٤- استحباب أن يكون ساقي القوم آخرهم شُرْباً، فقد كان رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - في سَفَرٍ، فأصاب الناسَ عطشٌ، فنزَل منزلًا، فجعَل النبيُّ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - يَسقيهِم، فجعَل الناسُ يقولونَ: يا رسولَ الله، اشرَبْ، يا رسولَ الله، اشرَبْ، قال: «**ساقي القومِ آخِرُهم، ساقي القومِ آخِرُهم**» يعني: آخرهم شُرْباً .

١٠٣ - خُلق الطَّلاق

الطَّلاق حلٌّ شرعي يلجأُ إليه الزوجان عند استحالة العيش سويًّا، ولكنَّ الذي يجبُ العِلم به والتنبه إليه أنَّ الطَّلاق أبغض الحلال، ولأني لستُ بشَيْخ، وليس من صلاحياتي بيان أحكام الطَّلاق، فأنا - هنا - أتحدث عن خُلُق الناس، الذي يجب عليهم أن يتحلوا به عند إيقاع الطَّلاق، فالطَّلاق له أخلاقياته، وأهمها: أن يكون في هدوء وروِيَّة، وأن تسبقه محاولات إصلاح، فالله تعالى يقولُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ - سُورة النساء .

وعلى هذا فهناك خطوات لابد منها قبل الطَّلاق:

١ - الوعظ والتذكير بحقِّ الزوجين .

٢ - الهجر في الفِراش عند النوم .

٣- الضرب، وأفهمه - كما ذهب جمهور العلماء - بمعنى ترك البيت وإهمال الزوجة .

٤- اختيار حَكَمَين صالحين قريبين من الزوجين، يهمُّهما الإصلاح بينهما .

٥- الصُّلح بين الزوجين مُستَحب شرعاً، فلأحدهما أنْ يُحسن إلى الآخر في سبيل المحافظة على رباط الزوجيّة، وفي ذلك يقولُ سبحانه: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ - سُورة النساء ١٢٨، ويقول سبحانه: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ - سُورة النساء ١٢٩.

وأضيف - هنا - أن من أخلاق الطَّلاق - وليست شروطه -، أن يكون مُوَثَّقاً حتى يمكن إثباته من جانب المطلَّقة، وأن يكون الطَّلاق في حال طُهْر لم يجامع الزوج زوجته فيه، إن لم تكن حاملاً .

كذلك - من أخلاقيات الطَّلاق - إعلام الزوجة بطلاقها، وأن تعتد المطلقة (تقضي فترة العِدَّة) في بيت الزوجية، وليس كما يفعل الكثير بإخراجها من بيت الزوجية، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ - سُورة الطَّلاق ١، فإذا وقع الطَّلاق، كان الخُلُق - هنا - هو المعروف، ويقتضي هنا ألا ينشأ نزاعٌ بين الطرفين في المحاكم،

أو ما شابه، فهناك التزامات مالية محددة، مثل النفقة، والمتعة، وكذلك فإن هناك التزامات غير مادية، مثل: تمكين الأب من رؤية أبنائه، وهكذا، فعلى الطرفين - وفقاً لخُلُق الطَّلاق الأمثل، الذي دعا إليه القرآن، التحلي بالعقلانية، وتنفيذ أحكامه، دون مماطلة أو مشاحنة، تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ ﴾ - سورة البقرة، أي أن حُسن المعاملة، والاحترام المتبادَل مطلوب حتى بعد الطَّلاق كخُلُق من أخلاقيات الطَّلاق في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى يأمرنا أن يكون الخُلُق السائد هنا هو المعروف، كما جاءت الآية السابقة، وكذلك، قوله تعالى: ﴿ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١ ﴾ - سُورة البقرة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦ ﴾ - سُورة البقرة .

بصفة عامة، أستطيع أن أوجز أن خُلُق المُسْلم أو المُسْلمة حال الطَّلاق لابد أن يكون «المعروف»، وهو ما يقتضي الأدب والاحترام المتبادَل، وعدم المماطلة في الحَقِّ، بل سرعة أدائه بقناعة واقتناع أن هذا يُرضي الله تعالى، وأن يكون هناك إحسان من جانب الزوج المُطلِّق، كلٌّ حسب سعته وقدرته، وأن يكون الطَّلاق آخر الحلول بعد استنفاد كافة الطرق التي سبق شرحها، وكما يقول الله تعالى: ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١ ﴾، أي: الذين يخشون الله تعالى ويطيعونه .

أما عـن الكتـاب المقـدس ، فخلق المطلِّـق والمطلَّقـة، أيضـاً، قـد ورد فيه بعض الآيـات، ولا أتكلم هنا عن أحـكام الطلاق، وإنما أتكلم عـن أخلاقيات الاختلاف وقـت الطلاق، وكيف يرعى الطرفان بعضهـما البعض، فأذكر هنا آيتين للتدليل على ذلك: «فَقُلْتُمْ: «لِمَاذَا؟» مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الشَّـاهِدُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ امْرَأَةِ شَـبَابِكَ الَّتِي أَنْـتَ غَدَرْتَ بِهَا، وَهِيَ قَرِينَتُكَ وَامْرَأَةُ عَهْدِكَ.» (ملاخـي ٢ : ١٤)، «أَفَلَمْ يَفْعَلْ وَاحِدٌ وَلَهُ بَقِيَّةُ الرُّوحِ؟ وَلِمَاذَا الْوَاحِدُ؟ طَالِبًا زَرْعَ اللهِ. فَاحْذَرُوا لِرُوحِكُمْ وَلاَ يَغْدُرْ أَحَدٌ بِامْرَأَةِ شَبَابِهِ» (سفر ملاخي الإصحاح الثاني (٢: ١٤/ ١٥) .

هذا في العهد القديم، وقد جاء في العهد الجديد وصايا بعدم الطلاق إلا لظروف الخيانة، كما في (متى ١٩)، لكن من أهم الأخلاقيات السـتر حتى في الطلاق للخيانة: «أَفَيُوسُـفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا» (إنجيل متى ١ : ١٩) .

١٠٤- خُلُق الطُّمأنِينَة

الطُّمأنينـة هي الارتياح لما قدره الله أو سـيقدره الله تعالى، وهو في الغالب نابعٌ من سـلامة النِيَّة مع الله، وحُسـن العمل، فتكون هناك راحة نفسية يمشي بها صاحبها في الأرض .

والله تعـالى يُحِـب أن يكون خُلُقنـا الطمأنينة في السراء وكذلـك في الضراء، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾- سُورة الحج .

وذَكَـر الله تعـالى أنَّ تـلاوة القُـرْآن الكريـم، أو التسـبيح، أو الدعاء، من وسـائل اطمئنـان القلوب، فالله تعـالى يقـول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾- سُـورة الرعد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾- سُورة آل عمران .

وللإنسـان أن يدعـو الله تعـالى، ويسـتغيث بـه، ويطلـب منـه المنـاصرة والتوفيق ليطمئـن قلبـه، يقـول تعـالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم

بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ - سُورة الأنفال .

وخُلـق الطمأنينـة لا يتخلَّق به إلا مَن أدَّى ما عليـه - من وجهة نظري -، وأطاع الله، وأطاع الرسول، وسعى أن يكون عبداً شكورا .

يُحِب الله أن يرى المسلم مطمئناً وهو يصلى، فيقول تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ - سُـورة النسـاء، فالصلاة في طمأنينة يكون فيها التركيز والإخلاص، وهما طريق القبول بإذن الله تعالى .

ولقـد بَـشَّر اللهُ صاحب هذا الخُلُـق بالجَنَّة ونعيمها، وأن صاحبهـا من عبـاد الله، فقـال تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ - سُورة الفَجْر .

ولقـد أكدت آيات الكتاب المقدس على فضل خلق الطمأنينة في مواضع متعددة، أذكـر منها: «بِالْهُـدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ» (أشـعيا ٣٠: ١٥-١٧)، وكذلك: «بِسَـلاَمَةٍ أَضْطَجِعُ بَلْ أَيْضًا أَنَامُ، لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ مُنْفَرِدًا فِي طُمَأْنِينَةٍ تُسَكِّنُنِي» (سفر المزامير ٤ : ٨)، وأيضاً: «ارْجِعِي يَا نَفْسِي إِلَى رَاحَتِكِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكِ» (سفر المزامير ١١٦ : ٧) .

اللهم خلِّقنا بهذا الخُلُق .

١٠٥- خُلق العَدْل والإِنْصَاف

خُلُق العدل أَمْرٌ إلهي، لابد أن نتخلَّق به، فالله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ - سُورة النحل، فهو ليس أمراً اختيارياً بالنسبة لنا، وإنما هو من مكارم الأخلاق، التي بُعث بها كل الأنبياء، وخاتمهم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ - سُورة المائدة، وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ - سُورة ص .

كلها آيات كريمات، وغيرها الكثير، توضح لنا أننا مأمورون بالعدل، والعدل هو اسمٌ وصفةٌ من صفات الله تعالى، وهو يُحِب أن يرى عباده ينتهجون هذا الخُلُق، فبالعدل تنهض الأمم، وبغير العدل تنهار المجتمعات، فتتصارع، العدل هو أقصى ما يحلم به أيُّ إنسان، فلا أحد يُحِب أن يُظلَم، فقد حرم الله تعالى الظلمَ على نفسه، فقال في حديث قدسي: «يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا،

فلا تَظَالَمُوا»، وكذلك نهانا عن الظلم، ونهانا أن نتَّبِع الهوى، وأن نكون ناصحين فيما بيننا، مُنْصِفين فيما بيننا، وليس المخاطبون بالعدل فئة رجال القضاء – مثلاً – وإنما خُلُق العدل والإنصاف الناس جميعها مكلفة به .

ولقد حثت آيات الكتاب المقدس على العدل والإنصاف في عدة مواضع، أذكر منها: «لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ، لاَ فِي الْقِيَاسِ، وَلاَ فِي الْوَزْنِ، وَلاَ فِي الْكَيْلِ» (الاويين ١٩ : ٣٥)، وكذلك: «وعدل الميزان والمعيار والمكسب كثر أم قل» (يشوع بن سيراخ ٤٢ : ٤)، وكذلك الآية : «وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا، الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا، الْجَاعِلِينَ الْمُرَّ حُلْوًا وَالْحُلْوَ مُرًّا» (سفر إشعياء ٥ : ٢٠) .

في معاملاتنا، يجب أن نتحلى بالعدل والإنصاف، وألَّا نظلم الناس، وأن نُعطي كل ذي حق حقه، وألا نُميِّز أحداً عن أحد إلا بالحق، فصاحب العمل الذي لا يعدل بين مرؤوسيه، فهو في واقع الأمر قد تخلى عن هذا الخُلُق، الذي أُمِر أن يتخَلَّق به، وقد وقع في دائرة الظلم .

والسؤال: أيُحِب أحدنا أن يوصف بأنه ظالم أو أن يكون ظالماً ؟! للأسف إن عدم العدل، وعدم التحلي بهذا الخُلُق (خُلُق الإنصاف) يوقعنا مباشرة في دائرة الظلم – والعياذ بالله –، والظلم عند الله تعالى ذَنْبٌ عظيم .

وعلى هذا، فالعدل والإنصاف خُلُق نُثَاب عليه إذا تحلَّينا به، ونُعَاقَب إذا فرَّطنا أو قَصَّرنا فيه .

ومن ناحية أخرى، فإنه إذا وَلَّيْنَا مِنَّا مَن يُقيم العدل، أي أصبح قاضياً أو رجل قضاء، فإن لذلك شرط الكفاءة الصحية، والذهنية، والنفسية، التي تُمكِّن صاحبها من أن يحكم بين الناس بالعدل، ولهذا فأنا أرى – ولا حرج في ذلك – لأني في الأصل

رجل قضاء – أنه كما يتم الكشف الطبي الدوري على قائد الطائرة، أو حتى على قائد السيارة، لتجديد تراخيصه، فإنه يتعين أن يكون هناك كشفٌ دوريٌ على رجال القضاء ولو كل خمس سنوات، للتأكد من قدرتهم وكفاءتهم الصحية والذهنية والنفسية للحُكم على الناس، ولم لا ؟! .

فإذا كان هذا القاضي لديه صلاحية الحُكم بالإعدام، على أحد، فليس أقل من أن يكون المجتمع متأكداً من صلاحية قدراته الصحية والذهنية والنفسية لذلك .

ومن زاوية أخرى، فإن القاضي لابد أن يكون مستقلاً، حُرّاً مالياً وإدارياً، فلا يستطيع أحدٌ – عملياً – أن يوجِّهه أو يوحي إليه بحُكم ما، وإلا غابت العدالة، فاستقلالية القاضي هي أساس حياديته ونزاهته، وهي الضمانة الحقيقية للحاكم والمحكوم .

والعدل والإنصاف خُلُق كريم يحتاج مِنَّا إلى تدريب، ويحتاج مِنَّا أن نراجع أنفسنا كل يوم، وكل ساعة، ماذا نحن فاعلون في تعاملنا ومعاملاتنا مع مَن حولنا ؟!

فإذا ظننا أننا ظلمنا أحداً فلنبادر بتصويب الخطأ، وننصفه إحقاقاً للحق، لهذا يقول الله تعالى لنا في القُرْآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ – الحشر: ١٨، وقول سيدنا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي اللهُ عنه: «حَاسِبُوا أنفُسَكُم قبلَ أن تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أنفُسَكُم قَبلَ أن تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهوَنُ عَليكُم فِي الحِسَابِ غَدًا، أَن تُحَاسِبُوا أَنفُسَكُمُ اليَومَ، وَتَزَيَّنُوا لِلعَرضِ الأَكبَرِ، يَومَئِذٍ تُعرَضُونَ لَا تَخفَى مِنكُم خَافِيَةٌ» .

صاحِبُ هـذا الخُلُق يسـعى لأن يكون عـادلاً في كافة معاملاته، مثـل العدل بين أبنائـه، فـإذا كان له أبناء من عدة زوجات، فإنه لا يقبل أن يظلم أحداً منهم، لأنه ابن أو ابنـة فلانـة، التي – ربما – طَلَّقها، وبينه وبينها مشـاحنات، فخُلُق العدل يقول له: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ – سُـورة فاطـر، أي لا شـأن لهذه البنـت أو هذا الولد بخلافـك مـع تلك الأُم، بل عليك بالمسـاواة بـين الأولاد جميعهم، معنويـاً وماديـاً بما يُرضي الله .

العـدل العـدل، الإنصاف الإنصـاف، إياكم والظلـم، تَحَلّوا بهذا الخُلُـق الكريم، ولنراجع أنفسنا أولاً بأول . نسأله التوفيق .

١٠٦- خُلق عِزَّة النَّفْس

هـذا خُلُـق لا علاقة له بـما عند صاحبه من مـال أو جاه، فقد تجد غنيـاً يفتقد هذا الخُلُق، وتجد فقيراً عزيز النفس .

صاحب هذا الخُلُق تمنعه عِزَّة نفْسِـه من طلب المسـاعدة أو المعونة من الغير، حتى أنـه قـد يبدو غنياً مع كل ما عنده من فقر واحتيـاج، لأنه عزيز النفس، ولقد وصفتْ ذلـك الآيـة الكريمـة، فقـال تعـالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾- سُـورة البقرة، وهنا، كان الفعل المصاحب لهذا الخُلُق هو التعفف، وهو خُلُق من مكارم الأخلاق .

ومـن آيـات الكتاب المقدس، أذكر: «**اِجْعَلْ رِجْلَكَ عَزِيزَةً فِي بَيْتِ قَرِيبِكَ، لِئَلاَّ يَمَلَّ مِنْكَ فَيُبْغِضَكَ**» (سـفر الأمثال ٢٥ : ١٧)، وكذلك الآية : «**فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا**» (رسـالة بولـس الرسـول الأولى إلى تيموثاوس ٦ : ٨)، مشـيراً لعدم اللجوء للغير إلا في الضرورة الشديدة .

كثر في أيامنا مَن يتواكل على غيره، ويستسـهل الأمر، فبدلاً من العمل والسـعي يمد يده للغير طلباً للمساعدة، والله يُحِب من يسعى، ومن يجتهد في عمله، ومن لديه خُلُق عِزَّة النَّفْس، ولا يُحِب من يمد يده لأحد .

وصاحب عِـزَّة النَّفْس – أيضاً – كما يقولون: يحترم نفسه، فلا يضعها في موضع مساءلة، يحترم الآخرين حتى يبادلوه احتراماً باحترام، لأنه لا يُحِب أن يسمع كلمةً لا تعجبه من أحد، فيتفادى ذلك بأدبه، واحترام نفسه .

خُلُق عِـزَّة النَّفْس يحمي صاحبه من الانزلاق في أخطاء كثيرة في علاقته مع رَبِّه، ومع الناس، ولهذا قد فاز مَن كان هذا خُلُقه، وعلَّمه لأولاده، ومَن حوله، فالأب مدرسة يتعلم منها الأولاد، وكما شاهدوا الأب يتعامل بِعِزَّة النَّفْس، سيكون – في الغالب – هذا خُلُقهم في الكِبَر .

صاحب هذا الخُلُق لديه يقين أن الله تعالى هو الرَّازق والرزَّاق، فلا يوجد ما يدعوه أن يتدنى، بل هو – فقط – يسعى، ويعلم أن الله سيرزقه، وأن مَن يعطيه إنما يعطيه مِن فضل الله، وعلى هذا، فهو خُلُق حَسَن للتخَلُّق به .

ومن زاوية أخرى، علينا أن نحفظ للناس عِزَّة أنفسِهم، فلا نُسِيء لأحد، ولا ننهر أحداً، فالله تعالى يقول: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾– سُورة الضُّحى . ولهذا فإننا مطالبون أن نحفظ للناس عزة أنفسهم .

وهكذا، فإذا ولاَّك الله تعالى أمر الناس بوظيفة، أو ما شابه، كن حريصاً على احترامهم، والحفاظ على عِزَّة أنفسِهم، فلا تَقْهَر أحداً، وأَعْطِ كلَّ ذي حَقٍّ حقه، فهذا ليس تفضلاً منك، وإنما واجبك الوظيفي، لأن الله تعالى لا يُحِب قَهْر الرجال، بل يُحِب حُسْن المعاملة مع الناس، والحفاظ على كرامتهم، وعِزَّة أنفسِهم .

علينا بالتخَلُّق بهذا الخُلُق الكريم، ولننتبه كثيراً إلى أفعالنا، حتى تكون فيما يُرْضي الله ورسوله .

١٠٧ - خُلُق عَزم الأُمور

عَـزْم الأمـر، هو: القدرة الشـديدة على التحمل، ولقد أخبرنا الله تعالى عن خمسـة فقط من أنبيائه، هم أولوا العزم من الرسل، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ – سُـورة الأحقاف ٣٥ . وأولو العزم من الرسـل خمسـة، هم: سـيدنا محمد، وسـيدنا نوح، وسيدنا إبراهيم، وسيدناموسى، وسيدنا عيسى عليهم الصلاة والسـلام، قـال تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ – سُـورة الأحـزاب ٧، وتحدثنا آيات أخرى عن عزم الأمور، كما في :

قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾– سُورة آل عمران ١٨٦.

وقوله تعـالى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ – سُورة لقمان ١٧ .

وقولـه تعـالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ – سُـورة الشورى ٤٣ .

كما أخبرنا الله تعالى عن عزم الأمر، فقال تعالى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ - سُورة محمد ٢١ .

ومن الكتاب المقدس أذكر الآية: «**الَّذِي لَمَّا أَتَى وَرَأَى نِعْمَةَ اللهِ فَرِحَ، وَوَعَظَ الْجَمِيعَ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الرَّبِّ بِعَزْمِ الْقَلْبِ**» (أعمال الرسل ١١: ٢٣)، وكذلك: «**وَأَمَّا مَنْ أَقَامَ رَاسِخًا فِي قَلْبِهِ، وَلَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ، بَلْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى إِرَادَتِهِ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى هذَا فِي قَلْبِهِ أَنْ يَحْفَظَ عَذْرَاءَهُ، فَحَسَنًا يَفْعَلُ**» (كورينثوس الأولى ٧: ٣٧)، وكذلك: «**فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ، مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٢)، وكذلك الآية: «**خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالًا لاحْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ وَالأَنَاةِ: الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِاسْمِ الرَّبِّ . هَا نَحْنُ نُطَوِّبُ الصَّابِرِينَ. قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ**» (رسالة يعقوب ٥: ١٠ - ١١)

وصاحب هذا الخُلُق أنعم الله تعالى عليه بقدرةٍ - من فضله - على تحمُّل المصائب والشدائد والأهوال، فهو شديد التَّحمُّل، وهذه درجات وصل إليها بعض أنبياء الله تعالى، فصاروا من أولي العزم من الرسل، فليعلم صاحب هذا الخُلُق، أنه قد وفِّق من الله تعالى أن يكون خُلُقه متبعاً خُلُق أنبياء الله من قبله، وهذا قمة التوفيق .

صحيح أنه خُلُق رفيع الدرجة إلى أبعد مدى، وقد يكون مصحوباً بدرجات أعلى في بعض الحالات، فمثلاً: قد يأذن الله تعالى في وفاة شخص، فيصبر أبوه، فيكون صبره من عزم الأمور، وهنا الوفاة طبيعية (أمر الله)، وقد يكون هناك شخص آخر ابنه قُتِل، فيصبر أبوه على وفاة ابنه، وقد يعفو عن القاتل، وتكون هذه الدرجات العليا من عزم الأمور .

كذلك فإن صاحب هذا الخُلُق يعلم أن الحياة فيها كَبَدٌ وتعبٌ وعناء، ولكنه مقتنعٌ أنه عَزَم أمره، أي عَقَد عزمه، وقرر أنه يسير في طاعة الله تعالى، متحملاً أي صعاب قد يتعرض لها، لأنه مثل المستقيم على شيء، قد عزم أمره على الصمود والثبات ليرضي الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - .

خُلُق كريم جداً، يحتاج إلى مجرد السعي لمحاولة اللحاق به، خُلُق عظيم، رفيع الدرجات، يختص به الله تعالى مَن يشاء مِن عباده، وقد بشَّر الله تعالى الصابرين بالجنَّة، في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ _ سُورة البقرة .

خُلُقٌ بُني على أن ما يصيب الإنسان هو اختبار من الله تعالى، وهناك تصميم على النجاح، حتى مع شدة الاختبار، ولذا، فهو خُلُقٌ، ما أرفعه درجة عند الله تعالى .

١٠٨ - خُلق العَطاء

وخُلُـق العطاء هو خُلُق مَن يشـعُر بغيره، ومسـاعدته لغيره مُحبَّـة إليه، لا يفعلها وهـو يكـره، وإنما يفعلها وهو يُحِـب . صاحب هذا الخُلُق (خُلُـق العطاء) يعرف أن مسـاعدته للغير من أسـباب سعادته، بل ومَن يرتقي في الخُلُق فإنه يعتبر أن هذا دوره في المجتمع وواجبه .

والعطاء – من وجهة نظري – له أوجه عدة، عطاء مادي، وعطاء معنوي، وعطاء مجتمعي، وعطاء إنساني . فأما العطاء المادي فصورته الإنفاق بأنواعه: زكاة، صدقة، وغير ذلك .

وذو خُلُق العطاء يعرف أنها حقوق للغير يؤديها، ويعرف أنه لو قطعها سـينقطع عنه المدد الرباني، أي انقطع عنه رزقه، فهو يعرف أنه عندما يشاهد محتاجاً في الطريق، فإنـه ليـس لديه رفاهية اختيار أن يعطيه أم لا، فلو لم يُحِب الله تعالى أن تعطيه ما جعله في طريقـك وما شـاهدته، فالله سـبحانه وتعالى هو الذي سـاقه ليكـون أمام عينيك، ويعلـم – سـبحانه وتعالى – أنه لو صح خُلُق العطـاء عندك لرزقته من حيث رزقك الله، فقد أراد الله أن يرزقهُ، وأن يختبرك في هذا، في آن واحد، وقد أفلح مَن فهم وتَخَلَّق بخُلُق العطاء، وبادر بمساعدة هذا الشخص .

صاحب هذا الخُلُق يشـعر بالتقصير إذا سـدد ٥ , ٢ ٪ نسبة الزكاة المقررة، وهو في داخلـه يقول: لِمَ يُضَيِّقها الله تعالى عَليَّ ؟! فكيف أعطي الحد الأدني، وهو ٥ , ٢ ٪؟!،

وشُكر الله تعالى على نعمه يكون بالاستزادة في الإنفاق، وهو ما يدخل في نطاق التصدق .

كذلك، فإن صاحب هذا الخُلُق لا ينتظر شكراً من أحد، فهو يعامل الله تعالى، ويدرك أن ما ينفقه هو ماسيبقى له في الآخرة، وما لا ينفقه من ماله هو ما سيتركه ويرحل .

صاحب هذا الخُلُق متعاطف مع ما يشاهده، من حالات تحتاج مساعدة، وهو يُسعده بقاؤه في مقام المساعدين، ويشكر الله تعالى بعطائه أنه لم يجعله مِن المطلوب مساعدتهم .

ولقد جاءت آيات كثيرة في القُرْآن الكريم عن صاحب هذا الخُلُق، أذكر منها – على سبيل المثال – قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ – سُورة البقرة، وآيات أخرى كثيرة جداً تُبَيِّن فضل العطاء .

ولقد رصدت مجموعة كبيرة من الآيات في الكتاب المقدس تتحدث عن فضل خلق العطاء، أذكر منها:

١ – «مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (سفر أعمال الرسل ٢٠: ٣٥)

٢ – «مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ.» (متى ٥: ٤٢)

٣ – «كُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ» (لوقا ٦: ٣٠)

٤ – «كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ٩: ٧)

٥- «فَـإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْـقِهِ» (رسـالة بولس الرسـول إلى أهل رومية ١٢: ٢٠)

٦- «لا تكن يدك مبسوطة للاخذ مقبوضة عن العطاء» (يشوع ٤: ٣٦)

٧- «اَلصَّالِحُ الْعَيْنِ هُوَ يُبَارَكُ، لأَنَّهُ يُعْطِي مِنْ خُبْزِهِ لِلْفَقِيرِ» (أمثال ٢٢: ٩)

٨- «لاَ تَقُلْ لِصَاحِبِكَ: «اذْهَبْ وَعُدْ فَأُعْطِيَكَ غَدًا» وَمَوْجُودٌ عِنْدَكَ» (أمثال ٣: ٢٨)

٩- «فَمَتَـى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَـوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَـلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ» (متي ٦: ٢-٣) .

١٠- «وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِـمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ» (متي ٦: ٢-٣) .

١١- أمـا العطـاء المعنـوي فصورتـه التواصل والمـودة وصِلة الرحـم والتراحم، ومشـاركة الغير أفراحهم وأحزانهم ومشـاكلهم، وصاحب هـذا الخُلُق لديه إيجابيه تدفعـه ألا يكـون متفرجـاً، بل هو يبـادر بالتواصل وبالتواجد، ويُحِـب أن يكون له دور، ويُسـعده أن يفكَّ كـرب الناس ،وأن يمشي في قضاء حاجـات الناس، وهو لا يشـعر بضيـق من ذلك، فهو يشـعر أن هذا ما يُسعده، ويفــرح حيـن يُحْرِز حلولاً لمشاكل غيره .

١٢- أما عن العطاء المجتمعي، فصورته حُبُّ الإنسان أن يستفيد المجتمع عموماً من قدراته المتنوعة، ولا يبخل في ذلك، بل يُقَدِّم حلوله، وأفكاره، ويُقَدِّم نَفْسَه سواء في صورة تطوع لإغاثةٍ، أو تَحَمُّل مسئوليةٍ، أو غير ذلك .

فخُلُـق العطـاء يجعله في حالةِ رغبةٍ دائمة في المشـاركة، ولأن ينتفع الناس به (على حد تصوره طبعاً)، ولا يكون طامعاً في منصب، ولكنه تخَلَّق بخُلُق العطاء، وهو ما يجعله يُقَدِّم ما يستطيعه دون أن يُطلَب منه .

أمـا عـن العطاء الإنسـاني كعطـاء الأب أو الأم أو الأبناء، أو ما شـابه، فصاحب خُلُق العطاء الإنساني هو إنسان يسهر على راحة الآخرين، يُسعده إسعادهم، ويُحزنه أن يكونـوا في ضيـق أو مـرض، ويهمـه أن يكـون إيجابيـاً في حل مشـاكل مَن حوله والتخفيف عنهم، وتفريج كربهم .

إن خُلُـق العطـاء من الأخلاق الكريمة الجامعة التي إن ربينا عليها أبناءنا أسَّسـنا لمجتمع راقٍ مُتاحبّ .

إن هذا الخُلُق هو أسـاس الابن البار ،والإنسان الوطني، هو خُلُق يتعين أن يكون في مقرراتنا الدراسية، وأن يفرض نفسه على ثقافتنا المجتمعية .

إن من أهداف أي حكومة هو تعظيم دور المشاركة المجتمعية، ولكن: أين التربية ؟ وأين التثقيف ؟ وأين المقدمات التي تؤدي إلى ذلك ؟

خُلُـق العطـاء لا علاقة له فقط بمن يسـتطيع الإنفاق، حسـبما وضـح، فهو ليس العطاء المادي فقط، وإنما هو خُلُق للجميع، والكل يستطيع أن يتخَلَّق به .

اللهـمَّ خَلِّقنَـا وخَلِّـق أبناءنـا ومجتمعنا بهـذا الخُلُق، واجعلـه منهـج حياتنا ومَن نُحِب... آمين .

١٠٩ - خُلق العَفَاف (العِفَّة)

وهـذا - بالقطع - مِن أرقى مكارم الأخـلاق، ففيه أرقى معاني الآدمية، واحترام خصوصية الغير، وعدم تجاوزها ولو بأبسط الأمور ، وفيه الطاعة والالتزام .

صاحـب أو صاحبـة هذا الخُلُـق، قد عرفا حدود الله تعالى، ومـا يرضيه، لأنهما قد عرفا قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾ - سُورة المؤمنون، ووضعا منها منهج حياة، وسَدّاً منيعاً لا يُتَصور تجاوزه، مهما كانت المغريات .

أمـا صاحـب وصاحبـة الدرجة العاليـة من هذا الخُلُـق، فإنه يسـعدهما ألا يكونا سـبباً في إغراء أحد، بل يُسـعدهما الاحتشـام، ويعرفان كذلـك أن الله تعالى يُحِب أن نغُضَّ البصر، فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ

﴿أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ - سُورة النور .

وعلى هذا فالمطلوب أن يسعى الكل للاحتشام بصورة تساعد الآخرين على غَضِّ البصر، على الأقل، وعَلَّمَنا ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، حيث قال لسيدنا عليّ رضي الله عنه: «يَا عَلِيُّ لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ».

وقد أكدت آيات الكتاب المقدس على خلق العفاف في عدة آيات، منها: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ» (متى ٥:٢٧–٢٩)، وكذلك الآية: «لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ» (الخروج ٢٠:١٧)، (التثنية ٥:٢١)، وكذلك: «الطهارة تُقَرِّبُ الى الله» (سفر الحكمة ٦: ٢٠)، وكذلك الآية: «اِحْفَظْ نَفْسَكَ طَاهِرًا» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٥: ٢٢)، وكذلك: «كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ، وَأَمَّا لِلنَّجِسِينَ وَغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ شَيْءٌ طَاهِرًا، بَلْ قَدْ تَنَجَّسَ ذِهْنُهُمْ أَيْضًا وَضَمِيرُهُمْ» (رسالة بولس الرسول إلى تيطس ١: ١٥).

فَغَضُّ البصر مِن علامات هذا الخُلُق الكريم، وكذلك، فهو وقاية للشخص لأنه يحمى نَفْسَه من الإغراءات ومن الانزلاق .

وإذا كنـا نتحدث عن غضِّ البـصر كمقدماتٍ لحفظ النفس من الوقوع في الخطأ، فالباقي أظنه مفهوماً وواضحاً، فالنظر - وهو أقل شيء - غير مُسـتحب، وعلينا أن نقيس على ذلك، حفظاً لأنفسنا، وتخَلُّقاً بهذا الخُلُق الكريم .

صاحب وصاحبة هذا الخلق لديهما عقيدة راسـخة أن حفظ الفرج ليس اختيارياً، وإنـما هو واجب وعمل صالح به يتخلقان بهذا الخلق، فالعفاف عندهما هو جزء من بنيان الشخصية، وأمر يسعدهما ولا يشقيان به .

ندعو الله تعالى أن يكون هذا الخُلُق الكريم من سمات أُمَّتِنا، والله خيرٌ حافظاً، وهو أرحم الراحمين .

١١٠- خُلق العَفْو والتَّسَامح

العفـو من صفـات الله تعالى، صفة أعطـت الأمل لعباد الله في العـودة إلى الطريق السليم بعد الخروج عنه، وفيها - بالنسبة لنا - معاني السمو والترفع وبُعْد النظر.

فالحياة لاتنتهي عند خطأ أو تجاوزٍ ما، وإنما الحياة تستمر، وإذا ما توقفنا عند هذا الخطـأ انتظاراً لعقوبته سـتتوقف الحيـاة، ويتوقف معها الأمل في عـودة هذا المتجاوِز (المخطِيء) إلى الطريق المسـتقيم مَرَّةً أخرى، وعلى هذا حَفَّز الله - سـبحانه وتعالى - عباده على التوبة، والكفّ عن السيئات بالعفو عمَّن تاب.

وهنا لابد أن نتعلم من المنهج الإلهي في تحفيز الناس على العودة إلى الطريق السليم بـأن نعفـو، والعفو لايكون عن ضعف، وإنما - غالباً - يعفو مَن له حَق لدى الآخر، أي هـو في مقام قـوة، وخُلُق العفو، هنا، هـو تأسٍّ (أي: إتِّبـاع) بالعفو الآلهي، وهو باعثٌ على وقف الخلافات، واستقرار الحياة، وتحويل السلبي إلى إيجابي.

لقد قَدَّم النَّصُّ القُرْآني في سُورة يوسف نموذجاً لهذا العفو في الآية الكريمة ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾- سُورة يوسف، أي عفا الله عمّا سَلَف، وكذلك فإن آيات العفو كثيرة جداً في القُرْآن الكريم، منهـا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ

وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ – سُـورة النور ٢٢، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾– سُورة الشُّـورى ٤٠، وصورة العفو بيننا هي أن يسـامح كلٌّ منا الآخر، ولا يسـعي لطول الخصام، فيسامحه فيما فعله .

مُعـدَّل الطَّلاق وصل إلى نسـب كبيرة لم نكن نعرفها مِـن قَبْل، ولو أن خُلُق العفو والتسامح انتشر أكثر وأكثر لحدَّ – بالتأكيد – من هذه الظاهرة السلبية .

إن هذا العفو يستلزم درجة من العقل يزن به صاحبه بين استمراره في الخصومة، وما لها من تبعات سلبية، وبين العفو أو التسامح، وما يصاحبها من بداية في تصحيح مسـار قد يكون فيه مصلحة الطرفين، فهو (الشـخص الذي يتسـامح) يبدأ بالخير والأفضل، ولهذا عَلَّمَنا أنبياء الله تعالى، عليهم السـلام، خُلُق التسامح، لتَسْلَم الأُمم والأُسَر ، وأن يتفرغ الإنسان للإعمار بدلاً من تفرُّغه للمشاحنات والهدم .

فلنبـدأ بتقديـم التسـامح على غيره، وأثـق أن النتيجة سـتكون إيجابيـة، بإذن الله، وهنـا عَلَّمَنـا الله – سـبحانه وتعالى – أن نبادر بالسـعي للعفو والتسـامح، ليس فقط أن نسـامح مـن اعتذر لنـا، بل نبادر نحن بالإحسـان إليهم، للبـدء في إذابة الخلاف، وصولاً للتسامح، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ – سُورة فُصِّلَت . فهنا العفو، والتسامح لم يكن مجرد تسـامح عادي من جانب المتلقِي للتسامح، ولكن العفو والتسامح صاحَبَها إحسانٌ من جانبه إلى مَن أسـاء إليه، وهذه درجة أعلى وأرفع من مكارم الأخلاق دعت إليها الآيـة سـالفة البيـان، وعلينا أن نجتهـد لمحاولة التخَلُّـق بما جاء فيهـا، وقد أفلح من

استطاع أن يصاحب تسامحَه وعفوَه إحسانٌ إلى مَن أساء إليه، فهذا خُلُق الكرامِ، وخُلُقٌ كريم من مكارم الأخلاق .

وقد جاءت آيات عدة في الكتاب المقدس، لتؤكد ذات المعنى، أذكر منها: «**كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٤ : ٣٢)، وكذلك: «**احتملوا بعضكم بعضاً وليسامح بعضكم بعضاً**» (كولوسي ١٣:٣)، وكذلك الآية: «**وليكن بعضكم لبعض ملاطفاً رحيماً**» (أفسس ٣٢:٤)، وكذلك: «**صَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ، وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهْ**» (رسالة يعقوب ٥ : ١٥)، وكذلك: «**اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ**» (إنجيل لوقا ٦ : ٣٧) .

كذلك فإن العفو الفِعلي بمثابة (رَدّ الاعتبار) الذي نعرفه في القانون الجنائي الوضعي، أي أن مَن أَدَّي العقوبة بعد مرور سنوات مُعَيَّنة، يتعين رفع هذه السابقة من صحيفة سوابقه، وهذا هو العفو من جانب الدولة، لكي يعود مواطناً عادياً في المجتمع، فيستطيع أن يتقدم لعمل جديد، ويمارس حياته العادية . كذلك نحن في علاقاتنا – إذا عفونا – علينا أن نمحو ما حدث محواً، فلا يكون أمراً نذكره لمن عفونا عنه، كلما تحدثنا معه، وإلا فلا نَعْتَبِر أنفسنا قد عفونا عنه، لأن العفو يقتضي المحو، أي نسيان الأمر، وعدم تذكُّره مِن جديد .

١١١- خُلق العَمَل

بدايةً، السؤال هنا: هل العمل خُلُق ؟

في رأيـي: نعم، فحُب العمل والاجتهاد وأن يَسـعد الإنسـان بحصوله على دخل مقابل عمل قام به، يختلف تماماً عن أن يسـعد إنسـان أن يحصل على دَخْل دون القيام بعمـل، وعـلى هـذا فالعمل منهـج حيـاة، ومنهـج الحيـــاة هو الخُلُـق، وعلى هذا فالعمل خُلُق.

عندمـا نـرى النزاعـات مـن حولنا، والثـورات، والحـروب الأهليـة التي نتجت عنهـا هجرة مئـات الآلاف، بل الملايين، ووجدنا من الجنسـيات مـن يجلس في انتظار المسـاعدات والمعونات، ووجدنا آخرين، وأضرب - هنا - مثلاً بإخواننا السـوريين الذيـن هاجـروا، وجاءوا إلى مصر، وجدنا فيهم روح العمـل وخُلُقهم العمل، فكل منهـم يحـاول أن يصنـع أي شيء يعرفه، حتـى ولو حلوى أو مأكـولات أو أي شيء آخـر، ويحـاول بيعه للمارة أو غيرهم، ولا يقبـل أن يأخذ مالاً دون أن يعطيك بضاعة مقابلـه، وأخـرون منهم افتتحوا محالاً وورشـاً وصناعات مشـتركة، كي يسـتكملوا مشـوار حياتهـم بالعمل، ولم يرضـوا أن يكونوا في مقاعد المتلقين للمسـاعدات دون عمل، هؤلاء خُلُقهم العمل .

ولقد ورد فضل العمل في القُرْآن الكريم ليعلمنا الله تعالى خُلُق العمل، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ - سُورة المُلك، فيعلمنا الله أنه لابد من السعي، وعلى الله الأجر والرزق .

وآيات الكتاب المقدس عديدة في فضل خلق العمل، أذكر منها: «**إن كان أحد لا يريد أن يشتغل، فلا يأكل أيضًا**» (تسالونيكي الثانية ٣: ١٠)، وكذلك الآية: «**نَفْسُ الْكَسْلاَنِ تَشْتَهِي وَلاَ شَيْءَ لَهَا، وَنَفْسُ الْمُجْتَهِدِينَ تَسْمَنُ**» (سفر الأمثال ١٣: ٤)، وكذلك: «**الرَّخَاوَةُ لاَ تَمْسِكُ صَيْدًا، أَمَّا ثَرْوَةُ الإِنْسَانِ الْكَرِيمَةُ فَهِيَ الاجْتِهَادُ**» (سفر الأمثال ١٢: ٢٧)، وكذلك الآية: «**شَهْوَةُ الْكَسْلاَنِ تَقْتُلُهُ، لأَنَّ يَدَيْهِ تَأْبَيَانِ الشُّغْلَ. اَلْيَوْمَ كُلَّهُ يَشْتَهِي شَهْوَةً، أَمَّا الصِّدِّيقُ فَيُعْطِي وَلاَ يُمْسِكُ**» (سفر الأمثال ٢١: ٢٥)، وكذلك: «**إِلَى مَتَى تَنَامُ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ؟ مَتَى تَنْهَضُ مِنْ نَوْمِكَ؟**» (سفر الأمثال ٦: ٩).

وقد بَيَّن الله تعالى لنا - مثلاً - السيدة العذراء مريم، عليها السلام، حين جاءها المخاض (كانت تلد)، وأراد الله أن يرزقها، فطلب منها أن تهز جذع النخلة في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾- سُورة مريم، والسؤال: أيُّ سيدة في مثل هذا الوضع تستطيع أن تهز نخلة ؟! أمر صعب، بل مستحيل، ولكن الله يضع المبدأ لخُلُق يريد أن يتحلى به عباده، وهو أنه لا شيء دون سعي ومبادرة، أي عمل من جانب الإنسان .

علينا أن نُتقن عملنا إذا أردنا أن نُحسِّن من خُلُقنا وحياتنا، وأكم من شعوب مثل الألمان والصينيِّن وغيرهم الذين أخذوا من العمل والاجتهاد خُلُقاً فنهضوا ببلادهم وبرزت اقتصاداتهم، لأنهم تحلوا بخُلُق العمل.

فلنُعلِّم أبناءنا أنه لا نجاح إلا بخُلُق العمل، ونُعرِّفهم أنه لا تفوق إلا بالاجتهاد في العمـل، وعَمَلُ طلابنـا هو الاجتهاد في المذاكرة، وعَمَلُ البطل الرياضي هو الاجتهاد في التمريـن والاسـتعداد، وهكـذا، فالعمل واجـب، ومناهجنا لابـد أن تُعَلِّم ذلك، كذلك فإن برامج تثقيفنا وإعلامنا لابد أن يحدثونا عن قصص النجاح، وفضل خُلُق العمل .

ألا نحب أن ننهض ببلادنا ؟!

علينا بخُلُق العمل، فسيرى الله عملنا ورسوله والمؤمنون .

١١٢- خُلق عِيادة المريض

أعطى الله تعالى لعباده مثلاً على رفقه بالمريض، وعدم تكليفه بنفس الأمور التي يكلف بها السليم والمعافى بدنياً، فخفَّف الله تعالى على المريض طريقة أداء الصلاة وقوفاً بصور كثيرة، حتى أداء الصلاة تقريباً بدون حركة، وخفَّف في الصيام، يقول تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ - سُورة البقرة(١٨٤)، وبصفةٍ عامةٍ هناك آياتٍ أخرى تبين لنا التخفيف والترفق بالمرضى والضعفاء، وتُعَلمُنا خُلُق الرفق بالمريض، والتعاطف معه، والعناية به، وهذا من مكارم الأخلاق.

رسول الله عليه الصلاة والسلام أخبرنا، في عدد من أحاديثه الشريفة، عن فضل زيارة المريض والعناية به، تدريباً وتحفيزاً لنا، لكي يكون هذا هو خلقنا، يقول - صلى الله عليه وسلم -: **«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيادَةُ الْمَرِيضِ، وَإِتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ»**، وقال - صلى الله عليه وسلم -: **«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا»**، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **«إن الله عزَّ وجَلَّ يقول يوم القيامة: يا بن آدم مرضت فلم تعدني (أي: تزورني)، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أمآ عَلمت أنك لو عدته لوجدتني**

عنده؟»، عِلِم صاحب هـذا الخُلُق (خُلُق حُبّ زيارة المـرضى) بفضل هذا الحديث، وفضـل زيـارة المرضى، فاتخذهـا خُلُقاً يمشي به، فهـي نوع من المواسـاة، والمراضاة، والتعاطف، يُحِب الله تعالى أن نتخَلَّق به .

وتحـث آيات الكتـاب المقدس على عيادة المريض، أذكر هنا: «**لا تتقاعد عن عيادة المرضى، فإنك بمثل ذلك تكون محبوبًا**» (سـفر يشـوع بن سيراخ ٧: ٣٩)، وكذلك: «**اذْهَبْ وَقُلْ لَهُ: شِـفَاءً تُشْـفَى**» (سـفر الملـوك الثـاني ٨: ١٠)، وكذلـك: «**عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي**» (إنجيل متى ٢٥: ٣٦) .

ولنسأل أنفسنا ما هي آخر مرة زرنا فيها مرضانا من الأصدقاء ومن الأسرة ؟!

فلنضع جدولاً لزيارتهم، أو حتى الاتصال بهم، للاطمئنان عليهم . نعلم كم هي باهظـة تكلفـة العلاج هذه الأيام ؟! وكيف تُرهق الناس ؟! فهل نقعد كالمتفرجين ؟ أم نبادر بالمعاونة مادياً ومعنوياً ؟

مِن مرضانا مَن تأبى نفسُـه المسـاعدة المالية، فلنسـتخدم ذكاءنا في هذا بسـداد أي تكلفـة دون أن يـدري، أو حتـى بإيهامه بأن هنـاك تأميناً صحياً يغطـي العلاج، أو ما شابه، حتى نرفع عنه الحرج، وإياكم أن ترددوا في ذلك لأن العلاج بالفعل أصبحت تكلفته غير معقولة أو مبرَّرة .

أقاربـك الذيـن ليـس لديهم قـدرة، عيادتهـم كمرضى ليـس فقط بالسـؤال، لماذا لا تؤمِّـن عليهـم وعـلى أولادهم صحياً لَوْ لديـك القدرة ؟! ربـما طمأنت قلوبهم في مواجهـة أي مرض محتمل، كذلك مَـن يحيطون بك في الحياة، ربما حارس العقار، أو

فـرد الأمن، أو الخادمـة وأسرتها، كلهم عيادتهم كمرضى تبدأ وهُم أصحاء، بالتأمين الصِّحي عليهم، لمن يسـتطيع، فإن لم تسـتطع بنفسك، فليكن هذا مشروعك الخيري مع سكان العمارة أو زملائك في العمل، وهكذا .

خُلُـق مـا أحوجنـا إليـه، يلم الشـمل ويقـوي الروابـط، وفيـه معاني الإنسـانية، والإحساس بالآخر، وفيه ثواب ما أعظمه، وهو خُلُق يُحِبه الله سبحانه وتعالى.

١١٣- خُلق غضّ البَصَر

يعلمنا القُرْآن الكريم أن نغضَّ من أبصارنا ونحن نمشي بين الناس، فيقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ......﴾ - سُورة النور ٣١، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ - سُورة طه ١٣١، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ - سُورة الإسراء ٣٦.

وإلى ذلك ذهبت آيات الكتاب المقدس، أذكر منها - على سبيل المثال - الآية: «**عَهْدًا قَطَعْتُ لِعَيْنَيَّ، فَكَيْفَ أَتَطَلَّعُ فِي عَذْرَاءَ؟!**» (سفر أيوب ٣١: ١)، وكذلك الآية: «**حَوِّلْ عَيْنَيَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْبَاطِلِ. فِي طَرِيقِكَ أَحْيِنِي**» (سفر المزامير ١١٩: ٣٧)، وكذلك: «**قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ**» (متى ٢٧:٥-٢٩) .

وغَضُّ البصر من مكارم الأخلاق ،فمن خلاله يمشي الإنسان في طريق البعد عن الرذيلـة، أو السـلوك الذي لا يُرضي الله تعـالى، فالبداية بِغضِّ البـصر، لأنه فيه إثارة للشخص، وفيه تجرؤ على خصوصية الغير، ولا يمكن التحجج – هنا – أن الغير قد سمح لنا بالنظر، كالمرأة التي تتبرج، أو تُظهر مفاتنها لتلفت نظر الغير ، فلا علاقة لنا بغيرنا، لأنَّ الأخلاق التي أمرنا بها الله تعالى، ورسوله الكريم، تُعَلَّمَنا ألا ننظر نحن، لأن في ذلك بداية طريق الخطأ، وقد أفلح مَن أعرض، وغضَّ بصره .

الأمـر ليس سـهلاً بالقطع، وإنما يحتاج إلى يقـين، أن ما عند الله أفضل، ويحتاج إلى تدريب على أنَّه مِن مكارم الأخلاق أنْ نغض من أبصارنا، وألا نشـاهد ما يمكن أن يثـير غرائزنـا، حتى لا ننزلق في خطأ أكبر، فقد تكون المشـاهدة هي البداية، ثم يزداد التجرؤ بعد ذلك، والوقاية خيرٌ من العلاج – كما يقولون – . وغضُّ البصر فيه وقايةٌ من ذنوبٍ كثيرةٍ، وربما كبائر، الكل يسعى ألا يقع فيها .

فلنحاول ذلك ما استطعنا، والبداية بأن نُدرك أن هذا مطلوب مِنَّا، وأنَّه خُلُق يريد الله أن يرانا، وقد تخَلَّقنا به .

١١٤- خُلق الفَرَح والإفْراح

الله – سبحانه تعالى – يُحِب أن يفرح عبده، فقد تعهد بأن يفرح مَن سيدخلون الجَنَّة في آياتٍ عـدةٍ، منها قولـه تعـالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ – سُورة آل عمران، وكذلك الأمر في الحياة، فإن الله يقدر مَن يفرح بنعم الله، فيقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾- سُـورة الرعد.

ومن الكتاب المقدس أُدلِّل أيضاً على ذلك، فتقول الآية: «عَابِدِينَ الرَّبَّ، فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١١-١٣)، وكذلك الآية: «فَرِّحْ نَفْسَ عَبْدِكَ، لأَنَّنِي إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي» (سفر المزامير ٨٦: ٤)، وكذلك: «فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضَّيْقِ، مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٢)، وكذلك الآية: «وَكَيْفَ يَكْرِزُونَ إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا أَجْمَلَ أَقْدَامَ الْمُبَشِّرِينَ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِينَ بِالْخَيْرَاتِ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٠: ١٥)، وكذلك الآية: «افْرَحُوا مَعِي» (إنجيل

لوقا ١٥ : ٦)، وكذلك: «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٤ : ٤) .

وعلى هذا فالله يُحِب أن يرانا نفرح، نفرح إذا رأينا ما يُرضي الله، رأينا الأخلاق الكريمة تنتشر ويتخَلَّق بها شبابنا، نفرح أن نرى الخير في يد إخواننا وأصدقائنا، نفرح أن نرى وطننا ينهض ويتقدم .

خُلُق الفرح هو مِن خُلُق الرضا والقناعة، وهو من الأخلاقيات الكريمة التي يُحِب الله سبحانه أن يرى عباده عليها، لأن فيها معاني الحمد والشكر والثناء على الله سبحانه وتعالى.

وكما يُحِب الله تعالى أن نفرح، فعلينا أن نتحلى بهذا الخُلُق، ونسعي لإدخال الفرحة على الناس، فبإمكان صاحب هذا الخُلُق إدخال الفرحة على قلوب مَن حوله بالكلمة الطيبة، وبالصدقة الطيبة، بسداد دَيْنِه، بكسوة أطفاله، بإطعامهم، برفع الظلم عنه . أياً كانت الطريقة، فصاحب هذا الخُلُق يتأثر كثيراً إذا ما وجد حُزناً أصاب أحداً، ويبادر بالسؤال والتدخل، محاولاً إخراجه من الحزن، بل وإدخال الفرحة إلى قلبه .

خُلُق جميل، وركن أساسي في الشخصية الجميلة، أن يتحلى - الإنسان - بهذا الخُلُق فيُسعد الآخرين، وفي هذا سعادته هو .

١١٥- خُلق الفِطْنَة

يحدثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن هذا الخُلُق فيقول عليه السلام: «**الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ**» ، ويقول: «**لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين**» ، فهذا الخُلُق صاحبه يتعلم من أخطائه، فإذا أخطأ عاد واستغفر، ثم يكون حريصاً – بعد ذلك – ألا يقع في ذات الخطأ .

صاحبُ هذا الخُلُق أدرك أن لكل خطأٍ مقدماتٍ، أو أسباباً مُعَيَّنَةً، كأن يدرك أن صديق السوء هذا هو الذي ألحَّ عليه ليشرب معه الخَمْر، ثم تنبَّه واستغفر لذنبه، عرف أن في استمرار الاختلاط بهذا الصديق ما يُعَرِّضُه للوقوع في الذَّنْب مرةً أخرى، وعلى هذا، ففطنته ألهمته ألا يصادِق هذا الشخص، فهو قد سمع قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالِل**»، وعليه، فهو قد استخدم التجربة والفَهم في طاعة الله تعالى، وهذه هي الفطنة، صحيحٌ أن الله تعالى غفّار ، ولكنه أيضاً لا يُحِب المُصرِّين على الذَّنْب، فبعد أن فهِمَ المرء: ما الذي يوقعه في هذا الذنب؟! فهو يبذل جهداً لتفادي ذلك مستقبلاً، إنها نعمة الفَهم .

وإلى خلق الفطنة أشارت عدة آيات من الكتاب المقدس، أذكر مها: «**اَلْفِطْنَةُ الْجَيِّدَةُ تَمْنَحُ نِعْمَةً، أَمَّا طَرِيقُ الْغَادِرِينَ فَأَوْعَرُ**» (سفر الأمثال ١٣ : ١٥)، كذلك: «**رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ. فِطْنَةٌ جَيِّدَةٌ لِكُلِّ عَامِلِيهَا. تَسْبِيحُهُ قَائِمٌ إِلَى الأَبَدِ**» (سفر

المزامير ١١١ : ١٠)، أيضاً: «بِحَسَبِ فِطْنَتِهِ يُحْمَدُ الإِنْسَانُ، أَمَّا الْمُلْتَوِي الْقَلْبِ فَيَكُونُ لِلْهَوَانِ» (سفر الأمثال ١٢ : ٨) .

وعلى هذا فالفَطِن هو مَن أدرك، واستخدم إدراكه استخداماً حميداً لطاعة الله ورسوله .

نرى ذلك عملياً في حياتنا، كل يوم، فنجدنا نتفادى (مطباً) بالطريق، وقعنا فيه من قبل، ألا نأكل أكلةً معينةً سببَّت لنا حساسيةً مِن قبل، وهكذا .

المطلوب أن نستخدم هذا في عدم ارتكاب الذنوب مرةً أخرى، فلنعتبر أن الذنب مطبٌ وقعنا فيه، ونجتهد ألا نقع فيه مرةً اخرى، بتفادي مقدماته وأسبابه، وأن نجتهد في الاقتراب من الله تعالى، وطلبِ الهداية، ومَن يفعل ذلك فهذا هو صاحب خُلُق الفِطنة .

١١٦- خُلق فِعْل الخَيْر دون انتظار الشُّكْر

صاحب هذا الخُلُق لديه ثقة كبيرة في الله تعالى، فهو يتعامل معه، ويفعل ما أمره ليرضيه، ويفعل الخير لوجه الله تعالى، فلا ينتظر كلمة (شكراً) ولا ينتظر (مديحاً) من أحد، هو لا يرى إلا الله تعالى، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ - سُورة الإنسان، وهو يعرف أن الخير يوجَّه لله تعالى، وهو شُكْرٌ لله، وهو تجارة مع الله، فهو إذا انتظر شُكراً مِن أحد، معناها أنه كان يتاجر مع هذا الشخص، وإنما تجارته مع الله، سبحانه وتعالى، وهو في حالة إقراض لله، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ - سُورة البقرة .

وتقول الآية في الكتاب المقدس: «**مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ، وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ**» (سفر الأمثال ١٩ : ١٧)، وتقول كذلك: «**مَنْ يُعْطِي الْفَقِيرَ لاَ يَحْتَاجُ**» (أمثال ٢٨ : ٢٧)، وكذلك: «**بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ**» (لوقا ٦/٣٥) .

أما المرتبة الأعلى في هذا الخُلُق، أن يفعل الإنسان هذا الخير - وفعلاً - لا يريد منه إلا أن يـرضي الله، وقـد لا يكـون منتظراً من الله أن يُرْضيه، بل هو سـابح في ملكوت ربه يفعل الخير كما أُمِر، حتى أصبح فعل الخير كالنَّفَس الذي يتنفسـه، ربما لا يتنفسه بقصـد أن يعيش، ولكنه يتنفس، كذلك هو فعَّال للخير لوجه الله، لا يريد جزاءً ولا شكورا .

١١٧ - خُلق القَناعة والرِّضا

وهـو خُلُق مَن سَـعِد بما لديـه، فَوَصَـل إلى مرحلة الاكتفاء والرِّضـا، وهو درجة عالية من درجات الحمد والشكر .

لا شكَّ أنَّ مَن يتخلق بهذا الخُلُق، قد عرف كيف يُسعد نفسه، ويُسعد مَن حوله؟، لأنـه عرف أن الله، سـبحانه وتعالى، هو الرازق، وأنه هو الذي قَـدَّر الرِّزق له، ولهذا فهو راضٍ بما قسم الله له .

والرضـا هو حالة أهل الجنة، يقول تعـالى: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾- سورة البيِّنة، ويقول تعالى: ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ - سورة القارعة .

ولقد وردت آيات عدة في الكتاب المقدس تتحدث عن فضل القناعة، أذكر منها: «فاني قد تعلمت آن أكون مكتفيا بما أنا فيه (في الماديات) .» (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٤ : ١١)، وكذا: «وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦ : ٦) .

جميـل أن يتعلم الإنسـان، كيف يَرْضى، وكيف يكتفـي، وكيف يقنع بما لديه؟ فلا ينظر إلى ما عند غيره، فهو سعيد بما عنده، وقد أقنع نفسه أن ما عنده هو أفضل شيء،

وهو يلتـزم بقوله تعـالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ – سورة طه .

جميـل أن نحمـد الله تعالى، والأجمل أن نرضى ونقنع بما أعطى الله، ففي هذا مفتاح للسعادة .

أخيراً فإن القناعة، هي بمثابة «شُـكْر الصَّامتـين»، وبذلك تكون مفتاح المزيد من الـرزق، فالله تعالى يقـول: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ – سورة إبراهيم .

١١٨- خُلق الكِتابة

قد يتعجب أَحدٌ، وهل الكتابة خُلُق ؟

من وجهة نظري، نَعَم، فهناك مَن يستخدم ذاكرته في تعامله مع الغير، وهناك مَن يستجيب لما أمرنا به الله سبحانه في أن نكتب ما علينا، وأن يَشهد على ذلك رجلان، أو رجلٌ وامرأتان، إلى آخر الآية، وأنا هنا لا أتحدث عن أحكام، وإنما عن خُلُق الكتابة، فالله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ – سُورة البقرة .

وكان الكتاب المقدس قد ورد بأسفاره الكثير من الآيات الدالة على فضل خلق الكتابة واستحبابها في المعاملات، أذكر منها، على سبيل المثال: «**وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ**» (متى ٥ :٣١)، وكذلك: «**رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيق، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ**» (لوقا ١ : ٣)، وأيضاً: «**أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا**» (يوحنا الأولى ٢ :١)، والآية: «**وَالَّذِي أَكْتُبُ بِهِ إِلَيْكُمْ هُوَذَا قُدَّامَ اللهِ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ**» (غلاطية ١: ٢٠)، وقوله:«**وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ يَقِينٌ مِنْ جِهَتِهِ لأَكْتُبَ إِلَى السَّيِّدِ. لِذلِكَ أَتَيْتُ بِهِ لَدَيْكُمْ، وَلاَ سِيَّمَا لَدَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ، حَتَّى إِذَا صَارَ الْفَحْصُ يَكُونُ لِي شَيْءٌ لأَكْتُبَ**» (أعمال الرسل ٢٥: ٢٦)، والكتابة تكون للإثبات وللإعلان فيما بعد، وهكذا أمر الملاك القديس يوحنا: «**وَالَّذِي تَرَاهُ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ ......**» (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ١) .

لقد أراد الله تعالى أن يخبرنا أنه هكذا يجب أن تكون أخلاقنا ومعاملاتنا مع بعضنا البعض، فسبحانه وتعالى يعلم خاصية النسيان عند خَلْقه، وقد يكون نسياناً مع حُسن نيَّة، لكنه يعلم - أيضاً - أن النَّفْس البشرية قد تُسَوِّل لصاحبها أن يأكل مال هذا، أو يتنصل من التزامه ذاك، فأراد الله - سبحانه وتعالى - أن تكون الكتابة من مناهج حياتنا حفظاً للحقوق، وعلى هذا فالمتمتع بخُلُق الكتابة يبادر بعرض كتابةِ ما عليه من دَيْنٍ، أو ما شابه للآخرين، ولا يبحث عن طريقة للتهرب من هذه الكتابة، لأنه ذو خُلُق كريم، وهو يريد أن يثبت حقَّ الناس عنده، إحقاقاً للحق، وإيماناً منه أنَّ في رقبته التزاماً يجب أداؤه حال حياته أو قبل توزيع تركته .

فالكتابة تحمي أصحاب الحقوق. وذو خُلُق الكتابة إنسانٌ يحفظ حقوق الناس ويرعاها.

فلنكتب ولنُعلِّم أولادنا الكتابة كخُلُق تستقيم به حياتهم، وبالطبع فلنعلمهم خُلُق حماية حقوق الآخرين وأدائها .

١١٩- خُلق كَظم الغَيْظ

المعنى اللغوي لـ (كَظَم غَيْظَه) أي: ضبطه ومَنَعَه، أي: كَتْمُه، وعَدمُ إظهاره بقولٍ أو فعلٍ، مع قُدْرته على إيقاعه بخصمه، والغَيْظ: أصل الغَضَب، والله تعالى أثنى على الكاظم ،في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ - سُورة آل عمران، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

وإلى ذلك ذهبت آيات الكتاب المقدس في مواضع عدة، منها: «لا تسرع بروحك الى الغيظ؛ لأن الغيظ يستقر في حضن الاغبياء» (سفر الجامعة ٧: ٩)، أيضاً: «الحقد والغضب كِلاهما رجسٌ، والرجل الخاطئ متمسك بهما» (سفر يشوع بن سيراخ ٢٧: ٣٣)، كذلك: «لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ لاَ يَصْنَعُ بِرَّ اللهِ» (رسالة يعقوب ١: ٢٠).

ما أعظمه خُلُقاً، أن يتحكم الإنسان في تصرفاته، وألا يسارع إلى الغضب بغريزة الانتقام ممَّن أمامه، فبعدم كظم الغيظ أُسَرٌ تفككت، ودُوَلٌ تصارعت، وحياة تصدَّعت، وكلها مبناها عدم التحلي بخُلُق كظم الغيظ.

والعـبرة هنا أن نـدرك أولاً: أن عدم تحكمنا في أعصابنا وردود أفعالنا ليس شـأنا خاصاً بنا، لأن النتائج قد تصيب غيرنا، والأضرار ربما تُصيب أعز الناس مِن حولنا.

يتشـاجر الزوجان فلا يكظم أحدهما غيظه، فتكون النتيجة تشرد الأسرة، ويغيب الجو الأُسري عن التنشـئة الحَسَنَة لأطفال لا ذَنْبَ لهم في أي شيء سوى أن والديهما لم يتحليا بكظم الغيظ .

يتعرض الإنسـان - أثناء سـيره في الشـارع - إلى إسـاءة من أحد من الناس، فلا يكظـم غيظه، وقد يدفعه دفعـة تودي بحياته، فينتهي الأمر بـه إلى عكس ما يرجوه، فيذهب إلى السـجن وتنتهي حياته، ويدمـر مصالح أسرته وأقرب الناس إليه، نتيجة أنه أراد أخذ حقه بمفهومه الشـخصي، ولم يحسـب حسابه: أنه لو كظم غيظه لتفادى كل ذلـك، واسـتكمل حياتـه بأمان، خصوصـاً أن ذلـك التصرف يُـرْضِي عنه الله، ويثيبـه عليه.

كظـم الغيـظ - من وجهة نظري - من أفضل الخُلُق وأرفعهـا قدراً، لأنه لا يتأتَّى من ضعيف، وإنما يتأتى من قوي الشخصية الذي يعرف أن - ربما - قدرته أعلى من المتكلم، ومن المسيئ إليه، وممَّن يحاول استفزازه، ويرى في نفسه أنه ليس مضطراً لأن يُنْقِص من شـأنه، فيدخل في صراع أو مشـاحنة مع هذا المُسيء، وهو يعلم - أيضاً - أنه يفعل ذلك تجارة مع الله، لأن الله يُحِب كَظْمَ الغيظ .

فكاظِـم الغيظ هو إنسـان مترفِّـع، كاظم الغيظ إنسـان كبير، كاظـم الغيظ قائد، كاظم الغيظ بَنَّاء، كاظم الغيظ إدراكه أوسـع ممَّـن حوله، وإلمامه بمصالحه ومصالح مَـن حولـه مقـدَّمٌ عنده على القِصـاص الفوري الذي يمارسـه من خلال رد الإسـاءة بالإساءة .

كاظِم الغيظ إنسان قد تربَّى وتدرَّب على العفو، والعفو صفة من صفات الله تعالى، فمن يستطيع أن يتحلى بصفة إلهية أو يمارسها - والقياس مع الفارق بالطبع - فهو إنسان وَصَلَ بخُلُقه إلى مرتبة عالية، فهو يعفو ويصفح ويترفع، ليس عن ضعف، وإنما عن إدراك، وتحمل مسئولية، وبُعد نظر، وقدرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، ولهذ فهذا الخُلُق يحتاج إلى تدريب كبير ليصل الإنسان إليه .

فالأب، مثلاً، إذا شاهد ابنه وهو يمارس رياضة مثل التِّنس - مثلاً - إذا ما شاهده يُلقي المضربَ إلى الأرض لعدم فوزه، فإن الطفل بهذا لم يكظم غيظه، وهنا يتعين وجود درس تربوي من أسرته ومدربه، ليدربوه على كظم غيظه، وكذلك الطفل الذي يكسر لعبته، من العصبية والغضب، يحتاج إلى التدريب على كظم الغيظ، والابن شديد الانفعال والعصبية يحتاج إلى التدريب على كظم الغيظ، كذلك الزوج والزوجة، والقاضي، والمدرِّس، والموظَّف، وسائق السيارة، الكل يحتاج إلى التدريب على كظم الغيظ، لتحمل أخطاء الآخرين وإساءتهم على طول الطريق، وأفضل حافز لهم على كظم غيظهم أن يعلموا أن هذا ما يُحِبه الله ويثيب عليه خيراً .

إذا كان الجندي يخرج إلى معركته بذخيرة وعتاد، فإن من أهم ما يتسلح به الإنسان قبل خروجه - صباح كل يوم - هو أن يتسلح بخُلُق كظم الغيظ، لأن هذا الخُلُق يحميه، ويدفع عنه أذى كثيراً، وينأى به عن أن يدخل في مشاكل لا قِبَل له بها، ولم يكن ينتويها، وإنما قابلها في حياته، ومرَّ بها مرور الكرام عندما تسلَّح بهذا الخُلُق الكريم، خُلُق كظْم الغيظ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾- سُورة آل عمران -،

وهؤلاء يَعدُهُم الله تعالى بالجَنَّة ونعيمها، فلا شكَّ أن الله تعالى يخبرنا برضاه ومكافأته للخلوقين من عباده، الذين تَحَلوا بهذه الخاصية، التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على عِظَم خُلُق وعقلانية هذا الإنسان، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ - سُورة آل عمران، نجد أن الله يُحِب مَن فعل ما هو أكبر من كظم الغيظ، وإنما كظم غيظه، وأتبع ذلك بالإحسان على مَن أساء إليه، وهذا فِعل لا يقدر عليه إلا ذو المراتب العالية من هذا الخُلُق، ومن الثقة في الله عز وجلّ .

وأستطيع أن أربط - في رأيي الشخصي - بين ضَعْف الشخصية وعدم القدرة على كظم الغيظ، لأن ضَعْف الشخصية هو أساس من أسس الاندفاع، وعدم القدرة على كبح الجماح، وبالتالي يخرج الإنسان من دائرة كظم الغيظ إلى دائرة الانفعال والخطأ والتمادي فيه، إنما الشخص قوي الشخصية واثق بنفسه، ولديه القدرة على كبح جماح نفسه، والتحكم في أعصابه، وعدم الانزلاق في دائرة ردود الأفعال غير المبرَّرة .

في حياتنا اليومية إذا أردنا أن نأمر بالمعروف فمِن أعظم صوره - من وجهة نظري - هو أن نسعى إلى تهدئة مَن حولنا، ونكون مبادرين لمنع تفاقم الخلافات فيما نراه في حياتنا اليومية، وأن ندعو الناس إلى قول الحق، والهدوء، وتسوية الأمور بالهدوء والرَّوِّية .

أتذكر أنني في عام ٢٠٠٦ م، كنت أتابع مباراة النهائي في كأس العالم بين كل من إيطاليا وفرنسا فإذا باللاعب الإيطالي (ماركو ماتيرازي) - على ما يبدو - أنه سبَّ اللاعب الفرنسي (زين الدين زيدان)، ولم يسمع أحدٌ هذا السبَّ سوى (زين الدين زيدان) نفسه، رغم وجود عشرات الآلاف من الأشخاص في الاستاد، وملايين

المشـاهدين حول العالم، ولم يسـتطع هذا النجم البطل أن يتحكم في أعصابه، ويكظم غيظه، ويفسد على اللاعب الإيطالي مكيدته، فما كان منه إلا أن نطحه (ضربه برأسه) في صـدره، وكان هـذا سـبباً في طرد (زيـن الدين زيدان)، الذي لم يـدرك أن خروجه من الملعب ربما سـيكون فيـه تحطم حُلم منتخب بلاده في الحصـول على كأس العالم، وحـسرة ملايـين الجماهير التي تتابعه، كل هذا كان لحظة عـدم كظْم الغيظ، وبالفعل خسر منتخب بلاده، ونجحت مكيدة اللاعب الإيطالي أمام بطل مثل هذا لم يسـتطع أن يكظم غيظه، ويتحمل المسئولية دفاعاً عن منتخب بلده .

نأتي الآن إلى قمة كظم الغيظ، وهو حينما يتعدى الإنسـانُ كَظْمَ غَيْظِهِ، أو التحكم في نفسـه وعـدم الانـزلاق إلى الخطـأ، إلى أن يُطْلَب منـه بذلُ العطـاء، رغم ذلك فلا يتوقف عن العطاء لمن أساء إليه وإلى ابنته، وهذا يتضح من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ – سُـورة النور، حيث كان سيدنا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – قد توقَّف عن إعطاء المال إلى أحد أقربائه، واسـمه مِسْـطَح بن أُثاثة نظراً لارتكابه مـا يُغضِب أبا بكر الصديق لأنـه أسـاء إلى ابنته أم المؤمنين السـيدة عائشـة – رضي الله عنهـا –، فمنع عنه عطاءه الـدوري، فنزلت الآية الكريمة السـابقة، ليعلمنا الله تعـالى – من خلالها – أن لكظم الغيظ درجة أرفع، وهي أن تعطي لمن أساء إليك، وهي درجة عُليا من درجات كظم الغيظ، ألا يُمْنَع السائلُ حقه حتى ولو أساء إلى المعطِي.

فهنا يَتَبَيَّن لله تبارك وتعالى إيمان المعطِي وإدراكه، أن ما يعطيه يقع في يد الله تعالى قبل أن يقع في يد المُعْطَى له، لأن حُبَّ المعطي للعطاء ونيل الدرجات العُلا قد تجاوز كل حدود الغضب الذي استشعر به .

ونهايةً، يجب أن نتذكر لفظة (الله يسامحك) التي كنا نقولها – ونحن صغار – لمن يخطئ في حقنا، فهذه الكلمة فيها أبلغ معاني كظمْ الغيظ، وهي ليست عبارة الضعيف، وإنما هي عبارة مَن تخَلَّق بهذا الخُلُق .

ولعل كلمة السيد المسيح – عليه السلام – حينما أوصى أصحابه «مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا» (إنجيل لوقا ٦ : ٢٩)، فيها مثال حَيٌّ على كظم الغيظ، وألَّا نكون باحثين عن مشاجرات ومشاحنات، وأن نكون – بقدر الإمكان – ليِّنين، متسامحين فيما بيننا، فكاظم الغيظ إنسان متسامح مع نفسه، متسامح مع الغير، يرجو العيش بسلام، ليس عن ضَعْف، وإنما عن طاعة لله تعالى، وتخَلُّقٍ بهذا الخُلُق الكريم .

١٢٠ - خُلُق الكلام

للكلام خُلُق في القُرْآن والسُّنة، والبداية من درجة الصوت فيقول تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ - سُورة لُقمان. أي لابد أن يكون الصوت خافتاً، وغير مرتفع، فهذا هو خُلُق الكلام في القُرْآن .

ثم هناك أمور نُهِيَ عنها في الكلام منها اللغو أي: الكلام أو الحديث الذي لا يُعتدّ به، ولا يُحصَل منه على فائدة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ ﴾- سُورة المؤمنون، ومنها ألا نغتاب أحداً، أي نتكلم عنه، ونَصِفُه بصفات ليست فيه، ولا يُحِبها، بل إذا تكلمنا عنه امتدحناه، وكذلك منها عدم النميمة، أي ألا نُوقِع الناس في بعضها، أي نقول كلاماً من شأنه إحداث خصومة، أو عدواة بين طرفين، بل إننا أُمرنا في أكثر من آية أن نقولَ القول الحسن، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ ﴾- سُورة الإسراء، وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ - سُورة فاطر ١٠، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ - سُورة البقرة ٨٣، والله تعالى لما أرسل سيدنا موسى مع أخيه هارون - عليهما السلام - إلى فرعون أمرهما

بالقـول اللـيِّن، فقـال تعـالى: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ – سُورة طه .

وأيضـاً، منهـا ألا يُقْحِم الإنسـان نَفْسَـه ويتكلم فيـما لا يعنيه، فقـال عليه الصلاة والسـلام: «مِنْ حُسْنِ إِسْـلَامِ الْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسـلم –: «المســلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هَجَر ما نهى الله عنه»، وقال – صلى الله عليه وسـلم –: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالى مَا يُلقِي لهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّه بهَا دَرَجاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ سَـخَطِ اللَّهِ تَعَالى لا يُلْقي لهَا بَالًا يهوِي بهَا في جَهَنَّم».

كذلـك مـن خُلُق الكلام ألَّا نتحـدث إلَّا عن خير فعلناه، ولا نتحدث عن سـوء قمنـا بـه، لقولـه تعـالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ – سُورة النساء .

وهناك نوع جديد من الكلام في عصرنا الحديث، وهو الكلام عبر مواقع التواصل الاجتماعـي، فالنـاس تنقل أكاذيـب في بعض الأحيان دون أن تتبيـن: إذا كان الكلام صحيحاً أم لا؟!، ولقد نهت الآية الكريمة عن ذلك، فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ – سُـورة الحُجُرات، فلا نُشَـيِّر إلا ما نثق في صحته، ولا نُشَيِّر إلا ما يُصلح الحال، أما مـا يخلـق العداء أو الخصومات فهو نميمة لا تجوز في كلامنا، وكذلك الحال بالنسـبة للرسائل التي تساعد على إفساد الأخلاق .

كذلـك لا نتحدث لمجـرد الحديث، في مواقع التواصل الاجتماعي، وربما مع ناس لا نعرفها، ولن نعرفها يوماً . فلماذا الإعجاب بكثرة الكلام والمستمعين؟! .

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – له حديث شريف في هذا الصدد يقول: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

آيات عديدة من الكتاب المقدس تحدثت عن خلق الكلام، أذكر منها :

١ – «صُنْ لِسَانَكَ عَنِ الشَّرِّ، وَشَفَتَيْكَ عَنِ التَّكَلُّمِ بِالْغِشِّ» (سفر المزامير ٣٤: ١٣) .

٢ – «رُبَّ ساكتٌ يُعَدُّ حَكِيمًا، وَرُبَّ متكلم يُكره لطول حديثه. الكثير الكلام يُمْقَت والمتسلط جورًا يُبْغَض» (سفر يشوع بن سيراخ ٢٠: ٥–٨) .

٣– «في الكلام كرامة وهوان ولسان الانسان تهلكته. لا تدع نمامًا ولا تختل بلسانك، فإن للسارق الخزي ولذي اللسانين المذمة الشديدة» (سفر يشوع بن سيراخ ٥: ١٥–١٧) .

٤ – «اَلْجَوَابُ اللَّيِّنُ يَصْرِفُ الْغَضَبَ، وَالْكَلاَمُ الْمُوجِعُ يُهَيِّجُ السَّخَطَ» (سفر الأمثال ١:١٥)

٥ – «كَلِمَاتُ فَمِ الْحَكِيمِ نِعْمَةٌ، وَشَفَتَا الْجَاهِلِ تَبْتَلِعَانِهِ» (سفر الجامعة ١٠: ١٢) .

٦ – «وَالْجَاهِلُ يُكَثِّرُ الْكَلاَمَ» (سفر الجامعة ١٠: ١٤)

٧– «كَلاَمُ الْحُكَمَاءِ كَالْمَنَاسِيسِ» (مناخس الثيران) (سفر الجامعة ١٢: ١١)

٨ – «اَلْعَاقِلُ يَكْتُمُ كَلاَمَهُ إِلَى حِينٍ» (سفر يشوع بن سيراخ ١: ٣٠)

٩ – «وَلِيَكُنْ كَلاَمُكَ وَاحِدًا» (سفر يشوع بن سيراخ ٥: ١٢)

١٠ – «وَالْكَلِمَةُ فِي وَقْتِهَا مَا أَحْسَنَهَا» (سفر الأمثال ١٥: ٢٣)

١١ – «تُفَّاحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي مَصُوغٍ مِنْ فِضَّةٍ، كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ فِي مَحَلِّهَا» (سفر الأمثال ٢٥: ١١) .

فلنراجع أنفسنا، وأولادنا، وماذا يُكتب في مواقع التواصل الاجتماعي؟!

الناس ترمي بلاها على الآخرين، ويسبونهم، ويصفونهم بما ليس فيهم، علناً، وأمام الجميع، وفي هذا ذنوب كثيرة، وأخلاقيات هي أبعد ما يكون عن خُلُق الكلام في القُرْآن الكريم، والسُّنة الشريفة .

ومن ناحية أخرى، ولتحقيق خُلُق حُسْن الكلام، فإننا مأمورون بعدم ذِكر الناس بالسوء، ولو بالإشارة، فلا يطعن بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١﴾ – سُورة الهُمَزة، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ١١﴾ – سُورة القلم، و (هَمَّازٍ) تعني: مغتابٌ للناس، يأكل لحومهم، فـ (الهَمْز) هو: الطَّعن، وذِكر العيب على شخص في غيبته، أما (اللَّمز) هو إشارةٌ شخص ما بالشفتين أو بالعينين أو باليدين؛ ليعيب بتلك الحركة شخصاً آخر، مع التكلّم بكلامٍ خفيّ يعيب الشخص، ويعرّف الهمز واللمز بأنّه الانتقاص من شخص بعينه، أو بعرضه تلميحاً دون الصراحة في ذلك .

كذلك فإننا مأمورون ألا نتنابز بالألقاب، والتنابز، هو: أن يُنادَى الإنسانُ بغير ما سُمِّي به، وقد نهانا الله تعالى عن هذا فقال: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ – سورة الحجرات ١١، فعلينا أن نحترم الجميع، وندعوهم بكل ما هو خير .

فلنتمسك بهذا الخُلُق الكريم في كلامنا» ولْنَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِنَصْمُتْ» .

١٢١ - خُلُق «ما شَاء اللّٰه»

وهذا الخُلُق من مكارم الأخلاق، ففيه نسبة الفضل لصاحبه، ونستعمله في مجتمعنا كنوع من تحصين أنفسنا وأولادنا وأملاكنا، وهكذا، مما نتعرض له من الحسد، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ -سُورة الكهف، فهي تُبيِّن لنا أنه لابد من تقديم ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ عندما نرى أي شيء يخصنا، أو حتى يخص غيرنا، لنحميه من شر الحسد، وهي جملة تُرجِع الفضل إلى خالقه، في هذه الجملة حماية لنا وراحة لغيرنا، فإن صديقك عندما يسمعك تقول ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ وأنت تدخل بيته، أو ترى أبناءه، فأنت كأنك تقول له: (ربنا يبارك فيك، ويحميك ويحمى أولادك)، فتكون ضيفاً كريم الأخلاق مُرحَّباً به، لايخاف صاحبك أن تدخل بيته، وترى النِّعم التي أنعم بها الله عليه، فأنت تتمنى له الخير، وتُطمئِنه بعبارات تريح قلبه، كذلك فإن علينا أن نقولها ونحن نرى نعم ربنا علينا ففيها نسبة الفضل لله تعالى، وكذلك علينا أن نتدرب على ألا ننظر إلى شيء أنعم به الله تعالى على غيرنا إلا أن نتمنى مثله كحدٍّ أقصى، ولكن ندعو له أن يديم الله عليه نعمته، ونقول ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾، فـــ» مَا شَـاءَ اللهُ» تعني أن هذا ما أمر به الله تعالى، وقال له كن فيكون . فكيف لنا أن يكون لنا رأيٌ في هذا ؟! .

الله سبحانه وتعالى يعطى «مايشاء» «لمن يشاء»، وليس لنا إلا أن نُعلِّم أنفسنا – ومَن حولنا – أن نفرح لغيرنا، ونقدم قَوْل ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ حين نشاهدهم، أو نقابلهم، أو نشاهد ما أنعم الله تعالى به عليهم، وأن يشاهد أولادنا ذلك، فيتعلمون مِنَّا.

ورغم خلو آيات الكتاب المقدس من لفظة ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، فإن آيات كثيرة قد تحدثت عن بغض الحسد، والدعوة إلى تمني الخير للناس، وأن ينظر الإنسان نظرة طيبة لغيره، وحتى لما في يده حتى لا يحسد غيره أو يحسد نفسه، أذكرمنها الآية: «**حَيَاةُ الْجَسَدِ هُدُوءُ الْقَلْبِ، وَنَخْرُ الْعِظَامِ الْحَسَدُ**» (سفر الأمثال ١٤/ ٣٠)، وكذلك الآية: «**فقد تصلف، وهو لا يفهم شيئًا، بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام، التي منها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون الردية**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦ / ٤)، وكذلك: «**الْعَيْنُ الشِّرِّيرَةُ تَحْسُدُ عَلَى الْخُبْزِ، وَعَلَى مَائِدَتِهَا تَكُونُ فِي عَوَزٍ**» (سفر يشوع بن سيراخ ١٤ / ١٠)، وكذلك: «**اذكر ان العين الشريرة سوء عظيم**» (سفر يشوع بن سيراخ / الأصحاح ٣١/ ١٤)، وكذلك الآية: «**اَلصَّالِحُ الْعَيْنِ هُوَ يُبَارَكُ، لأَنَّهُ يُعْطِي مِنْ خُبْزِهِ لِلْفَقِيرِ**» (سفر الأمثال ٢٢ / ٩).

والمسيحية في إيمانها لاتؤمن بعمل وقوة العين الحاسدة، بالرغم من اعتبار الحسد خطيئة لما يحمله من حقد في قلب الحاسد .

إلا أن تأثير الحسد في المسيحية هو عن طريق إثارة الشيطان ضد النعمة التي عند المحسود، والشيطان بدوره يمكن أن يجره للخطايا والشرور التي تؤذي الشخص، ومن هنا تكمن خطورة الحسد .

فنِعم هذا الخُلُق، هو خُلُق يُعلِّم صاحبَه الرضا وحبَّ الخير للناس .

١٢٢- خُلق المُبَايَعة

الذيـن بايعوا النبي – عليه الصلاة والسـلام – هم الذيـن عاهدوه أن يقاتلوا معه ولا يفرون، قـال عنهم الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ – سُـورة الفتح ١٠، فهذا خُلق الشُّجعان، والذين أخلصوا للنبي – عليه الصلاة والسلام –، وهو خُلُق كريمٌ بالطبع.

ولكـن السـؤال: هل انتهـى عهد البيعـة ؟! هل يمكننا ممارسـة هــــذا الخُلُق في عصرنا هذا؟!

في رأيي – وهو يحتمل الصواب أو الخطأ – أن البيعة قائمة.

فهـذا الخُلُـق ممتد، فإن من آمن بالله ورسـوله، وقرر أنه مع رسـول الله – صلى الله عليـه وسـلم –، في خنـدقٍ واحـدٍ، هو أمر سـيظل متاحـاً إلى آخر الزمـان. لأن كل متمسـكٍ بالأوامـر والنواهي ومكارم الأخلاق التي جاء بها سـيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – فهو يبايعه، فليست المبايعة في عهد رسول الله – عليه الصلاة والسلام – فقط، بل هي ممتدةٌ معنا، فالماسـك على دينه، وأخلاقيات الإسـلام – في هذه الأيام – هـو في حقيقـة الأمر مناصرٌ لرسـول الله – عليه الصلاة والسـلام –، فهو يحارب،

ويقـاوم كل الإغراءات، وعوامل الفسـاد المحيطة به، وهو على هذا يبايع الله، ويبايع الرسول، وهو من الفائزين بإذن الله .

وإذا كان هذا حالنا كمسـلمين، فالإنجيل، أيضاً، جاء بآيات عدة في هذا الشـأن لـكل مَن يتَّبع سـيدنا عيسـى عليه السـلام، فقد جـاء: «**إِنْ كُنْتُـمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَاي**» (إنجيـل يوحنا ١٤ : ١٥)، ويقول «**بِمَ يُزَكِّي الشَّـابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ حَسَبَ كَلاَمِكَ (يارب)**» (سفر المزامير ١١٩ : ٩) .

والمسيحية توصي بالطاعة المطلقة لله، والطاعة المستنيرة، أي الطاعة في حدود رضي الله وموافقة الكلام للكتاب المقدس، ولذلك يقول «**اُذْكُرُوا مُرْشِـدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِـيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ.**» (رسـالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١٣ : ٧)، ويقول: «**أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ**» (رسـالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٦ : ١) .

فلنعلم أننا في التزامنا، واتباع ما أمر به الله ورسوله نكون مبايعين لرسول الله، وما أعظم فوز هؤلاء المبايعين، اللهم اجعلنا منهم، آمين .

١٢٣ - خُلق المُحَافَظَة

وهذا الخُلُق ممتد مع خُلُق الأمانة، فصاحبه يعلم أن نِعم الله تعالى أمانة، ويجب أن يحافظ عليها كحفاظه على صحته، وحفاظه على الماء – مثلاً – فهو خُلُق نابع من أنه يحافظ على أمانة أودعها الله تعالى لديه .

لعلنـا لو تعاملنا في إعلامنا مع موضـوع مثل موضوع الماء – مثلاً – على أنه نِعمة من الله، وأنه أمانة، وأن مَن يحافظ عليه يُثاب خيراً، فإن ذلك قد يُساعدنا على مواجهة مشاكل المياه، وحُسن استخدامها، وترشيدها .

كذلـك فـإذا أفهمنا النـاس أن المواصلات والطُّـرق العامة هي ما سـخَّره الله لنا، وأنها أمانة يجب أن نحافظ عليها، ربما كان ذلك وسيلة لإقناع الكثيرين بالحافظ على الممتلكات العامة، فكثير لا يعرف أن الحفاظ عليها واجبٌ ديني، وخُلُق كريم، دُعِي إليه، ولو علم هذا – ربما – أيقظ ضميره، وتحرك هذا الخُلُق عنده إيجابياً .

إن مثل هذا الربط يطور من خطابنا الديني لبناء عنصر المصلحة عند مَن نخاطبه، فلا شك أن وجود مصلحة له في الحفاظ على هذا الشيء، هي التي ستحركه للحفاظ عليـه، فثقافـة المواطن قـد لا تُفْهِمُه أنه إذا مـا حافظ على سـلامة (أتوبيس نقل عام) – مثـلاً – فهـو صاحـب مصلحة، بل ربـما يقول (يا عَمّ، أنا أدفـع ضرايب) أو (وما شـأني)، ولكـن إذا فهم أنه مكلف بالمحافظة تكليفاً ربانيـاً ربما تغير الأمر كثيراً، وإذا

فهـم أن هـذا في مصلحته فسـيكون متحفزاً للحفاظ على الأشـياء، فمثـلاً، الله تعالى يقـول: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾ – سُورة النحل ٨، إذا ما قِسْنا على هذه الآية – مجازاً – فهذه وسائل الركوب، وعلينا رعايتهـا، فهي نعمـة من عند الله تعالى لنا، والحفاظ عليهـا مطلوب، حتى يمكننا أن نتزين بها، فلا يمكن أن نتزين بشيء تالف أو هالك، وكذلك آيات حفظ الأمانة، ما أكثرها، وكلها تصب في ذات الموضوع .

وهكـذا عنـصر المصلحة، هو المحفز للطاعة والاسـتجابة إلى ما أمـر الله تعالى به، فعلينـا تسـويق هـذه الأخلاقيات لمن حولنـا بطريقة تبني في أذهانهـم أن في هذا ثواباً كبيراً لهم .

ومقاصـد الشرائـع السـماوية متفقـة في الدعـوة إلى الحفاظ عـلى الدِّيـن، والنفس والعقل والنسـل والمال، وعلى سبيل المثال نجد في (رسـالة بولُسَ الرَّسولِ الأولَى إلى أهـلِ كورِنثـوسَ ٦ : ١٩): «**فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَـادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ**» . والله خلق الإنسـان ليرعى الطبيعة ويحفظها كما جاء في سـفر التكويـن: «**وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا**» (سفر التكوين ٢: ١٥) .

خُلُق المحافظة خُلُق كريم، جميلٌ أن نتخَلَّق به .

١٢٤- خُلق مُرَاجعة النَّفْس

ومعناه: أن يُقَيِّم الشخصُ نَفْسَه، وبمصداقية ،يرى السلبيات والإيجابيات، ويسعى للتحسين من نفسه .

وما أعظمه خُلُقاً، فهو خُلُق إنسان يريد أن تكون له صورة، وعلاقة أفضل مع الله، ومع الناس، وهو خُلُق عقلاني، لا يقدر عليه إلا شخص قادر على محاسبة نفسه، فقد جاءت الآيه الكريمة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾ - سورة الأنفال، وفيها: أن الله - سبحانه وتعالى - يُوضِّح لنا كيفية الوصول إلى الشيء، وهو أن تكون البداية مِنَّا نحن، فنُغيِّر ما بأنفسنا ليغير الله لنا نِعمَه، وفي هذا أدلة آخرى بالآية الكريمة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ - سورة القصص، و(مَن يَشَاءُ) هنا تعنى: أن الله تعالى يهدي الذي يشاء الهداية .

ومن الكتاب المقدس، نجد أن القديس بولس الرسول يكتب إلى تلميذه تيموثاوس الأسقف قائلًا: «**لاحظ نفسك والتعليم، وداوِم على ذلك. فإنك إن فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضًا**» (تيموثاوس الأولى ٤ : ١٦)، ويوضح السيد المسيح - عليه السلام - كيف جلس الابن الضال إلى نفسه وقدم توبة إلى الله

وإلى أبيه، حيث قال: «**فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا**» (إنجيل لوقا ١٥ : ١٧) .

كلهـا آيات تضع منهجيـة خُلُق مراجعة النَّفْس، فالإنسـان عندما يراجع نفسـه، ويـرى أنـه على غـير صـواب، عندئذٍ يطلب مـن الله - سـبحانه وتعـالى - أن يهديه ليصلـح أمره، وهذا مقامٌ يُحِب الله أن يـرى عباده فيه، بدليل أننا نقوله في صلاتنا ١٧ مرة كل يوم ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ - سُورة الفاتحة، وكل هذا أساسه خُلُق مراجعة النفس، والله يُحِب مَن يحاسـب نفسـه، ويرجع عن فعل السوء فيقول تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ - سُورة الفرقان .

الطالب الذي رسـب، عليه أن يراجع نفسـه: لماذا رسـبتُ ؟ هل لأني لم أسـتذكر دروسي؟ هل لأني أهملت دراستي؟ هل لأني صاحبتُ صاحب سوء ؟، فإذا ما راجع نفسه - وهو أعلم بما في نفسه - وكان صادقاً مع نفسه، ثم يضع منهجاً عكس ما كان يَسْلُكه، فإن نجاحه بإذن الله حتميّ .

الزوجة مع زوجها، والزوج مع زوجته، إذا ما راجعا أنفسهما ربما رحمنا الأسر من حالات الطَّلاق المتزايدة، والتي يدفع ثمنها الطرفان، وأطفال لا ذنب لهم .

الإدارات إذا ما راجعت نفسها لتفادت غضب العاملين أو المرؤوسين .

الصديـق مـع صديقـه، الأخ مع أخيـه، عليهم مراجعة أنفسـهم، لماذا اختلفا ؟! ويعدلان عن السبب .

إنـه خُلُـق عام، معناه القدرة على رسـم خـط، وأن يُصحِّح كلٌّ مِنَّـا ورقة إجابته، أعنـي: تصرفاتـه، وإعطـاء درجـات لـكل تـصرفٍ ومعاملـةٍ نقوم بهـا بـكل جِدِّيةٍ وعقلانيـة، وأن ننـوى إصـلاح أمرنا، ونسـعى لإصلاح ذلك جاديـن . بهذا ينصلح حال المجتمع والأُمَّة .

وهـذا خُلُـق يُحِب الله تعـالى أن يرى عباده عليـه، لأنه خُلُقٌ إصلاحـي، تنمو معه روح الموضوعيـة والعقلانيـة، وحُسـن المعاملـة، واحترام الغير ، والرغبـة في التفوق والتقـدم للأمـام، والتعلم من الأخطاء، والرغبة في تحسـين صورتنا أمام الغير وأمام الله تعالى . فلنُعلِّمه لأولادنا، ولنراجع أنفسنا كل يوم، ونغيِّر معاملاتنا وعلاقتنا بالله إلى الأفضل كما يُحِب ويرضى، ونُعطِي كلَّ ذي حَقٍّ حقه، ونسـعى أن نكون في يومنا الجديد أفضل ممَّا كنا عليه بالأمس، وهكذا ...

نِعْم هذا الخُلُق الكريم ... خُلُق مراجعة النفس .

١٢٥ - خُلق مراعاة خصوصية الآخرين

وصاحب هذا الخُلُق فَهِم أنَّ مِن مكارم الأخلاق عدم التدخل في شئون الآخرين، بل يترك لهم خصوصيتهم، ويُخْرِج مِن داخله حُبَّ التعرُّف على شئون الآخرين الخاصة، وهو ما يطلق عليه بالإنجليزية (curiosity) .

ولقد ورد أَمْر هذا الخُلُق في آيات كثيرة، منها، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ – سُورة الحُجُرات، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾– سُورة الكافرون، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ – سُورة المائدة، وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «**من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعْنيه**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن من حُسن إسلام المرء قِلَّة الكلام فيما لا يَعْنِيه**»، وغيرها الكثير من الآيات القُرْآنية، والأحايث الشريفة، التي تدعو إلى هذا الخُلُق .

وأذكر هنا أيضاً من الكتاب المقدس: «**من قلة الأدب التَسَمُّع على الباب، والفَطِن يستثقل ذلك الهوان**» (سفر يشوع بن سيراخ ٢١: ٢٧)، وكذلك: «**الجاهل يتطلع من الباب الى داخل البيت اما الرجل المتادب فيقف خارجا**» (يشوع بن سيراخ ٢١: ٢٦).

البحث في خصوصية الآخرين يُؤدِّي – ربما – إلى نزاعات واختلاف، لأن الإنسان قد يحتفظ في بياناته الداخلية، أو السرية، بآراء شخصية، أو معلومات عن

علاقات خاصة، أو ما شـابه، مطمئناً أنه لا أحد سَـيَطَّلِع عليها، فتكون هناك أريحية في الكلام، أو الكتابة، أو ما شابه .

لننظـر كَمَّ حالات الطَّلاق التي سـمعنا عنها يوم أن تتدخـل الزوجة – مثلاً – في خصوصيـة زوجها، بتفتيش ملابسـه مِـن ورائه، أو قراءة رسـائل تليفونه المحمول، فقد بحثتْ عن أشـياء أساءتها، وأنهت حياتها الزوجية، كان يتعين عليها بَدْءُ الكلام معه عَمَّا تشـكُّ فيه، وأن تُفسـح له مجال تقديم أيّ إجابة يَخرج بها من أزمته، ربما تاب ورجع إلى بيته، ولم يُخْرَب البيت .

في عصرنـا الحديـث، يتنافس الشَّـباب فيما يُسـمُّونه القَرْصَنـة (**hacking**) على كمبيوتـرات ومعلومات الآخرين الرَّقْمِيَّة، وما أبشـع ذلك عنـد الله تعالى، لأنه قِمَّة التَّجسُّس، والخوض في خصوصية الآخرين .

نحـن مطالبـون باحترام خصوصية الآخريـن، وإذا كُنَّا لا نحـب أن يتدخل أَحَدٌ منتهكاً خصوصياتنا فالأَوْلى بنا ألا ننتهك – نحن – خصوصيات الغير .

١٢٦ - خُلق المُسارعة في الخيْرات

جاءت آيات عديدة في القُرْآن الكريم مبينة فضلَ من يسارع في فعل الخيرات، يقول تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ - سُورة الأنبياء، ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ - سُورة فاطر.

بل إن الله – سبحانه وتعالى – قد دعانا أن نتسابق في الخيرات في آيات منها، قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾- سُورة الحديد.

بل ونتنافس في ذلك مع غيرنا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ - سُورة المطففين.

ومـن آيـات الكتـاب المقدس العديـدة في أمر هذا الخلق، أذكر: «حِدْ عَنِ الشَّـرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّـلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا» (سـفر المزامير ٣٤: ١٤)، وكذلك: «اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُـنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّـرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ» (رسـالة بولس الرسـول إلى أهل رومية ١٢: ٩)، أيضاً: «لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّـرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّلاَمَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١١).

فخُلُق فِعْل الخيرات – بالقطع – من مكارم الأخلاق، أما المسـابقة والمسـارعة في ذلك، فهي مِن مكارم الأخلاق.

فصاحـب هذا الخُلُـق قلبه مُوْلَـعٌ بالخـيرات، أي فِعل الخير والاسـتغفار إلى الله، والرجوع إلى الله، وهو يعرف أن للمسارعة والمسابقة فضل عند الله، فالله تعالى يعرف منهـا مدى حرصنا على إرضائه، فلا نفعل الخير أو نسـتغفره أو نتوب ونحن بحالتنا العادية، بل نكون سبَّاقِين متسارعين، في دلالة على المصداقية والحُبّ في الاقتراب من الله وإرضائه.

علينا أن نُعَلِّم أولادنا أن يتسـابقوا في فعل الخيرات، وأن نكافئ الذي يسـبق لكى نُعلِّمهم أن هذا الخُلُق يُحِبه الله ورسـله، وأن عليهم أن يتسـابقوا ويتسـارعوا في فِعل الخـير كى يكونوا ممـن رضي الله عنهم، ويكونوا قد تخلقوا بخُلُق من أكرم الأخلاق، هو خُلُق المسارعة والمسابقة في فعل الخيرات.

١٢٧ - خُلق مُسَاعَدَة الغير

وهو من مكارم الأخلاق التي أكد عليها سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، وهو أن نكون في خدمة غيرنا إذا ما طُلِب مِنَّا ذلك، فيقول رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم -: «مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يوم القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ».

وهنا تخبرنا الآيات أنه يتعين علينا أن نُبادر بمساعدة مَن يستجير بنا، حتى ولو كان من المشركين، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ - سورة التوبة، وهنا، تأتي قمة الإنسانية في القُرْآن الكريم، والتي لا تُفَرِّق بين أخ مؤمن أو مُشْرك، في أمْرِ مساعدة المستجير، لأن ذلك قد تكون فيه محافظة على حياته أو حياة مَن معه، وهذا الخُلُق يجعلنا نُقدِّم أنفسنا، ولا نتخلى عن مساعدة إنسان في حاجة إلينا .

وآيات الكتاب المقدس عديدة في أمر هذا الخلق، أذكر منها: «أَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ» (لوقا ٣٥/ ٦)، أيضاً: «... وَإِنْ كَانَ يَخْدِمُ (يُساعد الآخرين) أَحَدٌ

فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللهُ» (١ بطرس ٤: ١١)، كذلك: **«لاَ تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ»** (سفر الأمثال ٣: ٢٧)، وكذلك: **«فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ»** (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ٢٠).

أبناؤنا، لابد أن نُعلِّمهم كيف يساعدون الغير؟! ولا ينبغي أن نُدلِّلَهم أكثر من اللازم، فلا يفكرون في غيرهم، فلابد أن تكون النشأة فيها روح التعاون والمروءة والرجولة والشهامة، فهذا هو خُلُق مساعدة الغير.

والمساعدة، لا أتحدث فيها عن المالية منها فقط، وإنما بمدِّ يد العون لمن حولنا، فإذا وجدنا إنساناً لا يقوى على عبور الطريق بمفرده ساعدناه، أو لا يقوي على حَمْل بضاعته حملنا معه، أو لا يستطيع إنجاز عمل ما ساعدناه، أو لا يعرف كتابة الطلب المطلوب منه كتبنا معه. حياتنا مليئة بالأسئلة التي لا نهاية لها، المهم أن نُدرِك أن هذا خُلُق كريم، فإذا وجدنا مَن يحتاج المساعدة تَذكَّرنا هذا الخُلُق، وهممنا لمساعدته تقرباً إلى الله، والتزاماً بأوامره.

١٢٨ - خُلق المَشي

للمشي أخلاقيات في القُرْآن الكريم فيقول تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ - سُورة المُلك، فهذه دعوة أن يكون مشيُنا فيما يُرضي الله ورسوله، أي أن نُراجع أنفسنا قبل أن نمشي في طريق لا يرضي الله تعالى عنه، حتى نكون ساعين إلى رضا الله ورسوله .

والكتاب المقدس أشار إلى خلق المشي، كما في الآية: «الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ» (كورينثوس الاولي ١٣ : ٤) .

لطريقة المشي أدب في القُرْآن الكريم، فيقول تعالى في سُورة لقمان، وكان سيدنا لقمان - عليه السلام - يخاطب ابنه فيقول له، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ - سُورة لقمان، أي امشِ بسرعة معتدلة وبطريقة مستقيمة، كذلك الآيه الكريمة: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ - سُورة الإسراء، فهذه الآية تعلمنا ألَّا نمشي مَرَحاً، نلعب ونلهو ونتفاخر، وإنما طلب منا أن نكون معتدلين في مشينا، بطريقة نحترم بها أنفسنا حتى يحترمنا الناس .

كذلـك، سـنقابل النـاس في مشـينا، فيعلمنا الله تعـالى في الآيـة الكريمة: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ – سُورة النساء، أي علينا أن نُحَيِّي الناس في مشينا، فإذا قابلنا مارة أو جالسين بادلناهم التحية، كذلك عَلَّمَنا عليه الصلاة والسلام أنَّ: «تَبَسُّمُك في وَجْه أَخِيك لك صدقة»، وهنا، علينا أن نبتسم في وجه الناس ونحن نمشي بينهم، فيُحِب أن يرانا الناس .

فالتبسـم من خُلُق المشي ومقابلة الناس، كلها أخلاقٌ للمشي، فلنعلم أن –حتى– مشينا له أدبيات وأخلاقيات، يتعين أن نتحلى بها ونعلِّمها لأولادنا .

١٢٩ - خُلق المُناصَرَة

المُنَـاصَرة بمعنـى المؤازرة والمسـاعدة على تجـاوز الصعاب، وهي مـن قدرات الله سـبحانه وتعـالى القائـل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ - سُـورة الـروم، وآيـات أخـرى عديدة، تُفْهِمنا ذلك صراحة، ولكن الله سـبحانه وتعالى قد طلب منا أن نـنـاصر الله ورسـوله، وأن نناصر أصحـاب الحق في مواضع عدة مـن القُرْآن منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ - سُـورة محمـد، وأيضاً قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ - سُـورة الصافات، والنبي - صـلى الله عليه وسـلم -، حثنا على ذلك، حيث قـال: «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظّلم، فإنّ ذلك نصره**»، وهنا وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مباديء خُلُق المناصرة، فعلينا أمران:

١ - مناصرة المظلوم، فنقف بجانبه، حتى نأخذ له حقه، ونرد عنه الظلم .

٢ - منـاصرة أخينـا أو صديقنـا، إذا كان ظالمـاً، أن نمنعـه من ظلمـه، ونرده عنه، وهكذا نكون نصرناه .

فليس من المناصرة مساعدة الظالم على ظلمه، بل إن محاولة إرجاعه عن ظلمه فيها مناصرته، فليس كل مَن يختلف معك خَصْماً، ولكن قد يكون خير صديق، لأنه يُفهمك أنك على خطأ، ويريد أن تتوقف عن ظلمك، فشيطانك يصوِّر لك أنه لا يُحِبك، وأنه لا يريد لك الخير، ولكن في واقع الأمر قد يكون أخلص الناس إليك بمناصرته لك، بأن يُبيِّن لك أنك المخطيء .

هذه صورة نراها كل يوم في حياتنا، فمِن أصدقائنا ما إن عاتبته، وحاولت أن تُبَصِّره بأمرٍ خطأ فَعَلَه، فإذا به يَحتدّ عليك، ويعتبرك أنك لم تقف معه، أو إلى جانبه، لأنك تُخَطِّئُه، في حين أنك - ربما تكون - الوحيد الذي تقف معه، وتهمك مصلحته، لأنك تحاول أن تُفْهمه خطأه حتى يتوقف عن فعله .

لطالما شاهدنا - ونشاهد - أولياء أمور لا يناصرون أبناءهم حقاً في خلافاتهم مع أزواجهم، فانتشرت ظاهرة الطَّلاق، وكثير منها بعد الزواج ربما بأسابيع، أو شهور قليلة، ذلك أن الأهل فهموا المناصرة خطأ، فَهُم يدافعون عن ابنهم، أو ابنتهم، حتى ولو كانت أخطأت أو أخطأ في حق الآخر، في حين أن خُلُق المناصرة الحقيقي هو بإفهام الزوج (وأعني كُلَّاً من الزوج وزوجه) أنه على خطأ، ومساعدته تكون في أن يراجع نفسه، ويعتذر ، وربما لو فهمنا االمعنى الحقيقي لخُلُق المناصرة، لتفادينا الكثير من حالات الطَّلاق، والقضايا التي ملأت أروقة المحاكم .

«الدين النَّصيحة» ، وعلينا أن نكون ناصحين، وألَّا نتخلى عن مساعدة مَن يحتاجنا، فقد نناصره بقوتنا، أو بإمكانياتنا المادية، أو قدرتنا على إنجاز أموره، أو رفع شكواه، وهكذا ، فإن علينا أن نمشي في الأرض ونحن نشعر أنَّ من رسالتنا في

الدنيا أن نُساعد المحتاج إلى مساعدتنا، ولا نتردد في ذلك، ففي هذا خُلُق كريم هو خُلُق المناصرة .

وخلق المناصرة له جذوره الواضحة في الكتاب المقدس، الذي تحدثت آيات كثيرة فيه لتدل على فضل هذا الخلق، وتدعو إليه، أذكر منها: «**فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِين**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢ : ١٥)، وكذلك: «**كُلٌّ وَاحِدٍ يُسَاعِدُ صَاحِبَهُ وَيَقُولُ لأَخِيهِ: «تَشَدَّدْ»**» (سفر إشعياء ٤١ : ٦)، وقوله: «**فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ**» (إنجيل متى ٢٥ : ٤٠)، وأيضاً: «**كُلٌّ وَاحِدٍ يُسَاعِدُ صَاحِبَه**» (سفر إشعياء ٤١ : ٦) ، وكذلك: «**ليكن كل واحد بحسب ما اخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضا كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة**» (رسالة بطرس الرسول الأولى ٤/ ١٠) .

١٣٠ - خُلق المواساة

المواساة خُلُق كريم، يتخلَّق به مَن فهم جوهر رسالة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، فالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، مواساة في حالات مختلفة، والله تعالى يُحِب أن يرى عباده يواسي أحدهم الآخر، قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ - سورة آل عمران، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ - سُورة آل عمران، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى**» .

مواساة الناس أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن، بالخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

أتذكَّر، وأنا طفل، كان إحساس الناس ببعضهم أكثر بكثير، فالجار مع جاره، والصديق مع صديقه، كان يواسيه في أحزانه، وفي أفراحه، وفي كل الأحوال، الآن قد نرى جاراً لا يعرف جاره، وللجار حقوق كثيرة في القُرْآن والسُّنة، وحقه أن نواسيه، ونقف بجانبه.

نحن مطالبون بأن يواسي بعضنا البعض، وكذلك على الناس أن تُخفِّف عن بعضها البعض، فصاحب المأتم يحجز قاعة لاستقبال القادمين لتعزيته - مثلاً- ويُصرُّ على أن يصافح مَن قَدِم لمواساته، في الدخول والخروج، ويظل الشيخ - قاريءُ القُرْآن الكريم - محتجِزاً القادمَ للمواساة حتى ينتهي من قراءة القُرْآن، لماذا لا نُخفِّف على الناس؟! ويكون السلام في الدخول فقط؟! ومَن كان يستطيع أن ينتظر ليسمع القُرْآن فلينتظر، أما مَن لا يستطيع، فشكراً على سعيه ومواساته، فقد حضر بنفسه ليُقدِّم العزاء، والله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾- سُورة النساء ٢٨ .

وهكذا علينا أن نسهل على بعضنا البعض، قد يكون أحدٌ غير قادر على الحضور، ألا تكفي رسالة بـ (الهاتف المحمول) للتَّعْزِية؟! بالقطع تكفي، فلماذا نُشدِّد، أو كما نقول (نحَبِّكها) هكذا؟!

وعن خلق المواساة جاءت بعض آيات الكتاب المقدس، أذكر منها: «فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٥)، وكذلك: «إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً» (سفر الأمثال ٢٥: ٢١)، وكذا الآية: «كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٥: ٤)، وكذلك: «وَلْيُعْطِكُمْ إِلهُ الصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ أَنْ تَهْتَمُّوا اهْتِمَامًا وَاحِدًا فِيمَا بَيْنَكُمْ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٥: ٥، ٦)، وكذا: «لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ، بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ» (كورينثوس الأول ١٢: ٢٥)، وكذلك

الآية: «**لِذٰلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا**» (رسـالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٤ : ١٨)، وكـذا: «**لذلك عــزوا بعضكم بعضا وابنوا أحدكم الآخر، كما تفعلون أيضا**» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥ : ١١) .

فلنسـهِّل على الناس، ليُسـهِّل لنا الله، ولنواسي بعضنا البعـض، ونتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر.

١٣١- خُلق المُواظَبة

وصاحب هذا الخُلُق علم أن للمواظبة شأناً كبيراً في الحياة، وفَهِم أن في فريضة الصلاة بمواقيت معينة، وغيرها من عبادات عديدة دعوة للمواظبة .

إن الإنسان مطلوب منه أن يواظب على صلاته، وزكاته، وصوم رمضان، وصلة الرحم .

لهذا، فالمواظبة، أرى أنها خُلُق يتخَلَّق به الإنسان، يتعلمه بدايةً من انتظامه في الصلاة، والمواظبة عليها، فيواظب على عمله بانتظام، وإذا كان يمارس رياضةً ما، يواظب على تدريباته، ويواظب على استذكار دروسه، وصلة رحمه، والإحسان إلى مَن حوله بما يستطيع .

ومن الكتاب المقدس نجد آيات عدة في ذات الشأن، منها: «**هؤُلاَءِ كُلُّهُمْ كَانُوا يُواظِبُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلاَةِ وَالطِّلْبَةِ**» (أعمال الرسل ١: ١٤)، وأيضاً : «**وَكَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَالشَّرِكَةِ، وَكَسْرِ الْخُبْزِ، وَالصَّلَوَاتِ**» (أعمال الرسل ٢: ٤٢، ٤٦) .

أتصور أن مَن تَحَلَّى بالمواظبة على الخيرات فقد تَحَلَّى بخُلُقٍ من مكارم الأخلاق .

١٣٢- خُلُق النُّصح

والسؤال: هل هذا خُلُق ؟ نَعم، إنه حالة يمشي بها صاحبها بين الناس، ينصحهم بالمعـروف، وينهاهـم عن المنكر، فهو يُحِب لهم الخير، ولا يريـد لهم أن يقعوا في دائرة الخطأ، فهو ناصح أمين، يتّبع ما أمره به الله ورسـوله، فالنبي – صلي الله عليه وسـلم – جـاء لنـا بهذا الخُلُـق، ودليلي هنا الآيـة الكريمـة: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ – سُورة آل عمران ، والله – سبحانه وتعالى – وضع تقييماً لأمة محمد – صلى الله عليه وسـلم – بأنهم سـيكونون خير أمة، ماداموا يأمرون بالمعروف، وينهـون عن المنكر، وذلك في قولـه تعـالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾– سُورة آل عمـران، وقولـه تعـالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) ﴾ – سُـورة آل عمـران ، وغيرها الكثير من الآيات التي تتحدث عن فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوّل مبـدأ في هـذا الأمر هو أن ندعو إلي ذلك بالحكمة والموعظة الحَسَـنَة كما أمر الله نبيـه عليه الصلاة والسـلام، قـال تعـالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

﴿ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ – سُورة النحل، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾– سُورة البقرة ٢٥٦ .

فالأمر لابد أن يكون حسب ما أرشدنا إليه الله تعالى في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾– سُورة العصر، وكذلك طلب أن تكون المعاملة باللين وليس بالشده في قوله تعالي: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ – سُورة آل عمران .

وعلى هذا، فصورة النصح هنا هي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بالموعظة الحَسَنَة، وليست الصورة التي في أذهان الكثير من الناس، فيها الغِلظة، والشِّدة، والصوت العالي، والتنظير على الآخرين، و«التَّنْطِيط» وهي لفظةٌ عامية يستخدمها المصريون، بمعنى تقريبي» يَتَرَأَّس على الآخر »، وإنما ممارسة هذا الخُلُق تكون بكل اللِّين، والتبسط، وبالتواصي بالحق، وبالتبصير بالخطأ، بصورة تُحفِّز المخاطَب أن يستجيب لما يُقال له .

ولقد أوصانا الله تعالى أن يكون كل هذا في إطار الكلمة الطيبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ – سُورة إبراهيم .

فعلينا أن نفهم الصورة الصحيحة لهذا الخُلُق، فلا يفهم الشخص أنه شُرْطِيٌّ أو شيخٌ يوجِّه الناس، وإنما هو صديق، أو ناصحٌ أمين مساوٍ له في القَدْر والمعرفة، وربما أقل، ويتواصى معه بكلماتٍ طيبة، مُحفِّزة .

والتزامنا بهذا الخُلُق، ليس التزاماً بتحقيق نتيجة، فيظل شخصٌ ما ينصح وينصح، ولا يتوقف، سعياً للاستجابة، لأن الله تعالى أخبرنا في الآية الكريمة: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ - سورة القصص . فإذا تواصينا، ندعو لمن نخاطبه - ولنا - بالهداية، فالتزامنا ليس أكثر من بذل الغاية في التواصي، ولا علاقة لنا بالنتيجة .

ولخلق النصح جذوره في الكتاب المقدس، حيث ورد هذا الخلق في عدة آيات، منها: «أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ» (سفر المزامير ٣٢: ٨)، وكذلك: «فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٦: ١) .

أتمنى أن يتواصى الناس بالحق وبالصبر وبالمعروف، ويتناهوا عن المنكر، ففي ذلك صلاح للمجتمع .

تخيَّل معي لو أن أصدقاء ابنك لا يقومون بنصحه إذا أخطأ، أليس ذلك خطراً علي نجلك، إذا ما فكر في شُرب الخمر، لا قدر الله، ألا تحب أن يكون لديه صديق ينصحه؟!

من وجهة نظري، أن هذا هو معيار الصديق الحقيقي، وهو الذي يتواصى معي بالخير، ويشجعني على العمل الصالح، ويُنبِهني، ويسعي لأن أترك أي شيء لا يرضى عنه الله سبحانه وتعالى .

ولهذا جاء رسولنا في حديثه منبهاً فيقول عليه الصلاة والسلام: «المرءُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يُخالل»، أي صاحب مَن تريد أن تُصبِح مِثله، ومن إذا وجدك

على خير شجَّعك، وإذا وجدك على غير ذلك نصحك وأعانك على الخير وعلى البعد عن الشر.

مطلوب منا جميعاً أن يكون منهجنا ذلك، فهذا هو السِّر الذي أخبرنا به الله سبحانه وتعالى لنكون خير أمة أُخْرِجَت للناس، يارب وفِّقنا جميعاً إلي ذلك .

١٣٣ - خُلُق النَّظَافَة

صاحب هذا الخُلُق يُحِب أن يكون هو - وكل شيء حوله - نظيفاً طاهراً، فيُحِب الاغتسـال والرائحة الطيبة العطرة، ويُحِب أن ينظف كل ما حوله، وهو حريص على ذلـك، فالنظافـة هـي مقدمة التواصـل مع الله، فـإذا كانت الصلاة تحتـاج إلى وضوء (نظافة)، فإن في ذلك خير دليل على حُبِّه تعالى للتطهر والنظافة .

وآيـات الكتـاب المقدس عديدة في شـأن هذا الخلق، منها: «**أَيُّهَـا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَـدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ**» (كورنثوس ٦ : ١٤ إلى ٧: ٢١) .

ولقد علَّم الكتاب المقدس في العهد القديم النظافة الجسـدية بطريقة دقيقة صحيَّة من اغتسـال وطهارة جسـدية وملبس وعدم لمس الأمور والأشياء النجسة . (أسفار التـوراة) مثـل (عـدد ١٩)، (لا ١٥)، (لا ١١)، وأجملَ العهـدُ الجديد هذه الفكرة في قول الإنجيل: «**فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَـدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضًا لِلْكَنِيسَةِ**» (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٥: ٢٩) .

وقـد ارتقى العهـد الجديد من مفهوم النظافـة المادية إلى مفهوم النقـاوة الروحية، حيث إن النظافة المادية أمر صحي، بينما النظافة الروحية والقلبية أمر سماوي، حيث قال: إن ما يخرج من الفم أهم مما يدخله، حيث ما يخرج منه يصدر من القلب سـواء كان أفكاراً شريرة أو نجاسة (راجع متى ١٥) .

لابـد أن نُعَرِّف الأجيال الحاليـة أن هذا خُلُق كريم، وليس ترفاً أو رفاهية، بل إن المؤمن هو مَن اتبع منهجية النظافة، مؤمناً بأن النظافة مِن الإيمان .

أَتَعَجَّب أن أرى شـخصاً يركب سـيارة فارهة، وأجده يُلقي - من نافذة السـيارة - بواقـي طعـام، أو أكياس، هو يُلَوِّث بيئة غيره، ويَضُرُّ مَـن حوله، وهذا خُلُق أبعد مـا يكون عن الـذي دُعِينا إليه، والخطـر أننا قد نتعود على العيـش في بعض الأماكن وحولنا الوسـاخات الملقاة على الأرض، وكما يقول الحكماء تصبح كالنقوشات التي على ورق الحائط، فلا نُلْقِي لها بالاً، ولا نراها، مع استمرار تعودنا على رؤيتها، وهذه ظواهر خطيرة، ولها أضرارها المتعددة .

النظافة بداية دليل على التَّحضُّر وعلى بلوغ مستوى أرفع من المعيشـة والصحة، والله يريـد لنـا الخـير، ويريد لنـا أن يكون خُلُـق النظافة - هـذا الخُلُـق الكريم - مِن أخلاقنا الأساسية التي نتحلى بها .

١٣٤ - خُلُق النِّظَام

النظام من صفات أعمال الله تعالى وقدراته، فسبحانه خلق الكون ونظمه، فيقول تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ - سُورة يسّ، ويقول جل شأنه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ - سُورة القمر.

آيات كثيرة تدل على أن الله تعالى عنده كل شيء بقدر، أي بنظام معين، وكذلك فقد نظَّم - سبحانه وتعالى - لنا أموراً كثيرة في حياتنا، ووضع ضوابط معينة لنلتزم بها، ويُعلِّمنا - سبحانه - أن نكون منظَّمين في حياتنا، فالصلاة فرضها علينا خمسَ مرات في اليوم، وكل مرة عدد ركعات معينة، والصوم جعل له نظاماً ومواقيت، والحج - كذلك - نظمه، حتى الزكاة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ - سُورة المعارج، وكذلك في الجماع، له أوقات محظور فيها، مثل وقت الحيض، أو نهار رمضان، أو في الإحرام للحج أو العمرة.

والنظام فرضه الله تعالى علينا، فقد نَظَّم لنا أن نأكل من الطيبات ونجتنب غيرها، ونَظَّم لنا المواريث، ونَظَّم لنا الزواج والطَّلاق، وغير ذلك الكثير.

كلها أمور تُنبِئُنا أن مَن كان منظَّماً فقد تخلَّق بخُلُق كريمٍ، جاء النبي يؤكد عليه،

والأمـم المنظَّمـة هـي التي نجحـت وتقدمت، والله يُحِـب أن يرانا منظَّمـين متقدمين ناجحين .

ولقـد أكـدت الديانـات السـماوية على خلـق النظـام، أورد – هنا – مـن الكتاب المقدس: «وَلْيَكُنْ كُلُّ شَـيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهـل كورنثوس ١٤ : ٤٠)، كذلك: «أَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْـلُكُ بِلاَ تَرْتِيبٍ» (رسـالة بولـس الرسـول الثانيـة إلى أهل تسـالونيكي ٣ : ٦)، وكذا: «فَاخْضَعُـوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَـرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ» (رسـالة بطرس الرسـول الأولى ٢ : ١٣)، وكذلك الآية: «لأَنَّنَا نَسْـمَعُ أَنَّ قَوْمًا يَسْـلُكُونَ بَيْنَكُمْ بِلاَ تَرْتِيبٍ، لاَ يَشْـتَغِلُونَ شَيْئًا بَلْ هُمْ فُضُولِيُّونَ» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي ٣ : ١١) .

وعـلى هـذا فلنُعلِّم أولادنا النظام كي يشبُّوا عليـه، وينفعوا به أمتهم وأنفسـهم، فوقـت الحضور في المدرسـة مـن النظـام، وأداء الواجب من النظام، احـترام القانون وقواعـده مـن النظام، الالتزام بقواعد المـرور من النظام . فكل حياتنـا مطالَبين فيها بالنظام، فهو خُلُق أساسي .

خُلُق النظام خُلُق كريمٌ دُعينا إليه من رسلنا عليهم السلام، ومَن تخَلَّق بهذا الخُلُق الكريم فهو إنسان عرف طريقه نحو مكارم الأخلاق .

١٣٥ - خُلق النَّفْس اللَّوّامَة

وصاحب النفس اللوّامة هو صاحب خُلُق كريم، لأنه زَكَّى نَفْسَه، أي سعى لتطهيرها، وعمل على تطويرها للأفضل، حتى أصبحت نفسُه لوّامة، أي كثيرة اللوم، واللوم هو: المعاتبة، أي أن نَفْسَه تعاتبه وتحدثه، لماذا فَعَل ذلك ؟! فيقول لنفسه: إن ما فعلته لا يُرضي الله ورسوله، ارجع وراجع نفسك، واستغفر الله، واعمل عملاً صالحاً ليصلح الله حالك، فهي نفسٌ تدفع صاحبها للاستغفار والتوبة كلما أخطأ، ويُقْسِم الله تعالى بالنفس اللوّامة، قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ - سُورة القيامة .

وذلك لأن الله تعالى يرى أنها من محاسن الأشياء، ويُحفِّزنا أن نعمل على ترقية أنفسنا لنصل إلى النفس اللوّامة، فإذا أخطأنا نعود ونستغفر بعد لوم أنفسنا .

والكتاب المقدس قد سبقت آياته إلى الحث على محاسبة النفس، حيث ورد ذلك في عدة آيات، منها: «لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك، لأنك إذا فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٤ / ١٦)، أيضاً: «مَدِينَةٌ مُنْهَدِمَةٌ بِلاَ سُورٍ، الرَّجُلُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى رُوحِهِ» (سفر الأمثال ٢٥/ ٢٨)، كذلك: «لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١١/ ٣١) .

فلنتعلم أن نحاسب أنفسنا ونراجع ماذا فعلنا ؟! فإذا أحسسنا أننا أخطأنا نستغفر الله، وهذا الأمر - في رأيي - لابد أن ينصرف إلى علاقاتنا المجتمعية والتجارية .

علينا بلوم أنفسنا إذا أخطانا، وأن نراجع أنفسنا، وأن نصلح ما يمكن، أو نرد حقوق مَن يستحق رد الحق إليه، أو نرفع الظلم عمَّن ظلمناه، هكذا هي النفس اللوّامة، وهذا الخُلُق يُحِبه الله ورسوله .

أولادنا لابد أن يتعلموا أنهم لن يكونوا معصومين من الخطأ، وأن الخطأ وارد، والمهم هو أن يراجعوا أنفسهم بأنفسهم، وأن يعتذروا، أو يصلحوا الخطأ، لنربي فيهم النفس اللوامة، وهي نفس تحفظ صاحبها، وتسير به إلى ما يرضي الله تعالى .

١٣٦ - خُلق الوَسَطِيَّة

الوسطية خُلُق من الأخلاق التي بُعث بها سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وجاء قوله تعالى صريحاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ - سُورة البقرة .

فبدايةً، إننا أمة سَمْتُها الوسطية، يُحِب الله تعالى أن يرانا معتدلين في تصرفاتنا، نختار من الوسطية خُلُقاً ومنهجاً، يقول تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ - سُورة الإسراء، هذه الآية الكريمة تعلمنا: كيف تكون الوسطية والاعتدال، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ - سُورة الفرقان.

فالله تعالى يريد أن نكون معتدلين متوسطين في إنفاقنا، وفي حياتنا، وفي معاملاتنا، حتى في أكلنا وشُربنا، يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ - سُورة الأعراف، فهي دليل على أن الوسطية مطلوبة في كل مناحي حياتنا كخُلُق، أو كمبدأ عام نمشي به، فلنُدرك أنه مطلَب إلهي، وخُلُقٌ أمرنا به، وليس لنا إلا أن نُطيع،

ونَعمـل به، فلنراجع أنفسـنا: هل نسـير على هذا النهج والخُلُـق ؟ أم أننا مسرفون في أمور معينة ؟!

كذلـك علينـا أن نُعلِّم أبناءنـا هذا الخُلُق، ونتأكـد أنه من الأمـور التي وضعناها أمامنـا لبناء شـخصيتهم عـلى النحو الذي يرضي الله ورسـوله، والذي بـه – بطبيعة الحـال – نصنع منهم مواطنين يمشـون في الأرض بوسـطية ، ويتعاونـون مع الناس بيُسر، لأنهم تخَلَّقوا بخُلُق الوسطية، وهي التي تُقرِّبهم من الناس، فيسعدون بها بإذن الله تعالى .

الوسـطية مطلوبـة، فـلا يترك الرجـل الصلاة، ولا يظـل طول النهار في المسـجد ليصلي، بل قيامه بالفروض الخمسـة كافٍ وهو الأسـاس، وإن استزاد بعض السُّنن، جميل، ولكن حياته لابد أن تكون طبيعية .

الرجل قد لا يذهب إلى عمله، وقد يكون في صورة أخرى، ممن يعمل (وَرْدِيَّتَيْن)، ولا يرحـم صحتـه، ولا يرعى أهله، والوسـط بـين ذلك محبب، فيعمل ما اسـتطاع، ويعطـي الوقت لراحتـه ولأسرته، وهنا يحضرني حديث رسـول الله – صلى الله عليه وسـلم –: **«أنَّـــه بلغَهُ أنَّ رِجالًا يقولُ أحدُهم: أمَّا أنا فأصومُ ولا أفطرُ . ويقولُ الآخرُ: وأمَّا أنا فأقومُ ولا أنامُ . ويقولُ الآخرُ: أمَّا أنا فلا آكلُ اللَّحمَ، ويقولُ الآخرُ: أمَّا أنا فلا أتزوَّجُ النِّســاءَ . فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لكنِّي أصومُ وأُفطرُ، وأقومُ وأنامُ، وآكلُ اللَّحمَ، أتزوَّجُ النِّساءَ . فمَنْ رغِبَ عن سنَّتي فليس منِّي»** .

ولقد وردت آيات عديدة في الكتاب المقدس تدعو الناس إلى التوسط في الأمور، وعـدم الغلـو، أذكر منها: **«فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَـاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَـمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا**

مِنَ الإِيمَانِ» (رسـالة بولس الرسـول إلى أهل رومية ١٢ / ٣)، كذلك: «لاَ تَكُنْ بَارًّا كَثِيرًا، وَلاَ تَكُنْ حَكِيمًا بِزِيَادَةٍ. لِمَاذَا تَخْرِبُ نَفْسَكَ؟» (سفر الجامعة ٧: ١٦)، أيضاً: «لاَ تَكُنْ شِرِّيرًا كَثِيرًا، وَلاَ تَكُنْ جَاهِلًا. لِمَاذَا تَمُوتُ فِي غَيْرِ وَقْتِكَ؟ حَسَنٌ أَنْ تَتَمَسَّكَ بِهذَا، وَأَيْضًا أَنْ لاَ تَرْخِيَ يَدَكَ عَنْ ذَاكَ، لأَنَّ مُتَّقِيَ اللهِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا كِلَيْهِمَا» (سـفر الجامعة ٧: ١٧/ ١٨)، وقوله: لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ، هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ» (رسالة يعقوب ٢ / ٢٦) .

الوسـطية خُلُـق يُبعدنـا عـن التشـدد أو العصبيـة أو التطـرف، ويُظهرنـا بمظهر العقلانية والاعتدال أمام الغير، وهو خُلُق كريم من مكارم الأخلاق .

كل تصر فاتنا، حياتنا، إنفاقنا، أكلنا، شربنا، تربية أولادنا، معتقداتنا، بل وعباداتنا، لابد أن نتخَلَّق فيها بالوسـطية، وأشـعر بالتقصير الكبير في حق الأجيال الناشئة، مَن يعلمهم هذا الخُلُق وغيره ؟

إذا كانت هناك دعوات لتطوير الخطاب الديني، فالأَوْلى أن ينصبَّ الخطاب الديني عـلى إبراز مكارم الأخـلاق وفضلها، وأنها مـن الأمور المفروضة علينا لنحسـن من المعاملات ونرتقي بها، وتسـود مجتمعَنا حالةٌ جديدة من الإنتاج والتعاون والوسطية ومعاملات محمودة مِن التي تُعلِمها لنا مكارم الأخلاق . لية لأ ؟!

١٣٧ - خُلق الوَفاء

أقصد بالوفاء: المعنى الذي نتعارف عليه في حياتنا ، وهو أن يكون لدينا اعتراف بفضل الناس علينا، ورغبة في ردّ هذا الجميل، كوفاء الابن لأبويه أو لأستاذه، أو لمن ربَّاه، فهو يشعر بدَيْن في رقبته، ويرجو أن يشكره، ويرد الجميل إلى صاحبه بأي شكل من الأشكال، وهذا من نبل الخُلُق لأن فيه خُلُق الشكر والتقدير، وإعطاء كل ذي حق حقه، فهو يجمع بين كل هذه الصفات مشترَكة، فينتج عنه إنسان وفيّ، ونقول في المثل العاميّ الشَّعبي عن هذا الشخص (طَمَر فيه الخير)، بمعنى أن ما قُدم له من خير، حفِظَه في ذاكرته، وشعر أنه مَدِين لمن قدمه له، ويرغب في رد هذا الدَّين له أو لخَلَفِه، بصورة فيهاعرفان ورغبة في رد الدَّيْن بكل حُب وتقدير، هذا هو الإنسان الوفي .

وحينما نتحدث عن وفاء الحيوان كالكلب فهو يفي لصاحبه الذي أطعمه ورعاه، وبهذا يكون شديد الإخلاص له، وربما أصيب باكتئاب شديد إذا تُوفي صاحبه، فيكون ليس لديه رغبة في الحياة بعده، وفاءً أو إخلاصاً، ويكون وفاء الزوج للزوجه باعتراف كل منهما بفضل معاملة الآخر له، والرغبة في مبادلة هذه المعاملة بمعاملة مثلها، ويجسد هذا الخُلُق قوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ - سُورة الرحمن .

فعلينا أن نُعلِّم أولادنا، ومَن حولنا، خُلُق الوفاء والاعتراف بفضل الغير، والاستشعار بأننا مدينون لمن أحسنوا إلينا، وأن علينا أن نرد هذا الإحسان بإحسان مثله وأفضل، إن أمكن، فمن مأثورات العرب «مَن علمني حرفاً صرتُ له عبداً»، في هذا معنى الوفاء، أن يفي الإنسان لمُعلِّمه، ويَشعُر بفضله، ويدين له بهذا الدَّيْن، فيكون خادماً له، وتحت تصرفه، رداً للجميل.

وخلق الوفاء من الأخلاق التي شدد عليها الكتاب المقدس، حيث وردت آيات عدة فيه تبين فضل هذا الخلق، وتحث عليه، منها: «إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا للهِ فَلاَ تَتَأَخَّرْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، لأَنَّهُ لاَ يُسَرُّ بِالْجُهَّالِ. فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَهُ» (سفر الجامعة ٥: ٤)، وقوله: «إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ فَلاَ تُؤَخِّرْ وَفَاءَهُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيْكَ احْفَظْ وَاعْمَلْ» (سفر التثنية ٢٣: ٢٢، ٢٣؛ سفر الجامعة ٥: ٤)، وكذلك: «أَنْ لاَ تَنْذُرَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلاَ تَفِيَ» (سفر الجامعة ٥: ٥)، وفي قوله: «كُلُّ وَاحِدٍ يُسَاعِدُ صَاحِبَهُ» (سفر إشعياء ٤١: ٦)، وكذلك: «لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي، عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ» (إنجيل متى ٢٥: ٣٥، ٣٦)، وكذا: «الرَّحْمَةُ تَجْمُلُ فِي أَوَانِ الضِّيقِ» (سفر يشوع بن سيراخ ٣٥: ٢٦).

ووصولاً لخُلُق الوفاء علينا أن نُعلِّم أولادنا الشكر، واحترام الغير، وتقدير كل مَن يُقدِّم خيراً لنا، وردّ الإحسان بالإحسان، واستشعار الفضل، كل هذه تدريبات عملية في تصرفات أطفالنا تصل بهم إلي خُلُق الوفاء، فنكون قد قدمنا لمجتمعاتنا نماذج طيبة بنّاءة، ويكون أولُّ وفائها لبلدها ولأهلها، وفي هذا رُقِيٌّ وإصلاحٌ للمجتمعات.

١٣٨ـ خُلق الوَفاء بالعُقود

ومعناه اللغوي هو التزام طرفٍ من أطراف العَقْد بما قطعه على نفسه من شروط والتزامات .

وما أعظمه خُلُقاً، تنمو به الأمم، وما امتلاء ساحات المحاكم بالملايين من النزاعات إلا صورة حقيقية لعدم وفاء الناس بعقودهم وعهودهم .

إنه خُلُق وثقافة نفتقدها إلى حدٍّ بعيد، لأننا لم نُعلِّم أبناءنا وأنفسنا أنه خُلُق بُعِث من أجله الأنبياء، إنه جزء أساسي في ديننا، وعكسه الإخلال أو المماطلة في تنفيذ الالتزام .

ولقد دعا الله تعالى – صراحة – بذلك، فيقول تعالى في الآية رقم ١ سُورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ – سُورة النحل: ٩١، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾– سُورة الإسراء ٣٤، وغير ذلك الكثير من الآيات التي تتحدث عن الوفاء بالعقود وبالعهود .

أتحدَّى أن يُقدِّم لى أحدٌ مادة واحدة في مدارسنا وجامعاتنا تُعَلِّم أبناءنا هذا الخُلُق، ثم نتوقع – بعد ذلك – أن نراهم يلتزمون به، أليس هذا بغريب ؟!

إن الأمر يحتاج منا إلى إدراك أهمية هذا الخُلُق، فهو – في حقيقة الأمر – عصب وصُلب الدِّين، أعطاه الله أهمية كبرى في رسالاته السماوية المتواترة لعباده .

ومن الكتاب المقدس نجد عدة آيات في شأن هذا الخلق، منها: «**وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ**» (متى ٥ : ٤١)، وكذلك: «**وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ**» (متى ٥: ٢٥). ويوضح الكتاب المقدس التزام يفتاح الجلعادي بكلامه (سفر القضاة ١١)، وأن عدم التزام شمشون قد أضاع قوته وأذله (سفر القضاة ١٦) .

وفحوى هذا الخُلُق هو التزام كل طرف بالالتزامات الملقاة عليه كَمّاً وكيفاً وتوقيتاً، والحكومات التي نجحت في جذب استثمارات لبلادها إنما نجحت من خلال الوفاء بالتزامها بعقودها مع مَن يستثمر معها، فلم تكن خالقةً لمضايقات ومطالبات، طامعة فيما هو أكثر مما اتفقت عليه، وإنما أعطت المَثَل في المباركة للغير، وتقديم كل ما عليها من التزامات، دون مجادَلة أو مطالَبة – تعلم أنها خارج إطار العقد أو القانون، وإنما هو تَعسُّف في استعمال السُّلطة، وخروج عن الوفاء بالعقود .

إن هذا الخُلُق مبناه الأمانة، وبُعد النظر، وكسب ثقة الغير ، وبناء المعاملات المستقبلية، وتعظيم الاسم التجاري للشخص أو المؤسسة أو حتى الدولة، وهو ما يأتي بثماره في المستقبل لمن يَفهم، ويُدرك عِظم هذا الخُلُق .

أتذكر أنني كنتُ في ندوة دينية، وتحدث الشيخ الجليل عن «مؤخَّر الصَّداق» – وهو مبلغ يُكتب أحياناً في عقود الزواج –، وقد كان أغلبية مَن في الندوة يعتقد أنه

واجب السداد عند الطَّلاق، فإذا بالشيخ يُخبرنا أنه «باقي المَهْر»، وأن العروس وأهلها قد قبلوا – من باب التيسير – تأجيل سداد جزء من المهر إلى أجل آخر، حتى لا يكون هناك إثقال على «العريس»، فكانت المفاجأة، أنه واجب السداد في أيِّ وقت يتيسر للزوج – فيما بعد – أن يدفعه، من باب الوفاء بالعهود والعقود، وأن تأخير سداده غير مُحَبَّب، لأنه دَيْن واجب السداد، وقيمة العُمْلة قد تتراجع، بما يُضرُّ بالزوجة . فلينتبه مَن كان في عقد زواجه مؤخَّر صداق، أن يبادر بسداده وفاءً بالعهد والعقد .

فلنبدأ جميعاً في محاسبة أنفسنا قبل أن نُحاسَب، ونبحث: هل بالفعل نوفي بعقودنا؟ ونفي بعهودنا؟! وهذه بداية التحلي بهذا الخُلُق الكريم .

١٣٩-خُلق الوَفَاء بالكَيْل

هـذا الخُلُـق – الوفـاء بالكيل – من مـكارم الأخـلاق، ومعناه: أَتمُّـوا الكيل، ولا تُنقصوه إذا كِلْتم لغيركم، أي: وزنتم لغيركم، وزِنوا بالميزان المعتدل .

وعلى حسب فَهمي، هو: أن نُعطي كل ذي حق حقه . فبهذا الخُلُق تصح المعاملات وتنمو، فالمعاملات التي ثبت أنها سليمة، قد أخذ كل واحد فيها حقه، هي معاملات مُحفِّزة للمزيد من التعامل بين طرفيها .

ولقد أمرنا الله تعالى في الآية ٨٥ من سُـورة هود بهذا، فقال تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ ﴾، فـالله – سبحانه وتعـالى – أرسـل رسـله ليدعوننا إلى هذا الخُلُق، وفيه معاني الأمانة والصدق .

لقـد أمـر الله تعالى بالوفاء في الكيل (الميزان)، والأمر بالشيء نهي عن الذي ضده، فضد الوفاء التطفيف (الزيادة) والبَخْس (التقليل)، قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ ﴾ – سُـورة المطففـين، وقـال تعـالى:﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾ – سُورة الأنعام ١٥٢ .

ولقـد وردت عدة آيـات في الكتاب المقدس لدعوة النـاس إلى إيفاء الكيل، أذكر منها: «أَعْطُوا تُعْطَوْا، كَيْلاً جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُوزًا فَائِضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْـلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُـكَالُ لَكُمْ» (لوقا ٦ : ٣٨)، وكذلـك:«لأَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ ذٰلِكَ، كُلَّ مَنْ عَمِلَ غِشًّـا، مَكْرُوهٌ لَدَى الرَّبِّ إِلٰهِكَ» (سـفر التثنية ٢٥ : ١٦)، وكذلك الآية: «مَوَازِينُ غِشٍّ مَكْرَهَةُ الرَّبِّ» (سفر الأمثال ١١ : ١) .

والوفاء بالكيل له صورة ظاهرة في البيع والشراء، ولكنه ينسـحب - أيضاً - إلى كافة أنواع المعاملات في الحياة، فالمدرِّس الذي يُصحح امتحان تلاميذه عليه أن يوفي الكيـل، ويعطـي كل واحد منهـم الدرجة التي يسـتحقها . والطبيـب الذي تقاضى أجره، عليه أن يعطي المريض الرعاية التي يسـتحقها . والمهندس، والمقاول، لابد أن يضع الخامات - التي تعاقد عليها كمّاً وكيفاً - في البناء وفاءً بالكيل، وكذلك العامل الـذي يعطـي صاحب العمل حقـه، فينتج ما هو مطلـوب منه كمّاً وكيفـاً، فهو يوفي الكيل، وهكذا، فإن الوفاء بالكيل أشـمل وأهم - في وجهة نظري - من مجرد الوزن في الميزان، وإنما يكون لكلٍ منا ميزانه في المعاملات المختلفة، وعليه أن يُعطي كل ذي حق حقه وفاءً باتفاقه معه دون نقصان منه كمّاً وكيفاً، إنما يوفي الكيل .

ألا تتفقـون معـي أنه بخُلُق الوفاء بالكيل تنمو الأمـم وتزدهر؟! وهل أراد الله لنا إلا ذلك ؟ فيجب علينا الاستماع والتطبيق، وأن نثقف مجتمعاتنا بهذا الخُلُق في خطابنا الديني، وفي مدارسنا، وفي إعلامنا، لنعلمهم عِظم ذلك الخُلُق عند الله تعالى، وفائدته الكبرى لنا ... ليه لأ ؟!

١٤٠-خُلُق الوَفَاء بالنَّذْر

قـد ينذر الإنسـان شـيئًا لله، أي يقول: إن هـذا الشيء أقدمه لله تعـالى لكي يرضى عنـي، وقـد يكون مصحوباً بطلب ما يتمنى أن يتحقق، كالنجاح - مثلاً - في امتحان، أو شفاء من مرض، أو ما شابه، وقد يكون شكراً لله تعالى على النجاة من أمرٍ ما، أو شكراً عاماً، وقد يكون غير مرتبط بشيءٍ ما، وإنما يكون تقرباً وشكراً لله تعالى .

وفي القُرْآن الكريم وردت أمثلةٌ عدة للنَّذْر، كما في الآية الكريمة: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ - سُورة آل عمران .

وقد أمر الله تعالى السيدة مريم - عليها السـلام- أن لا ترُد على أي أحدٍ يكلمها بعد أن وضعت السيد المسيح - عليه السلام - بأن تقول: بأنها نذرت لله صوماً، قال تعـالى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ - سُورة مريم .

والله - سبحانه وتعـالى - عَلَّمَنـا أن النَّـذْر أمرٌ عظيمٌ، لأن الإنسـان يعِـدُ فيه ربه بشيءٍ، ولذا فعليـه الالتزام به، يقول تعـالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾- سُـورة البقـرة،

ويقول أيضا سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ - سُورة الإنسان.

ومن الكتاب المقدس أذكر: «**إِذَا نَذَرْتَ نَـذْرًا للهِ فَلاَ تَتَأَخَّرْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، لأَنَّهُ لاَ يُسَرُّ بِالْجُهَّالِ. فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَهُ**» (سفر الجامعة ٥: ٤)، وكذلك: «**أَنْ لاَ تَنْذُرُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلاَ تَفِيَ**» (سفر الجامعة ٥: ٥)، وكذا: «**إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ فَلاَ تُؤَخِّرْ وَفَاءَهُ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْلُبُهُ مِنْكَ فَتَكُونُ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ**» (سفر التثنية ٢٣: ٢١)، كذلك: «**تُصَلِّي لَهُ فَيَسْتَمِعُ لَكَ، وَنُذُورُكَ تُوفِيهَا**» (سفر أيوب ٢٢: ٢٧)، وكذا الآية: «**اِذْبَحْ للهِ حَمْدًا، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ**» (سفر المزامير ٥٠: ١٤).

ولهذا، فإن الوفاء بالنذر من الأخلاق الذي بُعِث سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - ليتممها، لأن فيه معنى الوفاء بالقول أو بالعهد، والوفاء بالعهد من خُلُق وصفات المسلم، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۝٣٤﴾ - سُورة الإسراء ٣٤.

ولهذا لنكن حذرين في أمر النَّذْر، لأن علينا قضاءه والوفاء به، فلا ننذر لله شيئًا إلا إذا كنا بالفعل نعني ذلك، وفي قدرتنا أن نفعل، حتى نكون ممن تخَلَّقوا بهذا الخُلُق الكريم.

وصاحب هذا الخُلُق، فَهِم وأدرك ذلك، فإذا كُنَّا مُطَالَبين بالالتزام بعقودنا، والوفاء بالتزاماتنا مع الناس، فما بالنا بالتزام يلتزم إنسان بتحقيقه أمام الله تعالى، هو أمر واجب الفعل، فالله تعالى لن يقبل إلا أن يتم الوفاء بهذا النذر، وإلا كان عقابه كبيراً، ولهذا، فصاحب هذا الخُلُق، حَذِرٌ في أن ينذر شيئًا، وإذا نَذَر كان شديد الالتزام.

كلمةٌ أخيرة

سامحوني إن كنتُ قد قَصَّرت، لأن فَهمي له سَقْف، وكذلك إن كنتُ قد أخطأت، فهـذا - بالقطع - بحُسْـن نية، وكذلك إن كنتُ قـد اختصرت في الكتابة، فهذا حتى لا أطيل على حضراتكم .

أتمنى أن يتعلم أولادنا مادة الأخلاق في سنوات التعليم المدرسية، لما فيها من تأهيل وتنشـئة لأجيالٍ ما أحوج الوطن إليها، حبَّذا لو كانت الأخلاق من منظور الإسـلام والمسيحية ،وجُمِعَ الاثنان في حصة بديلة لحصة الدِّين ليتعلما مكارم الأخلاق، ويعرف كلٌّ منهما الآخر، فهذا هو ما يبني الوطن المتماسك الذي ننشده .

أُحب أن أؤكد أن كما لطريق السَّـفَر دليل، فإن دليل الجَنَّة هو (مكارم الأخلاق)، وعـلى مَـن يُحِب أن يكـون على ثقة أنه عـلى الطريق الصحيح، فعليـه أن يبذل مجهوداً أفضـل في الإلمـام بالطريق، وأن يُدرك ما هي الأخلاقيـات المطلوبة، ودرجة معرفته، والتزامه بها .

وإذا كان الله تعـالى قـد دعانا إلى مراجعة النفس، والسـعي للإصلاح، فإني أقترح علي المتفضِّل بقراءة هذا الكتاب أن يقوم بحل التمرين اللاحق، كل ما ستحتاج إليه، هـو أن تخلو بنفسـك، وبقلم رصاص تضع تقييماً لنفسـك من (مقبـول) إلى (ممتاز)، وبـكل وضوح وصراحة، أمـام كل خُلُق، ثم راجِع النتيجة النهائية - في ضوء ذلك،

ستظهر أمامك النتيجة المبدئية: أين أنت الآن من مكارم الأخلاق، وبناءً عليه، ضع خُطَّة الإصلاح والتطوير والاقتراب، فكل خُلُق يحتاج منك إلى ذلك، وأَعِد التمرين كلما استطعت، لتعرف مدى تقدمك .

كذلك فإن على الجهات المعنية في الدولة بأمور التثقيف والتعليم والدعوة والإعلام، أن تُجري عملية تقييم للأخلاقيات بالمجتمع بصورة مماثلة، للتعرف على ما هو عليه الحال بالفعل، وبناءً عليه تكون هناك منهجية مدروسة لوضع الأولويات، والمنهج والأسلوب الذي ستنتهجه أجهزة الدولة المتنوعة في سبيل الرقي بأخلاقيات المجتمع، لما في ذلك من نفع عام، ومصلحة عليا للبلاد، ولأن في ذلك نظرة مستقبلية مدروسة وممنهجة لتطوير المعاملات داخل المجتمع للأفضل .

وأخيراً، فإنه يتعين بالطبع أن تستخدم الدولة أدواتها المتنوعة للتواصل مع المجتمع بالطرق المباشرة وغير المباشرة، سواء من خلال التعليم، أو الخطاب الديني، أو الإعلام أو التواصل المجتمعي الإليكتروني، وغيرها، سعياً لتحقيق النتائج والأهداف المرجوة، فإذا كانت هناك استراتيجيات للدولة لتطوير الاقتصاد والإدارة، فأحرى بنا أن تكون هناك استراتيجية لتطوير المجتمع .

أدعو الله تعالى أن يحتسب هذا العمل تقرُّباً إليه، وسعياً لرضائه .

منصور عامر

تمرين تقييم مدى التحلي بمكارم الأخلاق

م	الخُلق	ممتاز	جيد	مقبول	مُقّصِّر	المُحَصِّلة كَمْ من ١٠
١	خُلُق الإِنْفَاق					
٢	خُلُق الإِتْقَان					
٣	خُلُق إثقال الموازين					
٤	خُلُق الاحترام					
٥	خُلُق الاحتساب					
٦	خُلُق الاحْتِشَام					
٧	خُلُق الإحْسَان					
٨	خُلُق الإخلاص					
٩	خُلُق الأخوة (الإخاء)					
١٠	خُلُق الأدب					
١١	خُلُق الإرضاء					
١٢	خُلُق الاستئذان					
١٣	خُلُق الاستعانة بالله					
١٤	خُلُق الاسْتِعْدَاد					
١٥	خُلُق الاسْتِقَامة					
١٦	خُلُق الاصْطِبار					
١٧	خُلُق الإِصْلَاح					

م	الخُلق	ممتاز	جيد	مقبول	مُقّصّر	المُحَصِّلة كَمْ من ١٠
١٨	خُلُق إِطْعَام الطَّعَام					
١٩	خُلُق الاعْتِدَال وَعَدَم الإسْراف					
٢٠	خُلُق الاعْتِذَار					
٢١	خُلُق الاعْتِرَاف بالفَضْل					
٢٢	خُلُق الاعْتِصَام					
٢٣	خُلُق الإِعْرَاض					
٢٤	خُلُق الإِعْزَاز والإِحْقَاق					
٢٥	خُلُق إعطاء الغير قَدْره					
٢٦	خُلُق الإِغَاثَة					
٢٧	خُلُق الإِفْسَاح					
٢٨	خُلُق إِفْشَاء السَّلام					
٢٩	خُلُق إعْطَاء السَّائِل واحْتِرامه					
٣٠	خُلُق إِكْرَام اليَتِيم					
٣١	خُلُق الأُلْفَة					
٣٢	خُلُق الأَمَانة					
٣٣	خُلُق الامْتِثَال					
٣٤	خُلُق الإنجاز					
٣٥	خُلُق الإِنْذَار					
٣٦	خُلُق الإِنْصَات والاسْتِماع					

م	الخُلق	ممتاز	جيد	مقبول	مُقّصِّر	المُحَصِّلة كَمْ من ١٠
٣٧	خُلُق الإيثار					
٣٨	خُلُق البِّر					
٣٩	خُلُق بِرّ الوالدَيْن					
٤٠	خُلُق التَّأَسِّي					
٤١	خُلُق التَّأَنِّي					
٤٢	خُلُق التَّبَسُّم					
٤٣	خُلُق التَّبْشِير					
٤٤	خُلُق التَّبيُّن					
٤٥	خُلُق التَّحْفِيز					
٤٦	خُلُق التَّراضِي					
٤٧	خُلُق التَّزيُّن					
٤٨	خُلُق التَّشَاوُر					
٤٩	خُلُق التَّعَارُف					
٥٠	خُلُق التَّعاوُن					
٥١	خُلُق تَعْظِيم حُرُمَات الله					
٥٢	خُلُق التغَافُل (التَّغَاضِي)					
٥٣	خُلُق تَفْرِيج الكَرْب					

م	الخُلق	ممتاز	جيد	مقبول	مُقّصِّر	المُحَصِّلة كَمْ من ١٠
٥٤	خُلُق التَّفَضُّل					
٥٥	خُلُق تَقْدِيم المَشِيئَة					
٥٦	خُلُق التَّكَتُّم					
٥٧	خُلُق التَّمْيِيز					
٥٨	خُلُق التَّوَاصِي بالحَقّ					
٥٩	خُلُق التَّواضُع					
٦٠	خُلُق التَّوَدُّد					
٦١	خُلُق تَوْزِيع التَّرِكات					
٦٢	خُلُق تَوْقير كَلَام الله					
٦٣	خُلُق التَّيْسِير					
٦٤	خُلُق جَبْر الخَوَاطِر					
٦٥	خُلُق الجِمَاع					
٦٦	خُلُق حُبّ الطَّيِّبات					
٦٧	خُلُق الحُبّ في الله					
٦٨	خُلُق الحَذَر					
٦٩	خُلُق حُسْن الجِوَار					
٧٠	خُلُق حُسْن العِشْرة					
٧١	خُلُق حُسْن الظَّن					
٧٢	خُلُق حِفْظ الأَيْمان					

م	الخُلق	ممتاز	جيد	مقبول	مُقّصِّر	المُحَصِّلة كَمْ من ١٠
٧٣	خُلُق حِفْـظ حُقُوق المِلْكِيَّة لصاحبها					
٧٤	خُلُق الحِلْم					
٧٥	خُلُق الحَمْد					
٧٦	خُلُق الحَيَاء					
٧٧	خُلُق الخَشْيَة مِن الله					
٧٨	خُلُق خَفْض الصَّوْت					
٧٩	خُلُق الدَّفْع بالَّتِي هي أَحْسَن					
٨٠	خُلُق ذِكْر المَحَاسِن					
٨١	خُلُق الرَّأْفَة					
٨٢	خُلُق الرُّجُولَة					
٨٣	خُلُق الرِّفْق					
٨٤	خُلُق رِقَّة المشاعِر					
٨٥	خُلُق الزُّهْد					
٨٦	خُلُق السَّدَاد					
٨٧	خُلُق السِّرِّيَّة					
٨٨	خُلُق السِّفَارَة					
٨٩	خُلُق السَّفَر					
٩٠	خُلُق السَّمَاحَة					
٩١	خُلُق الشَّفَاعَة					

م	الخُلق	ممتاز	جيد	مقبول	مُقّصر	المُحَصِّلة كَمْ من ١٠
٩٢	خُلُق الشَّفَافِيَة					
٩٣	خُلُق الشَّهَادَة					
٩٤	خُلُق الشَّهَامَة					
٩٥	خُلُق الصَّبْر					
٩٦	خُلُق الصِّدْق					
٩٧	خُلُق صَفَاء القَلْب وحُبّ الخَيْرِ للنَّاس					
٩٨	خُلُق الصَّفْح					
٩٩	خُلُق الصَّلاة					
١٠٠	خُلُق صِلة الرَّحِم					
١٠١	خُلُق الطَّاعَة					
١٠٢	خُلُق الطَّعَام والشَّرَاب					
١٠٣	خُلُق الطَّلاق					
١٠٤	خُلُق الطُّمأنِيْنَة					
١٠٥	خُلُق العَدْل والإِنْصَاف					
١٠٦	خُلُق عِزَّة النَّفس					
١٠٧	خُلُق عَزْم الأُمُور					
١٠٨	خُلُق العَطَاء					
١٠٩	خُلُق العَفَاف (العِفَّة)					
١١٠	خُلُق العَفْو والتَّسَامح					

م	الخُلق	ممتاز	جيد	مقبول	مُقّصِر	المُحَصِّلة كَمْ من ١٠
١١١	خُلُق العَمَل					
١١٢	خُلُق عِيادة المريض					
١١٣	خُلُق غَضّ البَصَر					
١١٤	خُلُق الفَرَح والإفْراح					
١١٥	خُلُق الفِطْنَة					
١١٦	خُلُق فِعْل الخَيرْ دون انتظار الشُّكْر					
١١٧	خُلُق القَنَاعة والرِّضا					
١١٨	خُلُق الكِتَابة					
١١٩	خُلُق كَظْم الغَيْظ					
١٢٠	خُلُق الكَلَام					
١٢١	خُلُق «ما شَاء الله»					
١٢٢	خُلُق المُبَايَعَة					
١٢٣	خُلُق المُحَافَظَة					
١٢٤	خُلُق مُرَاجعة النَّفْس					
١٢٥	خُلُق مراعاة خصوصية الآخرين					
١٢٦	خُلُق المُسَارَعة في الخَيْرَات					
١٢٧	خُلُق مُسَاعَدَة الغير					
١٢٨	خُلُق المَشْي					

م	الخُلق	ممتاز	جيد	مقبول	مُقّصّر	المُحَصِّلة كَمْ من ١٠
١٢٩	خُلُق المُنَاصَرَة					
١٣٠	خُلُق المُوَاسَاة					
١٣١	خُلُق المُوَاظَبَة					
١٣٢	خُلُق النُّصْح					
١٣٣	خُلُق النَّظَافَة					
١٣٤	خُلُق النِّظَام					
١٣٥	خُلُق النَّفْس اللَّوَّامَة					
١٣٦	خُلُق الوَسَطِيَّة					
١٣٧	خُلُق الوَفَاء					
١٣٨	خُلُق الوَفَاء بالعُقُود					
١٣٩	خُلُق الوَفَاء بالكَيْل					
١٤٠	خُلُق الوَفَاء بالنَّذْر					
المجموع الكلي من ١٤٠٠						

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
	كلمة المفكر الدكتور / **مصطفى الفقي**	أ
	كلمة أ. د / **نظير عيّاد**	ز
	الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية	
	كلمة نيافة المطران الأنبا / **مرقس**	ط
	فكرة الكتاب / **منصور عامر**	ك
١	خُلُق الإنفاق	١
٢	خُلُق الإتْقَان	٥
٣	خُلُق إثقال الموازين	٧
٤	خُلُق الاحترام	٩
٥	خُلُق الاحتساب	١٢
٦	خُلُق الاحْتِشَام	١٤
٧	خُلُق الإحْسَان	١٧
٨	خُلُق الإخلاص	٢١
٩	خُلُق الأخوة (الإخاء)	٢٤
١٠	خُلُق الأدب	٢٧
١١	خُلُق الإرضاء	٣٥

م	الموضـــــوع	الصفحة
١٢	خُلُق الاستئذان	٣٧
١٣	خُلُق الاستعانة بالله	٤٠
١٤	خُلُق الاسْتِعْدَاد	٤٢
١٥	خُلُق الاسْتِقَامة	٤٥
١٦	خُلُق الاصْطِبار	٤٨
١٧	خُلُق الإِصْلَاح	٥١
١٨	خُلُق إِطْعَام الطَّعَام	٥٤
١٩	خُلُق الاعْتِدَال وَعَدَم الإِسْراف	٥٧
٢٠	خُلُق الاعْتِذَار	٦١
٢١	خُلُق الاعْتِرَاف بالفَضْل	٦٥
٢٢	خُلُق الاعْتِصَام	٦٨
٢٣	خُلُق الإِعْرَاض	٧٠
٢٤	خُلُق الإِعْزَاز والإِحْقَاق	٧٢
٢٥	خُلُق إعطاء الغير قَدْره	٧٥
٢٦	خُلُق الإِغَاثَة	٧٨
٢٧	خُلُق الإِفْسَاح	٨١
٢٨	خُلُق إِفْشَاء السَّلام	٨٣
٢٩	خُلُق إعْطَاء السَّائِل واحْتِرامه	٨٦
٣٠	خُلُق إِكْرَام اليَتِيم	٨٨
٣١	خُلُق الأُلْفَة	٩١
٣٢	خُلُق الأَمَانة	٩٤
٣٣	خُلُق الامْتِثَال	٩٧

م	الموضـــــوع	الصفحة
٣٤	خُلُق الإنجاز	١٠٠
٣٥	خُلُق الإِنْذَار	١٠٣
٣٦	خُلُق الإِنْصَات والاسْتِماع	١٠٦
٣٧	خُلُق الإيثار	١١٠
٣٨	خُلُق البِرِّ	١١٣
٣٩	خُلُق بِرّ الوالدَيْن	١١٦
٤٠	خُلُق التَّأَسِّي	١١٨
٤١	خُلُق التَّأنِّي	١٢١
٤٢	خُلُق التَّبَسُّم	١٢٣
٤٣	خُلُق التَّبْشِير	١٢٥
٤٤	خُلُق التَّبيُّن	١٢٧
٤٥	خُلُق التَّحْفِيز	١٣١
٤٦	خُلُق التَّراضِي	١٣٣
٤٧	خُلُق التَّزيُّن	١٣٦
٤٨	خُلُق التَّشاوُر	١٣٨
٤٩	خُلُق التَّعارُف	١٤١
٥٠	خُلُق التَّعاوُن	١٤٣
٥١	خُلُق تَعْظِيم حُرُمَات الله	١٤٦
٥٢	خُلُق التغافُل (التَّغَاضِي)	١٤٨
٥٣	خُلُق تَفْرِيج الكَرْب	١٥٠
٥٤	خُلُق التَّفَضُّل	١٥٤
٥٥	خُلُق تَقْدِيم المَشِيئَة	١٥٦

م	الموضــــوع	الصفحة
٥٦	خُلُق التَّكَتُّم	١٥٨
٥٧	خُلُق التَّمْيِيز	١٦١
٥٨	خُلُق التَّوَاصِي بالحَقّ	١٦٤
٥٩	خُلُق التَّواضُع	١٦٧
٦٠	خُلُق التَّوَدُّد	١٧٠
٦١	خُلُق تَوْزِيع التَّرِكات	١٧٢
٦٢	خُلُق تَوْقِير كَلَام الله	١٧٥
٦٣	خُلُق التَّيْسِير	١٧٧
٦٤	خُلُق جَبْر الخَوَاطِر	١٧٩
٦٥	خُلُق الجِمَاع	١٨٢
٦٦	خُلُق حُبّ الطَّيِّبات	١٨٦
٦٧	خُلُق الحُبّ في الله	١٩٠
٦٨	خُلُق الحَذَر	١٩٢
٦٩	خُلُق حُسْن الجِوَار	١٩٦
٧٠	خُلُق حُسْن العِشْرة	١٩٩
٧١	خُلُق حُسْن الظَّن	٢٠٣
٧٢	خُلُق حِفْظ الأَيْمان	٢٠٦
٧٣	خُلُق حِفْظ حُقُوق المِلْكِيَّة لصاحبها	٢٠٨
٧٤	خُلُق الحِلْم	٢١٠
٧٥	خُلُق الحَمْد	٢١٣
٧٦	خُلُق الحَيَاء	٢١٦
٧٧	خُلُق الخَشْيَة مِن الله	٢١٩

م	الموضـــــوع	الصفحة
٧٨	خُلُق خَفْض الصَّوْت	٢٢٢
٧٩	خُلُق الدَّفع بالَّتِي هي أَحْسَن	٢٢٥
٨٠	خُلُق ذِكْر المَحَاسِن	٢٢٨
٨١	خُلُق الرَّأْفَة	٢٣٠
٨٢	خُلُق الرُّجُولَة	٢٣٣
٨٣	خُلُق الرِّفْق	٢٣٥
٨٤	خُلُق رِقَّة المشاعِر	٢٣٨
٨٥	خُلُق الزُّهْد	٢٤٠
٨٦	خُلُق السَّدَاد	٢٤٢
٨٧	خُلُق السِّرِّيّة	٢٤٧
٨٨	خُلُق السِّفَارَة	٢٥٠
٨٩	خُلُق السَّفَر	٢٥٢
٩٠	خُلُق السَّمَاحَة	٢٥٥
٩١	خُلُق الشَّفَاعَة	٢٥٧
٩٢	خُلُق الشَّفَافِية	٢٥٩
٩٣	خُلُق الشَّهَادَة	٢٦١
٩٤	خُلُق الشَّهَامَة	٢٦٤
٩٥	خُلُق الصَّبْر	٢٦٦
٩٦	خُلُق الصِّدْق	٢٧٠
٩٧	خُلُق صَفَاء القَلْب وحُبّ الخَيْرِ للنَّاس	٢٧٥
٩٨	خُلُق الصَّفْح	٢٧٩
٩٩	خُلُق الصَّلاة	٢٨٢

م	الموضـــوع	الصفحة
١٠٠	خُلُق صِلة الرَّحِم	٢٨٥
١٠١	خُلُق الطَّاعَة	٢٨٨
١٠٢	خُلُق الطَّعَام والشَّرَاب	٢٩١
١٠٣	خُلُق الطَّلاق	٢٩٥
١٠٤	خُلُق الطُّمأنِيْنَة	٢٩٩
١٠٥	خُلُق العَدْل والإِنْصَاف	٣٠١
١٠٦	خُلُق عِزَّة النَّفْس	٣٠٥
١٠٧	خُلُق عَزْم الأُمُور	٣٠٧
١٠٨	خُلُق العَطَاء	٣١٠
١٠٩	خُلُق العَفَاف (العِفَّة)	٣١٤
١١٠	خُلُق العَفْو والتَّسَامح	٣١٧
١١١	خُلُق العَمَل	٣٢٠
١١٢	خُلُق عِيادة المريض	٣٢٣
١١٣	خُلُق غَضّ البَصَر	٣٢٦
١١٤	خُلُق الفَرَح والإفْراح	٣٢٨
١١٥	خُلُق الفِطْنَة	٣٣٠
١١٦	خُلُق فِعْل الخَيْر دون انتظار الشُّكْر	٣٣٢
١١٧	خُلُق القَنَاعة والرِّضا	٣٣٤
١١٨	خُلُق الكِتَابة	٣٣٦
١١٩	خُلُق كَظْم الغَيْظ	٣٣٨
١٢٠	خُلُق الكَلام	٣٤٤
١٢١	خُلُق «ما شَاء الله»	٣٤٨

م	الموضـــــوع	الصفحة
١٢٢	خُلُق المُبَايَعَة	٣٥٠
١٢٣	خُلُق المُحَافَظَة	٣٥٢
١٢٤	خُلُق مُرَاجعة النَّفْس	٣٥٤
١٢٥	خُلُق مراعاة خصوصية الآخرين	٣٥٧
١٢٦	خُلُق المُسَارَعة في الخَيْرَات	٣٥٩
١٢٧	خُلُق مُسَاعَدَة الغير	٣٦١
١٢٨	خُلُق المَشْي	٣٦٣
١٢٩	خُلُق المُنَاصَرَة	٣٦٥
١٣٠	خُلُق المُوَاسَاة	٣٦٨
١٣١	خُلُق المُوَاظَبة	٣٧١
١٣٢	خُلُق النُّصْح	٣٧٢
١٣٣	خُلُق النَّظَافَة	٣٧٦
١٣٤	خُلُق النِّظَام	٣٧٨
١٣٥	خُلُق النَّفْس اللَّوّامَة	٣٨٠
١٣٦	خُلُق الوَسَطِيَّة	٣٨٢
١٣٧	خُلُق الوَفَاء	٣٨٥
١٣٨	خُلُق الوَفَاء بالعُقُود	٣٨٧

م	الموضــــوع	الصفحة
١٣٩	خُلُق الوَفَاء بالكَيْل	٣٩٠
١٤٠	خُلُق الوَفَاء بالنَّذْر	٣٩٢
	كلمة أخيرة	٣٩٤
	تمرين تقييم مدى التحلي بمكارم الأخلاق	٣٩٦
	الفهرس	٤٠٤

التصميم والطباعة
مطابع الأهرام التجارية - قليوب
website: http://acp.ahram.org.eg